سماحة آية الله العظمى

السيد محمد تقي المدرسي

من هدى القرآن

الجزء التاسع

سورة الفاتحة - سورة البقرة - سورة آل عمران

دار القارئ

بسم الله الرحمن الرحیم

من هدى القرآن

كاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعة:

دار محبی الحسین (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

من هدی القرآن المجلد ۹

اشاره

سرشناسه:مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور:من هدی القرآن/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر:تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری:ج ۱۸

شابک:۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳ ؛ ۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳

وضعیت فهرست نویسی:فهرستنویسی قبلی

یادداشت:عربی

یادداشت:کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت:کتابنامه

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره:BP۹۸/م ۴م ۸ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی:م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص :۱

اشاره

الجزء التاسع

اشاره

سوره شعراء

اشاره

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

فضل السوره:

عن النبی محمد صلی اللّه علیه و آله قال:

«أعطیت[ال]سوره التی یذکر فیها البقره من الذکر الاول،و أعطیت طه و طواسین من ألواح موسی،و أعطیت فواتح القرآن،و خواتیم السوره التی یذکر فیها البقره من تحت العرش،و أعطیت المفصّله نافله» (مجمع البیان-ص(۱۸۳)/ج ۷)

و روی ابو بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال:

«من قرأ الطواسین الثلاث لیله الجمعه کان من أولیاء اللّه،و فی جواره و کنفه،و أسکنه اللّه فی جنه عدن،وسط الجنه مع النبیین و المرسلین و الوصیین الراشدین،و لم یصبه فی الدنیا بؤس أبدا،و أعطی فی الآخره من الأجر الجنه حتی یرضی،و فوق رضاه،و زوّجه اللّه مائه حوراء من الحور العین» (المصدر)

الإطار العام

الاسم:سميت هذه السوره باسم«الشعراء»لان السوره تتحدث عن رسالات اللّه فى مواجهه ثقافات البشر.

تدور آيات هذه السوره حول رسالات اللّه،على نهج سوره الفرقان و لكن بتفصيل أكثر،و ضمن بيان الصراع بينها و بين الكيانات الجاهليه ذات الثقافه المنحرفه.

و بعد أن تذكرنا فاتحه السوره باللّه،تبين حرص النبى على هدايه الناس،و تؤكد ان اللّه لا يكرههم على الهدى،و تبين من صفات الرب اسمى العزه و الرحمه اللذين يتجليان فى الطبيعه و فى الصراع.

و يقص علينا السياق أنباء النبيين،و تنتهى كلّ قصه بذكر هذين الاسمين الكريمين،و تؤكد بأن فى تلك القصص آيات،و لكن أغلب الناس لا يؤمنون.

و تنتهى السوره بأمر الرسول بالتوكل على العزيز الرحيم.

ص:٧

فى قصه موسـى يأمر اللّه موسى بحمل رسالته الى فرعون،و يبيّن موسى عقبات الطريق،و اللّه ينفيها بكلاّ..و يعده بالنصر،و يحاور موسى فرعون برساله اللّه، و يجادل فرعون بما يملك من قوه.

و يبدو ان لكل رساله محتوى اجتماعى،هدفه إصـلاح نوع الفساد المنتشر فى المجتمع،فقد حارب موسى العنصريه و الاستكبار،و إبراهيم الوثنيه و الرجعيه، و نوح الطبقيه و العنـاد،و هود العبثيه و التجبر،و صالـح الإسـراف و الفسـاد،و لوط الشـذوذ و الإباحيه،و شعيب الغش و التطفيف.

و لعل هذه المفاسد متدرجه فى خطورتها حسب هذا الترتيب الذى نجده فى سوره الشعراء.

و يجرى الحوار بين النبى و قومه،و يعانـدونه،و يهـددونه،و فى لحظه الحسم ينصـر اللّه النبى و المؤمنين،و يأخذ الكافرين بعذاب شديد،و لعل العذاب يتناسب و نوع الفساد.

و يبدأ النبى بالتذكره باللّه،و الأمر بتقواه و طاعته،و ينذرهم عذاب ربهم.

و يؤكـد الأنبيـاء على أنهـم لاـ يطـالبونهم بـأجر،و انمـا أجرهـم على اللّـه،و بالتـالى لاـ يـدعون للنـاس مجالاـ للشـک فى صـدق رسالاـتهم،و بالإضـافه الى ذلـک فإن هناك شواهـد على صـدق رسالات اللّه،فهى تـدعو الى اللّه،و تتعالى على حواجز الـدم، و الأرض،و الزمن،و هى تتحدى بقوه اللّه كل القوى مما يستحيل على البشر، و تحارب الفساد الأكبر فى المجتمع.

و يـد الغيب تمتـد لنصـرتهم فى الوقت المنـاسب بإهلاـک أعـدائهم،هـذا بالإضافه الى قوه الحجه،و سـلامه السـلوک،و المعاجز الظاهره كالعصى،و الناقه،و خمود

النيران،و انفلاق البحر،و الطوفان.

و فى خاتمه السوره يبين ربنا:أن القرآن أنزله رب العالمين، نزل به الروح الأمين،و بلغه عربيه مبينه،و قد شهد على صدقه علماء بنى إسرائيل.

و بعد أن بيّن الفروق الأساسيه بين وحى الحق،و أفكار الشيطان،و أمره الرسول بإنذار عشيرته،و العطف على المؤمنين،و البراءه من العصاه،و التوكل على العزيز الرحيم،بعدئذ يبين القرآن ميزات وحى الشيطان الذى يتنزل على كل أفّاك أثيم،و ان الشعراء(أدعياء العلم و الدين)انما يتّبعهم الغاوون،و ينعتهم بالاسترسال و اللامسؤوليه،و تختم السوره بأن الظالمين سيعلمون اى منقلب ينقلبون.

ص:٩

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱ الی ۱۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . طسم (۱) تِلْکَ آیٰاتُ اَلْکِتٰابِ اَلْمُبِینِ (۲) لَعَلَّکَ بٰاخِعٌ نَفْسَکَ أَلاّٰ یَکُونُوا مُؤْمِنِینَ (۳) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَیْهِمْ مِنَ اَلسَّمٰاءِ آیَهً فَظَلَّتْ أَعْنٰاقُهُمْ لَهٰا خٰاضِعِینَ (۴) وَ مٰا یَأْتِیهِمْ مِنْ ذِکْرٍ مِنَ اَلرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إِلاّٰ کٰانُوا عَنْهُ مُعْرِضِینَ (۵) فَقَدْ کَذَّبُوا فَسَیَأْتِیهِمْ أَنْبٰؤُا مٰا کٰانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ (۶) أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلَی اَلْأَرْضِ کَمْ أَنْبَتْنٰا فِیهٰا مِنْ کُلِّ زَوْجٍ کَرِیمٍ (۷) إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً وَ مٰا کٰانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ (۸) وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ اَلْعَزِیزُ اَلرَّحِیمُ (۹) وَ إِذْ نٰادیٰ رَبُّکَ مُوسیٰ أَنِ اِئْتِ اَلْقَوْمَ اَلظّٰالِمِینَ (۱۰) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لاٰ یَتَّقُونَ (۱۱) قٰالَ رَبِّ إِنِّی أَخٰافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ (۱۲) وَ یَضِیقُ صَدْرِی وَ لاٰ یَنْطَلِقُ لِسٰانِی فَأَرْسِلْ إِلیٰ هٰارُونَ (۱۳) وَ لَهُمْ عَلَیَّ ذَنْبٌ فَأَخٰافُ أَنْ یَقْتُلُونِ (۱۴) قٰالَ کَلاّٰ فَاذْهَبٰا بِآیٰاتِنٰا إِنّٰا مَعَکُمْ مُسْتَمِعُونَ (۱۵)

اللغه

۳[باخع]:أی مهلک أو قاتل نفسک أسفا.

۵[محدث]:جدید.

ص:۱۱

إِنّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ

هدى من الآيات:

كلما ازدادت معرفتك باللّه كلما توسعت آفاق إيمانك،و عرفت المزيد من اسرار السموات و الأرض،و هكذا كان:

«أول الدين معرفته » (1)و تفتتح هذه السوره التى تحدثنا عن رسالات اللّه كما سوره الفرقان بالتذكره باللّه لأنها السبيل الى معرفه الوحى.

و يمضـى السـياق فى بيان حرص النبىّ على هدايه قومه،حتى ليكاد يهلك نفسه، و يسـلّيه بأن حكمه اللّه قضت بأن يكون الناس أحرارا،و إلا فهو قادر على ان ينزل عليهم آيه يكرههم بها على الايمان،و لكنهم لن يهربوا من جزاء أعمالهم.

١- ١) نهج البلاغه/خ(١)/ص(٣٩)/صبحى الصالح.

و یعود السیاق یذکرنا بربنا الذی أنبت الأرض من کل زوج بهیج،لعلنا نهتدی الی ربنا بهذه الآیه،و نعرف أنه العزیز الرحیم،و نعرف بالتالی أنه أرسل بعزته و رحمته أنبیاء،فقد أمر موسی علیه السلام بأن یأتی الظالمین من قوم فرعون،و یحذرهم عذاب اللّه،و لکن موسی خشی تکذیبهم،و خاف أن یضیق صدره،و لا ینطلق لسانه بکل معانی الرساله،و طلب أن یکون أخوه هارون معه رسولا،و طلب العون من اللّه لمواجهه خطر الموت علی یدهم،لأنّه قتل منهم شخصا،و جاءه النداء:

کلا..و عاد الربّ و أمره بالذهاب إلیهم،و طمأنهم بأنه سیکون معهم.

بینات من الآیات:

[۱] طسم تحدّثنا عن الحروف المقطعه فی القرآن أکثر من مره،و قلنا:انها اشاره الی القرآن،و أنها رموز بین اللّه و أولیائه.

و جاء فی الحدیث المأثور عن الصادق(علیه السلام):

«و أما طسم:فمعناه:انا الطالب،السمیع،المبدئ،المعید » (۱)[۲] تِلْکَ آیٰاتُ الْکِتٰابِ الْمُبِینِ تأتی هذه الجمله فی الأغلب بعد الحروف المقطعه،مما یدعونا الی الاعتقاد بأن المعنی الظاهر لتلک الحروف هو الاشاره إلی القرآن و حروفه.

[۳]لأن إخلاص الرسول شدید لرساله ربه،و حرصه علی مصلحه الناس

۱- ۲) نور الثقلین/ج(۴)/ص(۴۴).

عظيم،فهو يكاد يهلك نفسه حينما يرى كفر الناس بالرساله.

لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [۴]و لكن هل الرسول قادر على ما يريده من ايمان الناس بالرساله من دون اذن اللّه،كلا..لأن اللّه منح الناس حريه القرار،و لم يرد إكراههم على الإيمان، و دليل ذلك أنه لا ينزل عليهم عذابا غليظا يجعلهم خاضعين للحق.

إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ و لكن ربنا شاء ان يؤمنوا بكامل حريتهم،و لو أنزل عليهم عذابا فآمنوا خشيه وقوعه عليهم لم يكن ينفعهم إيمانهم،انما ينفع الإيمان إذا جاء بلا إكراه.

روى عن أمير المؤمنين-عليه السلام-انه قال و هو يتحدث عن الأنبياء و حكمه الابتلاء:

«و لو أراد اللّه-جل ثناؤه-حين بعثهم،ان يفتح لهم كنوز الذهبان، و معادن البلدان،و مغارس الجنان،و ان يحشر طير السماء،و وحش الأرض معهم لفعل،و لو فعل لسقط البلاء،و بطل الجزاء، و اضمحل الابتلاء،و لما وجب للقائلين أجور المبتلين،و لا لحق المؤمنين ثواب المحسنين،و لا لزمت الأسماء أهاليها على معنى مبين،و لذلك لو أنزل اللّه من السماء آيه فظلت أعناقهم لها خاضعين،و لو فعل لسقط البلوى عن الناس أجمعين » (۱)[۵]رسالات اللّه تستثير العقل،و تستنهض الفطره،و تطهر القلب من رواسب

ص:۱۵

۱- ۳) المصدر/ص(۴۶).

التقليـد،و تفـك القيود و الأغلال التى تمنع الانطلاق،و أولئك الـذين يكفرون بها إنما يعرضون عن ذكرهم،و يتشـبثون بالتقاليد الباليه.

وَ مٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ و قـد سـمى اللّه القرآن ذكرا لأنه يقوم بـدور المنبّه للإنسان،كمن يمشـى فى ظلام و هو يملك مصباحا غفل عنه،فيأتيه من يذكره بمصباحه.

مُحْدَثٍ بـالرغم من ان رسالات اللّه واحـده عبر القرون حتى ان الجـاهلين قالوا:إن هى الا أساطير الأولين،إلاّ أنّ الـذكر القرآنى محدث،و جديد.لماذا؟ أولا:لان القرآن جاء بعد هجعه من البشر،حيث فترت علاقاتها بالقيم، فكان ذكرا جديدا.

ثانيـا:لأن رسالات اللّه تـدعو الى العقل،و العقل إمام الإنسان الـذى يقوده إلى الأمام أبـدا،و الـذى يفك به البشـر قيود التقليـد،و أغلال الجمود، لذلك كانت تصطدم الرسالات الإلهيه بالتقاليد حيث كانوا يعرضون عنها.

إِلاّٰ كٰانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ [۶]أنهم تشـبثوا بالماضـى و اسـتهزءوا بالمحـدث،فكـذبوا بالرسـاله،و سـيأتيهم خبرهـا:أنها اسـتعلوا على باطلهم،و سيندمون و لكن عبثا.

فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبٰؤُا مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ [۷]و لو نظروا فى آيات اللّه،و عرفوا ربهم من خلالها،و آمنوا بأسمائه الحسنى،

لما كذبوا.

لو كانت نظره الإنسان الى الخلق من حوله سليمه لعرف صدق رسالات اللّه، لأنها تعبير صادق عن سنن اللّه فى خلقه.

أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ سر فى الأرض،و اطلع على حقل ناضر،وقف عند شجره مثمره،ماذا ترى؟ أنها جد متكامله،تضرب بجذورها فى الأرض،و تقوم على ساقها الغليظه،و تنشر فروعها من حولها بتناسق،و تتحدى الرياح و الأنواء و الآفات بعشرات من الأنظمه التى أودعها الرب فيها،ثم ماذا ترى؟ترى ان هذه الشجره-بالرغم من تكاملها الكريم-بحاجه الى زوج تتكامل به.كيف جعلها اللّه غنيه و كريمه من كل جانب،و كيف جعلها محتاجه الى غيرها فى هذا الجانب بالذات.

أو ليس فى ذلك دليل يهدينا الى ربنا،و الى أنه رحيم،و آيه رحمته تكامليه نعمه و شموليتها،و أنه عزيز و آيه عزته انه جعل كل شىء فى الخلق محتاجا الى غيره،فخلق من كل شىء زوجين اثنين ليهدينا إلى أنّه وحده العزيز الغنى سبحانه.

[٨] إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً أنها تكفى الإنسان حجه لو بحث عن الحجه،و دليلا لو انه اهتدى بدليل،و لكن أكثر الناس لا يبحثون عن حجه،و لا يريدون دليلا.

وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ فلا تنتظر إيمان الناس حتى تؤمن معهم،إنما بادر الى التسليم للحق.

ص:١٧

[۹]ان عزه اللّه تتجلی فی سنه(الزوجیه)بینما تتجلی رحمته فی الکرامه التی أسبغها علی الأشیاء،فلم یمنع عن الناس حاجاتهم،بل أودع فی الأرض ما ینفعهم،و کما خلق حاجه فی هذا الطرف خلقها فی الطرف الثانی،فلم یزل هذا بذاک،و ذاک بهذا.

وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ و النفس المؤمنه تعیش التوازن بین اسمی العزه و الرحمه.أی بین الخوف من غضب اللّه،و الرجاء لرحمته،و أکثر الناس تغرّهم رحمه اللّه،فیغفلون عن عزته،

یقول الدعاء:

(الهی اذهلنی عن اقامه شکرک تتابع طولک،و أعجزنی عن إحصاء ثنائک فیض فضلک،و أشغلنی عن ذکر محامدک ترادف عوائدک (۱)

و جاء فی دعاء آخر:

(و یحملنی و یجرأنی علی معصیتک حلمک عنی،و یدعونی الی قله الحیاء سترک علی،و یسرعنی الی التوثب علی محارمک معرفتی بسعه رحمتک،و عظیم عفوک » (۲)أنما المؤمنون یقاومون هذه الغفله بذکر نعماء اللّه،و التنبه الی احتمالات ذهابها.

[۱۰]و من آیات رحمه اللّه أنه بعث أنبیاءه الی عباده الظالمین،أو لیس الظلم ینغص النعم،و یستدرج العذاب؟فمن أولی من الرب الرحیم بأن یبعث الی

۱- ۴) مناجاه الشاکرین/الصحیفه السجادیه ص(۱۲۲).

۲- ۵) من دعاء أبی حمزه الثمالی،مفاتیح الجنان ص(۱۸۷).

عباده من ينذرهم عاقبه ظلمهم.

وَ إِذْ نٰادىٰ رَبُّكَ مُوسىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ النداء الواضح الذى لا يرتاب فيه السامع،و لا يختلط بحديث النفس أو وساوس القلب،يهبط هذا النداء الى موسى من الرب الذى لا تزال نعمه تتواتر على البشر،طورا فطورا،و مرحله بعد أخرى.

[١١]و الهدف واضح هو مقاومه الظلم،ليس لمصلحه المظلومين فقط،و إنما أيضا لمصلحه الظالمين الذين سيهلكهم ظلمهم.

لقد عاش موسى ردحا من عمره بين أولئك الظالمين،دون ان يحمّل رساله.

أنها-إذا-رساله اللّه،و ليست من عبقريه موسى.

قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لاٰ يَتَّقُونَ هؤلاء الذين يظلمون الناس لماذا لا يخشون عذاب ربهم و يتقّونه؟! [١٢]و أول ما يخشاه الإنسان قبل ان يشرع فى العمل هو الفشل،فكثير من الناس يتركون العمل لمجرد الخشيه من فشلهم فيه،و لأن القرآن يعالج كل أمراض البشر،و لأن هذه السوره المباركه برنامج عمل متكامل للدعاه الى اللّه،فإنها تفصّل القول فى العقبات التى لا بد من تذليلها عبر قصه موسى و هارون.كيف دعيا الى الرب.

و تهدينا هذه الآيه أولا:الى ضروره مقاومه خوف الفشل،الذى يعترى حتى الأنبياء قبل اعتصامهم باللّه.

ص:١٩

قٰالَ رَبِّ إِنِّی أَخٰافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ و تأتی فی نهایه السیاق معالجه هذا الخوف بقوله سبحانه:«کلا».

[۱۳]ثانیا:حمل رسالات اللّه إلی الظالمین لا یتمّ بسهوله،انما یسبب المزید من الصعاب لحاملها،و بالرغم من أنّ قدرات الفرد تتسع لکل تلک الصعاب إلا أنّ المقیاس هو مدی قدره استیعاب صدره لمشاکل العمل.

وَ یَضِیقُ صَدْرِی ثالثا:لعل شدّه تکذیب الناس تکون سببا فی انعقاد اللسان،أو ان هذا التکذیب بحاجه الی لسان طلق بلیغ.

و قالوا:کان موسی-علیه السلام-ألثغا،حیث لم یکن قادرا علی الإفصاح عن بعض الحروف.

و إذا کان الأمر هکذا فان الدرس الذی یعطیه السیاق هنا هو:ان هناک معوقات جسمیه قد تقف حاجزا دون القیام برساله اللّه،و علینا تحدّیها.

وَ لاٰ یَنْطَلِقُ لِسٰانِی فَأَرْسِلْ إِلیٰ هٰارُونَ ان حمل رسالات اللّه بحاجه الی إعلام قویّ،و کان موسی-علیه السلام- یعلم مدی صعوبه الأمر،فبادر الی طلب المساعد فی هذا الحقل بالذات.

[۱۴]رابعا:لیس بالضروره ان یکون حامل الرساله مقبولا حسب الأعراف و القوانین المرعیه فی البلد،و لیست تلک عقبه کأداء لا یمکن تجاوزها.إذا استصغرک القوم،أو استهزءوا بک،أو حتی إذا اعتبروک مجرما فلا تأبه،و امض فی طریقک،

فهذا النبى العظيم موسى بن عمران-عليه السلام-يعتبر من الناحيه القانونيه خارجا على الشرعيه،و هو من عنصر مستضعف و مستعبد،و قد قتل منهم واحدا، مما يعرضه للقصاص حسب قوانينهم،و مع ذلك يؤمر بحمل الرساله.

لقد قال موسى و هو يعبر عن هذه العقبه:

وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخٰافُ أَنْ يَقْتُلُونِ [۱۵]تلك كانت العقبات اجتمعت أمام موسى. دعنا نستمع إلى الرب و هو ينسفها بكلمته نسفا:

قٰالَ كَلاّٰ أنها ليست عقبات فى الواقع بقدر ما هى مخاوف فى النفس،لا تلبث ان تتلاشى بالتوكل على اللّه.

أو لست أنت و أخوك تحملان رسالات اللّه فلما ذا الخوف إذا؟! فَاذْهَبٰا بِآيٰاتِنٰا إِنّٰا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ذلك هو ضمان الانتصار.

فمن كان مع اللّه كان اللّه معه،و من كان اللّه معه فلا قوه فى الأرض تقف أمامه.

و أنت أيها الداعيه الكريم تجرد عن ذاتك فى اللّه،و هب للّه نفسك و ما تملك تجد اللّه نعم المولى و نعم النصير.

ص:۲۱

[سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۶ الى ۳۳]

اشاره

فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنّا رَسُولُ رَبِّ اَلْعالَمِينَ (۱۶) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ (۱۷) قالَ أَ لَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً وَ لَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ
سِنِينَ (۱۸) وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ اَلَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ اَلْكافِرِينَ (۱۹) قالَ فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ اَلضّالِّينَ (۲۰) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَ جَعَلَنِي مِنَ اَلْمُرْسَلِينَ (۲۱) وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ (۲۲) قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ
اَلْعالَمِينَ (۲۳) قالَ رَبُّ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (۲۴) قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَ لا تَسْتَمِعُونَ (۲۵) قالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ
آبائِكُمُ اَلْأَوَّلِينَ (۲۶) قالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ اَلَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (۲۷) قالَ رَبُّ اَلْمَشْرِقِ وَ اَلْمَغْرِبِ وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ
(۲۸) قالَ لَئِنِ اِتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ اَلْمَسْجُونِينَ (۲۹) قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (۳۰) قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ
اَلصّادِقِينَ (۳۱) فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ (۳۲) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنّاظِرِينَ (۳۳)

اللغه

۲۲[عبّدت]:عبده و أعبده إذا اتخذه عبد و عبدت أى جعلتهم عبيدا مضطهدين.

ص:۲۲

٣٣[و نزع يده]:أی أخرجها.

ص:٢٣

إِنّا رَسُولُ رَبِّ الْعٰالَمِينَ

هدى من الآيات:

يحاور موسى برسالات ربه فرعون و قومه،بينما يجادل فرعون معتمدا على منطق القوه.يذهب موسى و أخوه الى فرعون بأمر ربهما قائلين: إِنّٰا رَسُولُ رَبِّ الْعٰالَمِينَ ، مطالبين بتحرير بنى إسرائيل،و يجادل فرعون بحجج ثلاث:

أولا:انه ولى نعمته،فكيف يخرج من طاعته؟! ثانيا:انه قد قتل منهم و هو كافر(به أو بقوانين بلاده)فيرده موسى بأنه لم يكن كافرا،بل كانت تنقصه هدايه الرب و رسالاته،و إنما هرب منهم خشيه بطشهم،أما الآن فالأمر مختلف،لقد وهب اللّه له حكما فأصبح قائدا و على فرعون طاعته،و جعله مرسلا و على الناس طاعته،و أضاف:ان استعباده لبنى إسرائيل (و كان منهم)ليس منّه يمنّها عليه،و بالتالى ليس من الصحيح ان يمّن عليه بأنه لبث عنده من عمره سنين.

ص:۲۴

ثالثا:يجادل فرعون حين يسأل عن رب العالمين-و لعله سأله عن ماهيته- فيجيبه موسى:بأنه «رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ» و لكنه استهزأ قائلا لمن حوله:« أَ لاٰ تَسْتَمِعُونَ »اشاره الى عدم اقتناعه،فأضاف موسى:بان اللّه «رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبٰائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» فعاد فرعون يسخر منه قائلا:انه«لمجنون»،و استمر موسى قائلا:ان اللّه «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ» .

فلما رأى قوه منطق موسى توسل بمنطق القوه و قال: «لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهَاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ» .

و تحدى موسى إرهابه قائلا:انى أملك برهانا،فلما طالبه به ألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين،و اخرج يده من جيبه فاذا هى بيضاء للناظرين.

تلك هى رسالات اللّه،و ذلك منطقهم الحق.

بينات من الآيات:

منطق الرسل:

[۱۶]لقد استجاب الرب لطلب موسى بأن يجعل له وزيرا من أهله،فبعثه هو و أخاه هارون الى فرعون.

فَأْتِيٰا فِرْعَوْنَ فَقُولاٰ إِنّٰا رَسُولُ رَبِّ الْعٰالَمِينَ لقد كانت رساله واحده،يحملها اثنان،و لعله-لذلك-جاء التعبير هكذا:

«انا رسول»و لم يأت«انا رسولا»و لقد كان الرسول هو موسى،بينما كان هارون وزيره،و الوحى كان يهبط عليه دونه،و كان ينوب عنه عند غيابه.

و جاء فی حدیث طویل مأثور عن الإمام الباقر علیه السلام عن کیفیه ذهاب موسی الی باب قصر فرعون،تقول الروایه:

«...فغدا الی فرعون،فواللّه لکأنی أنظر الیه طویل الباع،ذو شعر أدم، علیه جبه من صوف،عصاه فی کفه،مربوط حقوه بشریط،نعله من جلد حمار شراکها من لیف،فقیل لفرعون:ان علی الباب فتی یزعم انه رسول رب العالمین،فقال فرعون لصاحب الأسد:خل سلاسلها،و کان إذا غضب علی رجل خلّاها فقطعته،فخلاها،فقرع موسی الباب الأول-و کانت تسعه أبواب -فلما قرع الباب الأول انفتحت له الأبواب التسعه،فلما دخل جعلن یبصصن تحت رجلیه کأنهن جراء،فقال فرعون لجلسائه:رأیتم مثل هذا قط؟! » (1)[17]لرسالات اللّه شواهد منها علیها،و من شواهدها تحدی أکبر فساد فی المجتمع،دون خلاف أو مداهنه،لقد تحدی نوح-علیه السلام-الطبقیه، و إبراهیم-علیه السلام-الوثنیه،و مثله فعل النبی محمد-صلی اللّه علیه و آله- و لوط تحدی الفساد الخلقی،بینما واجه شعیب الفساد الاقتصادی و هکذا،أما موسی -علیه السلام-فقد حارب العنصریه،و طالب فرعون بتحریر بنی إسرائیل الذین کان قد استضعفهم قائلا:

أَنْ أَرْسِلْ مَعَنٰا بَنِی إِسْرٰائِیلَ

منطق الطغاه:

[18]یبدو من السیاق ان فرعون-شأنه شأن سائر الطغاه-حاول ان ینسب نعم اللّه الی نفسه،و یمنّ علی موسی بأنه قد أنعم علیه بالتربیه و التغذیه.

1- 1) نور الثقلین/ج(4)/ص(48).

قٰالَ أَ لَمْ نُرَبِّکَ فِينٰا وَلِيداً فلما ذا خرجت على أسس المجتمع و قيمه ما دمت تربيت فى احضانه،و تغذيت من أفكاره و ثقافته،و لعلنا نستوحى من هذه الآيه مدى اعتماد الطغاه على عامل التربيه فى إفساد ضمير الناس،و بالرغم من أهميّه هذا العامل إلا أنّ رسالات اللّه تتحداه، فاذا بموسى الذى كان ينسب الى فرعون عند الناس حينا يخرج عليه، و يهدم سلطانه،و إذا بمؤمن آل فرعون يعيش فى بلاطه ثم يثور عليه،و إذا بزوجته آسيه بنت مزاحم تكون نصيره الحق،و تضحى بنفسها فى سبيل اللّه،و إذا بأصحاب الكهف و هم وزراء طاغوت دهرهم(دقيانوس)ينقلبون الى ربهم.

ثم قال فرعون:

وَ لَبِثْتَ فِينٰا مِنْ عُمُرِکَ سِنِينَ و هكذا يقول الطغاه:الم نعبّد الشوارع،و نبنى المستشفيات.الم يتخرج من جامعاتنا كذا طالب،ألم يتقدم اقتصاد بلادنا؟! انهم يخطئون مرتين:أولا:حين يجعلون التقدم المادى دليلا على سلامه نهجهم،بينما التقدم المادى قد يكون وليد عوامل أخرى كانبعاث آبار البترول،أو جوده موسم الزراعه،أو حتى جهود الناس من علماء،و مدراء،و تجار،و عمال، و فلاحين.الناس يعملون و الحكام يفتخرون،و انما فخر الحكام بإشاعه العدل، و المحافظه على الحريه،و توفير فرص الكمال الروحى.

ثانيا:حين يعطون الناس أرقاما خاطئه،و يذكرون فقط الجوانب المشرقه، و يسكتون عن الجوانب السلبيه،و يرهبون من يتحدث عنها حتى لا تبدو فضائحهم.

لقد منّ فرعون على موسى انه سمح له بأن يعيش مستضعفا فى بلاده،و كأن القاعده كانت تقضى بقتل موسى،أما ان يبقى حيّا يتنفس فانها نعمه يمن بها عليه.

[١٩]و ذكره بقتل القبطى،و اعتبرها جريمه كبيره تجعل صاحبه فى مصاف الكفار،فقال:

وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ ان حكام الجور يضعون قوانين يحكمون بها سيطرتهم على الناس،ثم يعتبرون الخروج عليها جريمه بل كفرا-و لعل فرعون أراد ان يعيّر موسى بأنه لم يكن يومئذ يؤمن باللّه-و يفتشون فى ملف الثائرين ليجدوا فيها ثغره يدخلون منها عليهم، و ينسون ان بقاءهم فى السلطه رغما على الناس أكبر جريمه،و أعظم كفرا.

و قد يكون القانون سليما،و لكن لا يحق للسلطان الجائر ان يكون منفذا له.إذ ان سلطته ليست شرعيه،و حين ينفى الثائر شرعيه السلطه لا ينبغى الحديث عما يترتب عليها من الانظمه السائده.

و لكن الطغاه يريدون تضليل الناس بذلك،و على الرساليين ألاّ يأبهوا بذلك أبدا،و يعيدوا إلى أذهان الناس أصل وجود النظام،و الذى لو لم تثبت شرعيته لا يحق له تنفيذ القانون،بل تنفيذ القانون بذاته يصبح جريمه تسجل عليه و على أركانه.

[٢٠]لقد قتل موسى القبطى الذى أراد سخره الإسرائيلى، و لعله كان يقتله ان لم يقبل بسخرته،و بذلك كان الرجل يستحق القتل بحكم القيم الحق التى فطر اللّه الناس عليها،و جاءت بها شرائع اللّه.أو ليس من قتل دون نفسه أو عرضه أو ما له فهو شهيد؟

و یبدو ان موسی تجاوز الحدیث عن مقتل القبطی،و رکز علی أمرین:

الاول:انه لم یکن کافرا باللّه یومئذ(ان کان مراد فرعون بقوله:«من الکافرین».الکفر بالرب)و انما کان ضالاّ بسبب فقدانه للرساله التی هی الهدی و الضیاء،فقال:

قٰالَ فَعَلْتُهٰا إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضّٰالِّینَ ان الضلال لیس کالجحود و الکفر انما هو عدم الهدی و هو لیس عیبا،و قد قال ربنا عن نبیه الأکرم محمد-صلی اللّه علیه و آله-: «وَ وَجَدَکَ ضَالاًّ فَهَدیٰ» و لم یکن الرسول ضالا،انما لم یکن یحمل رساله فهداه اللّه إلیها.

و کل أنبیاء اللّه بشر یفقدون العلم و الحکم قبل النبوه و الرساله،و إنما یتمیّزون علی سائر الناس بالوحی،و لیس بعنصر إلهی یتداخل فیهم،و القرآن حافل ببیان هذه الحقیقه تصریحا أو بالاشاره،و قد قال سبحانه: قُلْ إِنَّمٰا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ یُوحیٰ إِلَیَّ .

و دلیل صدقهم أساسا هو ان الوحی یحدث تحولا فجائیا فیهم،فبینما الرسول یلبث فی قومه دهرا،لا یدعوهم الی شیء،تراه یبعث إلیهم برساله متکامله،من المستحیل ان یکون قد ابتدعها من نفسه بین عشیه و ضحاها.

و هذا بخلاف العلماء و الباحثین الذین تتکامل أفکارهم و بحوثهم یوما بعد یوم.

و لعل فی قوله:«إذا»دلاله علی أنّه رد التهمه أساسا،و أجابه:انه إذا سلّم بوجود نقص عنده-جدلا-فانما هو الضلال،و عدم الوحی.

ص:۲۹

و جاء فى حديث مأثور عن الامام الرضا عليه السلام:

«انه أراد أنه ضل عن الطريق بوقوعه الى مـدينه من مدائن فرعون » (۱)[۲۱]و قد فرّ موسى عن مدائن فرعون خشيه عنصريته،التى كان يدين- بموجبها-أىّ واحد من بنى إسرائيل بمجرد الصراع بينه و بين الأقباط.

فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمّٰا خِفْتُكُمْ و الآيه تدل على أن الفرار من الظلم فضيله،أولا أقل لا بأس به.

و نستوحى أيضا من الآيه:ان التمرد على قوانين الانظمه غير الشرعيه عمل شريف.

و لأن موسى نصر الحق،و رفض الخضوع لنظام الطاغوت،و لأنه توكل على اللّه، و هاجر عن بلاد الكفر،فان اللّه أكرمه بالنبوه و الرساله.

فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً ان حرف الفاء يوحى إلينا بأن هناك علاقه بين فراره من ظلم فرعون و بين الحكم الذى وهبه اللّه له،و لعل الحكم هو العلم،و لعله النبوه التى تسبق الرساله.

وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ و نستوحى من كلمه«جعلنى»ان صاحب الرساله هو الحاكم و الخليفه فى الأرض،و ان هذا المنصب بحاجه الى قرار و جعل و تنصيب.

۱- ۲) المصدر/ص(۴۸،۴۹).

[۲۲]وردّ موسى جدل فرعون إذ قال: أَ لَمْ نُرَبِّكَ فِينٰا وَلِيداً :بان استعبادك لبنى إسرائيل،و ذبح أبنائهم،و استحياء نسائهم،و استخدام بعضهم لتربيه البعض الآخر كرها،أعيب عليك ذلك،و اين تلك من هذه،تمنّ على التربيه و لكنى أعيّرك بما فعلت ببنى إسرائيل.

من الذى ربى موسى؟أليس بنو إسرائيل أنفسهم بأمر من فرعون،ثم ما الذى الجأ أم موسى لتجعله فى التابوت،ثم تقذفه فى اليم،و ما الذى أعطى الحق لفرعون ان يقتل هذا و يعفو عن ذلك،و يسرق أموال هذا و يضعها عند ذاك.أو ليس كل ذلك جريمه لا بد ان يعاقب عليها فرعون،ذو الظلم و الطغيان،و ليس ثمّه نعمه يشكر عليها.

وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهٰا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرٰائِيلَ و نستوحى من الآيه فكرتين:

أ-ان فراعنه كل عصر يجب ان يلقموا حجرا كلما زعموا ان عليهم منّه على الناس،ذلك أن جميع تقلباتهم فى البلاد و تصرفاتهم فى شؤون العباد جرائم لأنها ليست بإذن اللّه،و لا بتخويل من الناس.

ب-انّ موسى تجاوز نفسه و تحدث عن كل بنى إسرائيل،كما تجاوز الحديث عن قضيه محدوده الى بيان جذرها،و هكذا ينبغى ألاّ يقع الفرد الرسالى فى الخطأ بالحديث عن ذات القضيه التى يتحدث عنها الظالمون،و لا بالحديث عن أنفسهم، بل يتحدثوا عن جذور المشكله حسب نهجهم الاعلامى المستقل،و عن آلام الشعب جميعا.انهم-وحدهم-ممثلوا الناس،و عليهم أن ينطقوا باسمهم و عن مشاعرهم.

[۲۳]لم يجد فرعون نفعا توسله بالقضايا الجانبيه،لأن موسى جاء بحجه أبلغ، فاضطر الى الجدل حول جوهر الرساله،و يبدو من سياق الحديث انه اتخذ نهج الاستهزاء وسيله لجدله.

قٰالَ فِرْعَوْنُ وَ مٰا رَبُّ الْعٰالَمِينَ لم يقل:و من رب العالمين لجهله المفرط،و أسلوبه الساخر،و لعله سأل عن طبيعه اللّه،فلم يسترسل موسى معه،لأن معرفه الذات مستحيله.

[۲۴]انما مضى موسى قدما فى دعوته الى اللّه عبر آياته،و بيّن أن جهلهم باللّه آت من نقص فى أنفسهم.

قٰالَ رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ و هكذا ينبغى ان يستدل المؤمن على ربه بآياته و أفعاله،مقتديا بنهج أنبياء اللّه.

جاء فى حديث مأثور عن أمير المؤمنين-عليه السلام-،فى صفه اللّه سبحانه:

«الذى سئلت الأنبياء عنه،فلم تصفه بحدّ،و لا ببعض،بل وصفته بفعاله، و دلت عليه بآياته » (1)و حين قال موسى: «إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ» أشار إلى أنّ الإيمان باللّه لن يبلغه من لا يجهد و لا يبحث عن علم و يقين،و أن جهلهم بربهم ناشئ من نقص فيهم، حيث سدّوا منافذ قلوبهم عن نور المعرفه.

[۲۵]كان الحديث بين موسى و فرعون،فأدار فرعون رحاه باتجاه الملأ من

۱- ۳) المصدر/ص(۴۹).

حوله،لماذا؟هل خشى ان ينقلبوا عليه،أم أراد ان يتظاهروا على موسى حين شعر بضعف حجته؟ قٰالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَ لاٰ تَسْتَمِعُونَ اسأله عن شىء فيجيبنى عن شىء آخر.و فى حديثه نبره استهزاء،و كأنه يقول:

ان حجته ضعيفه.

[۲۶]لم يأبه موسى-عليه السلام-بسخريته،و التزم نهجه القويم فى التذكره بالرب،و تحطيم أغلال الجهل عن أنفسهم.

قٰالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبٰائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فهو اللّه الذى كان على آبائكم التسليم له،فلا يجوز التسليم لآبائكم إن كانوا كافرين به، و لا ينبغى تقديسهم،و الجمود على أفكارهم الباليه،و إذا شمل آباءكم العذاب بسبب كفرهم بالرب فان ذات العذاب سينزل عليكم لذات السبب، هكذا فكّ غلّ عبوديه الآباء عنهم،و حذرهم من مغبّه الجحود.

[۲۷]و خرج فرعون عن طوره،و أتهم موسى بالجنون،مستخدما أسلوبه الساخر،إذ وجه الخطاب الى الملأ كى يثير فيهم العصبيه.

قٰالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ هكذا بلغت الرعونه عند فرعون ذروتها حيث أتهم رسول رب العالمين بالجنون.

[۲۸]أما موسى الذى لم يرهب إعلام فرعون التضليلى،و لم يغضب لنفسه، فقد مضى فى سبيله يدعو الى ربه بالتذكره تلو التذكره.

ص:۳۳

قٰالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ و هذا بذاته دليل صدق دعوته انه لم يقم لنفسه بل لربه،و لا يدعو الى ذاته بل الى اللّه،و هكذا ينبغى ان يتحمل الرساليون كل أذى،و لا ينهاروا بسبب تهم الطغاه انّى كانت كبيره.

[۲۹]و انقلب فرعون خائبا من أسلوبه التضليلى الساخر،فاتجه الى التهديد:

قٰالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهَاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ان الطغاه يرهبهم قوه المنطق فيلجئون الى منطق القوه،و يخافون على عروشهم فلا يتورعون عن ارتكاب ايه جريمه.

و لكن موسى-عليه السلام-و كل الدعاه الى اللّه سوف يبلغون مستوى عاليا من النصر عند ما يعرّون النظام من لباس التضليل،و يلجئونه الى استخدام آخر وسيله لهم للسيطره الا و هى الإرهاب.

[۳۰]و كما الجبل الأشمّ صمد موسى امام تهديد فرعون،كما صمد آنفا أمام سخريته و تهمه،فلم يزل يواجهه بسلاح المنطق.

قٰالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ فيه دلاله ملموسه،تكون أقرب إلى عقولكم المغلقه الجامده.

[۳۱]و هنا أيضا خسر فرعون الموقف،إذ طالبه فعلا بذلك الشيء المبين، ماضيا فى غروره و ظنه أنّ الباطل لا يغلب.

قٰالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِينَ

[۳۲]استجاب النبی موسی للتحدی فورا.

فَأَلْقیٰ عَصٰاهُ فَإِذٰا هِیَ ثُعْبٰانٌ مُبِینٌ کان ثعبانا ضخما،قد فغر فاه،کاد یلتهم قصر فرعون بما فیه.

[۳۳] وَ نَزَعَ یَدَهُ فَإِذٰا هِیَ بَیْضٰاءُ لِلنّٰاظِرِینَ و بهت فرعون،و فلحت حجه موسی،و ظهر برهانه.

ص:۳۵

[سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۳۴ الى ۵۱]

اشاره

قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هٰذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ (۳۴) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَما ذا تَأْمُرُونَ (۳۵) قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ ابْعَثْ فِى الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (۳۶) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحّارٍ عَلِيمٍ (۳۷) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (۳۸) وَ قِيلَ لِلنّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (۳۹) لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كانُوا هُمُ الْغالِبِينَ (۴۰) فَلَمّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَ إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنّا نَحْنُ الْغالِبِينَ (۴۱) قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (۴۲) قالَ لَهُمْ مُوسىٰ أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ (۴۳) فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَ عِصِيَّهُمْ وَ قالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ (۴۴) فَأَلْقىٰ مُوسىٰ عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ (۴۵) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ (۴۶) قالُوا آمَنّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ (۴۷) رَبِّ مُوسىٰ وَ هارُونَ (۴۸) قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (۴۹) قالُوا لا ضَيْرَ إِنّا إِلىٰ رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ (۵۰) إِنّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَنْ كُنّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (۵۱)

اللغه

۳۶[حاشرين]:هم الذين يحشرون السحره و يجمعونهم.

ص:۳۶

۴۹[من خلاف]:كأن يقطع الرجل اليمنى و اليد اليسرى أو العكس.

۵۰[لا ضير]:أى لا ضرر علينا فيما تفعله بنا.

ص:۳۷

فَأُلْقِیَ السَّحَرَهُ سٰاجِدِینَ

هدی من الآیات:

ازداد الصراع احتداما،و حاول فرعون أن یتّهم موسی بالسحر،و أثار فیهم حب الوطن زاعما:أنه یرید ان یخرج الناس من أرضهم،و استمالهم بالتشاور معهم لمعرفه رأیهم فی مصیر موسی،فأشاروا علیه بحبسه،و بعث العملاء الی أطراف البلاد لجمع السحره الماهرین،فلما حشروا لیوم عید دعوا الناس للاجتماع، محددین هدفه سلفا باتباع السحره،و جاء السحره طالبین من فرعون أجرهم فبالغ فی إعطاء الوعود لهم،فقال لهم موسی:القوا حبالکم،فلما فعلوا أقسموا بعزه فرعون انهم هم الغالبون.

و قد ترددت کلمه الغلبه فی الآیات مشیرا-فیما یبدو-الی حده الصراع و مصیریته.

و القی موسی عصاه فاذا بها تلتهم إفکهم، فَأُلْقِیَ السَّحَرَهُ سٰاجِدِینَ، قٰالُوا:آمَنّٰا بِرَبِّ الْعٰالَمِینَ، رَبِّ مُوسیٰ وَ هٰارُونَ ،و انقلب السحر علی الساحر.

ص:۳۸

أما فرعون(الـذى لم ينقصه العناد)فقد قال لهم:لماذا آمنتم به قبل ان آذن لكم؟(و احتوى الهزيمه سـريعا)و قال لهم:انه قائدكم،و أنتم تشاركون معه فى الثوره،و هددهم بأنه سوف يقطع أيديهم و أرجلهم،و ليصلبنّهم أجمعين.

و مره أخرى أثبتت الرسـاله قوتهـا حيث قـال السـحره: «لاٰ ضَيْرَ إِنّٰا إِلىٰ رَبِّنٰا مُنْقَلِبُونَ» الـذى نطمع ان يغفر لنا خطايانا،و ان يجعل مبادرتنا الى الايمان كفاره لذنوبنا.

بينات من الآيات:

جمع السحره:

[۳۴]لا بد ان يكون صاحب الرساله مستعدا أبدا لتطورات الصراع،و مضاعفه التحديات،حتى تبلغ الذروه.فهذا النبى العظيم موسى افتتح دعوته بقول ليّن، و استمر على ذلك النهج بالرغم من استفزاز فرعون بسخريته اللاذعه،و لكن فرعون توعده بالسجن فجاءه موسى بشىء مبين،و مضى فرعون فى طريق العناد فاتّهم موسى بالسحر.

قٰالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هٰذٰا لَسٰاحِرٌ عَلِيمٌ و يبدو ان السـحر كان منفورا منه بالرغم من انتشاره بين الناس يومئذ،و قد ألصق تهمه السحر بموسى و لكنه ما لبث أن استعان بالسحره،و وعدهم بأن يجعلهم من المقربين اليه،ثم لما آمنوا عاد و اتهم موسى بأنه كبيرهم.

و هكذا يتقلب الطغاه حسب مصالحهم،و هذا التقلب-بذاته-دليل زيفهم.

[۳۵]جبل الإنسان على حبّ أرضه التى نبت منها،و يستغل الطغاه هذا

الحبّ بصوره قذره،و يدّعون أبدا أنّهم حماه الأرض،و دعاه الأمن من الخطر الخارجی أو الداخلی.

و هكذا اتهم فرعون موسی بأنه مخلّ بالأمن،و أن هدفه النهائی طرد الأقباط من أرضهم،فقال:

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ و لم يكن فرعون يأبه بآراء الناس لأنه كان يزعم أنه الأهم،و ربهم الأعلی، و كيف يجوز للرب ان يستشير المربوبين؟! و لكنه حين خاف انهيار عرشه بادر الی المشوره،لا لكی ينتفع بعقولهم و تجاربهم،أو لا تری كيف كان يبادر بالجواب قبلئذ دون استشاره؟و انما يستميلهم،و يمنع من تأثير حجج موسی البالغه فيهم،و أيضا لكی يشاركوه فی جريمته التی نوی ارتكابها بحق النبی موسی فلا تأخذهم به رأفه من بعد تنفيذها.

هكذا خاطب من حوله قائلا:

فَمَا ذَا تَأْمُرُونَ و هكذا الطاغوت أبدا لا يريد آراء الناخبين ليخضع لها،بل بحثا عن الأهداف التاليه:

أ-الإيحاء إلی الناس بأنهم يضعون القرار لأنفسهم حقا،و ليس هو وحده.

ب-جس نبض الشعب،و معرفه مدی تأثير أعلامه فيهم،و مدی قوه معارضيه،و مكامن نفوذهم ليقوضهم.

ص:۴۰

ج-لإضفاء الشرعيه الكاذبه على حكمه،كذلك تراهم يبادرون الى الانتخابات إذا بلغ بهم الخوف مداه،و على الرساليين ان يعوا هذه اللعبه،و ان يقوموا بتوعيه الناس سلفا بما يقوم به الطغاه لخداعهم،و الاستمرار فى التسلط عليهم.

[۳۶]كانت الثقافه الفاسده،و الاعلام المضلل و لا زالت أعظم ركيزه لسيطره الطغاه،و لقد كانت آثار الإغواء و الفتنه و التضليل أبلغ بكثير من آثار السجن و القتل و التعذيب.

و يبدو ان نظام فرعون كان يستخدم السحر و وسيله لتكريس سلطته،و قد كان السحر منتشرا بين الاقباط يومئذ،و السحر نهايه مطاف الحضاره،و انتشاره يدل على وصول الناس الى أدنى مستوى من العلم و المعرفه.أنه ليس إلّا اثاره للخيال عبر مجموعه حركات و أصوات و العاب خادعه،و لا يتأثر به إلا من سلّم نفسه لتأثيراته.

و يبدو ان مركز تأثير السحر هو أعصاب الناس عبر منبهات صوتيه،و حركات متناغمه،و حركات بهلوانيه.

هكذا أشار الملأ من حول فرعون عليه ان يستغل السحره لمواجهه آيه موسى بعد اعتقاله و أخاه.

قٰالُوا أَرْجِهْ وَ أَخٰاهُ اى ابقهما رهن الاعتقال،و بالرغم من أن مستشارى فرعون لم ينصفوا رسولهم،و لكنهم كانوا أقرب رشدا من مستشارى نمرود حيث أمروه رأسا بحرق نبيهم إبراهيم-عليه السلام-و فى الحديث:أن أولئك كانوا أولاد زنا بينما كان هؤلاء رشده.

و

فی روایه أخری عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السلام قال:

کان فرعون إبراهیم و أصحابه لغیر رشده،فإنهم قالوا لنمرود: «حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ فاعِلِینَ» و کان فرعون موسی و أصحابه لرشده،فإنّه لما استشار أصحابه فی موسی قالوا: «أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ ابْعَثْ فِی الْمَدائِنِ حاشِرِینَ* یَأْتُوکَ بِکُلِّ سَحّارٍ عَلِیمٍ» (۱) وَ ابْعَثْ فِی الْمَدائِنِ حاشِرِینَ أرسل إلی أطراف البلاد من یجمع السحره،و هکذا أعلن فرعون-حسب هذا الرأی-حاله الاستنفار القصوی لجهازه الثقافی و الاعلامی لإحساسه بمدی خطوره التحدی.

[۳۷]و هکذا أمروه بتعبئه کل المهره من السحره.

یَأْتُوکَ بِکُلِّ سَحّارٍ عَلِیمٍ

فوقع السحره ساجدین:

[۳۸] فَجُمِعَ السَّحَرَهُ لِمِیقاتِ یَوْمٍ مَعْلُومٍ و لعله کان یوم عید قومیّ لهم.

[۳۹]کان بإمکان فرعون أن یجری الصراع علی حلبه قصره،بین النبی موسی و السحره من أنصاره،و لکنه دعا الناس جمیعا لیشهدوا المنافسه،کما فعل من قبل نمرود حیث لم یکتف حین أراد حرق إبراهیم-علیه السلام-بقلیل من الحطب،

۱- ۱) بحار الأنوار/ج(۱۲)/ص(۳۲).

بـل أشـعل نـارا كـانت تلتهم الطير على بعـد أميال.لمـاذا؟ لأن الطغاه يعيشون أبـدا حاله الهلع،فإن قلوبهم تهتز من أدنى معارضه، فيتظاهرون بالقوه لتعديل توازن أنفسهم،و لكى يرهبوا الناس أن يتأثروا بإعلام المعارضه،و هكذا فعل فرعون:

وَ قِيلَ لِلنّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ كان التعبير-هذه المره-رقيقا،لما أحس به فرعون من خطر محدق،فأراد استماله الجماهير.

بلى..ان الطغـاه يريـدون تمرير قراراتهم من خلال رأى الناس،لكى يوهموهم أنهم هم أصحاب القرار،و مسكينه هـذه الشعوب الجاهله كم و كم تمر عليها هذه اللعبه و حتى هذا اليوم.

[۴۰]لم يكن هـدف حشـد النـاس جعلهم الحكم بين النظـام و المعـارضه، ليختـاروا ما يرونه حقا.كلا..انما كان الهـدف تكريس سلطه فرعون،لذلك قالوا:

لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كانُوا هُمُ الْغالِبِينَ و لعل هذه الآيه تشير الى الهجمه الإعلاميه التى قامت بها أجهزه السلطه ضد موسى-عليه السلام-و صنعت أجواء رفض رساله اللّه،و اتباع السحره حتى قبل نزولهم الى حلبه التنافس.

[۴۱]و جاء السـحره،و اجتمع الناس،و عبّئت الأجواء لتأييـد فرعون،و تكونت فرق التشـجيع على أطراف الحلبه لصالـح السـحره،و دقّت الطبول،و استعد الجلادون

لإنزال أقسى العقوبات بموسى و أخيه،و التنكيل ببنى إسرائيل،و خنق كل صوت للمعارضه،و تمثل السحره أمام فرعون يطلبون أجرا.أو ليسوا قد سخروا طوال الفتره للعمل فى البلاط بلا أجر،أو لم يكن عمل السخره شائعا فى عهد فرعون.أو لم تنتشر على أطراف أهرامات مصر التى بناها الفراعنه قبور المحرومين على امتداد أميال،من أولئك الذين كان يجمعهم النظام من أطراف مصر ليبنوا مقابر لأركانه، و ليعلو بذلك مجده،ثم يسخرهم بلا أجر فى ظروف قاسيه،فاذا ماتوا أهال عليهم حفنه من التراب و جاء بغيرهم؟!آه كم استخف الظالمون بأرواح البشر،و الى اليوم،و الى متى؟! كلاّ..هذه المره نطالبه بأجر.فرعون هذا اليوم يختلف عنه بالأمس،انه مضطرب.دعنا نستغل ذلك لمطالبته بأجر على الأقلّ.

فَلَمّا جاءَ السَّحَرَهُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَ إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنّا نَحْنُ الْغالِبِينَ فاذا كان الأمر كذلك فسوف نبذل المزيد من الجهد للغلبه.

لقد اهتز ضميرهم منذ اللحظه الأولى التى واجهوا فيها موسى.

فمن هذا الراعى الذى جاء بعصاه يتحدى أكبر طاغوت،و أعظم امبراطور، و لماذا عجز فرعون عن التنكيل به كما ينكل بألوف الناس من بنى قومه؟! و جاء فى تفسير على ابن إبراهيم:«ان السحره حين بصروا بموسى،رأوه ينظر إلى السماء،قالوا لفرعون:انا نرى رجلا ينظر الى السماء،و لن يبلغ سحرنا الى السماء». (۱)

ص:۴۴

۱- ۲) تفسير نور الثقلين/ج(۴)/ص(۵۱).

[۴۲]فرعون يعرف-كما سائر الطغاه-بان العرش انما يصنعه هؤلاء (ادعياء الدين و العلم)الذين يسرقون سلاح الرفض من أيدى المحرومين،و يزرعون فيهم الخوف و الخنوع،و انه لا بد من شراء ضمائر هذه الطائفه المخاسره بأى ثمن.

لذلك...

قَالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ان القيمه الحقيقيه لهذه الضمائر الخائنه هى المشاركه فى الملك،و هذا ما تبرع به فرعون،و وعد به السحره،أو ليسوا قد شاركوا فى صنع العرش و فى كل الجرائم التى يرتكبها صاحبه،فلما ذا لا يشاركونه فى غنائمه.

و لكن العلماء الفسقه لا يعرفون عاده القيمه الحقيقيه لما يبيعونه،فتراهم يرضون بالثمن الزهيد،فيخسرون اَلدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

[۴۳]من أعظم صفات الأنبياء عليه السلام التى تشهد بصدقهم:تحديهم لقوى أعظم منهم-كبشر-أضعافا مضاعفه،مما يشهد باعتمادهم على رب القدره و العظمه سبحانه.

هكذا تحداهم موسى.

قَالَ لَهُمْ مُوسىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ و ما عسى ان ينفعكم ما تلقون أمام قدره الرب؟! [۴۴]و لم يكن يملك أولئك البؤساء غير مجموعه حبال و عصى فألقوها.

فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَ عِصِيَّهُمْ

ص:۴۵

و قد استنفدوا كل جهدهم بذلك،و أضافوا اليه القول قسما:

وَ قالُوا بِعِزَّهِ فِرْعَوْنَ إِنّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ کانت عزه فرعون-فی زعمهم-منتهی القوه الموجوده فی الأرض،فأقسموا بها،و حین یصل الإنسان الی الاعتزاز بقوه مادیه بهذه الدرجه التی یحلف بها فان نهایته قد آنت.أو لیس من أعتز بغیر اللّه ذلک؟!

جاء فی الحدیث القدسی:

«العظمه ردائی و الکبریاء ازاری فمن نازعنی فیها لعنته » [۴۵]هنالک أمر اللّه موسی بأن یلقی عصاه.

فَأَلْقی مُوسی عَصاهُ فَإِذا هِیَ تَلْقَفُ ما یَأْفِکُونَ [۴۶-۴۷]خلق الإنسان علی الفطره التی تتجلی فیها آیات اللّه،و لو لم تلوث الصفحه البیضاء،التی یتکون منها قلب البشر بالتربیه الفاسده،و النظام الفاسد،و الشهوات و..و..فسوف تنعکس علیها تجلیات الرب.

و حتی لو تورط الإنسان فی الذنوب فإن نفسه تظل تلومه،و فی لحظات خاصه یتعرض القلب لشلال من نور الحقیقه یکاد ینصدع به،حیث یستیقظ فیه ذلک الوجدان،و ینهض متحدیا حجب الذنوب،و إذا وفقه اللّه حدث فیه تحول مبارک و عظیم.

و هکذا خرّ السحره ساجدین للّه،فی وسط دهشه الجمیع.

فَأُلْقِیَ السَّحَرَهُ ساجِدِینَ* قالُوا آمَنّا بِرَبِّ الْعالَمِینَ

ص:۴۶

هكـذا ينبغى على من يحمـل مشـعل الثقافه الرساليه الا يهن،و لا ينى يهاجم الظلام الشـيطانى.ذلك أن النور سـيطوى الظلام أنّى كان متراكبا.

[۴۸]و لأـن السـحره آمنوا بـاللّه بـدلاله موسـى،و حيث تجلت آيه اللّه على يـده، فـإنهم ذكروه،و لأـن هارون-بـدوره-كان وزيرا لموسى فقد جاء ذكره عند هذه اللحظه.لحظه المفاجئه الكبرى.

رَبِّ مُوسىٰ وَ هٰارُونَ هكذا يقدّر الرب أعمال عباده الصالحين.

[۴۹]كان فرعون موغلا فى الضلاله و الجحود،فلم يهتد بكل تلك الآيات، بل ظل يعاند بما أوتى من قوه.

قٰالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ و توعـدهم بالعـذاب الأليم،حيث لم يبق أمامه حجه يبرر بها مخالفته للرساله، فقال:

لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاٰفٍ يدا من اليسار،و رجلا من اليمين.

وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ [۵۰]كان العقاب شديـدا،و لكن التقـدير قضـى ان يستقبله أولئك الـذين كانوا الى عهـد قريب من ركائز النظام،لكى لا يرتاب أحد فى صدق إيمانهم،و بالتالى

صدق الرساله،و تتم حجته على الناس.

قَالُوا لاٰ ضَيْرَ إِنّٰا إِلىٰ رَبِّنٰا مُنْقَلِبُونَ كيف بلغ السحره هـذه الـذروه من الإيمان باللّه و رسالاته فى لحظه،كيف أيقنوا بالنشور الى درجه استساغوا الشـهاده،و اعتبروهـا عوده الى اللّه؟! حين تتساقـط حجب حب الـذات،و عباده الأهواء،و الخضوع للطاغوت،فان الحقائق تتجلى مباشره للقلب،و يكون للعلم بها علما شهوديّا،و اليقين صادقا.

[۵۱]ثم لأـن السـحره طالمـا مشوا فى ارض اللّه، و انقلبوا فى نعمه،يأكلون رزقه، و يعبـدون غيره،فلما تـذكروا كانت الصـدمه فى نفوسهم قويه فأرادوا تكفير ذنوبهم التى أحسوا الآن بثقلها على كواهلهم،و تطهير صفحه حياتهم بدم الشهاده،فقالوا:

إِنّٰا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنٰا رَبُّنٰا خَطٰايٰانٰا أَنْ كُنّٰا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ و نستوحى من هـذه الآيه ان هناك مؤمنين آخرين اتبعوا نهـج السـحره التائبين، و انما كان هؤلاء طلائع فى مسيره الايمان.

[سوره الشعراء (٢۶): الآيات ۵٢ الى ۶٨]

اشاره

وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (۵٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي اَلْمَدائِنِ حاشِرِينَ (۵٣) إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (۵۴) وَ إِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ (۵۵) وَ إِنّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ (۵۶) فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ (۵٧) وَ كُنُوزٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ (۵٨) كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ (۵٩) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (۶٠) فَلَمّا تَراءَا اَلْجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنّا لَمُدْرَكُونَ (۶١) قالَ كَلاّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ (۶٢) فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اِضْرِبْ بِعَصاكَ اَلْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ اَلْعَظِيمِ (۶٣) وَ أَزْلَفْنا ثَمَّ اَلْآخَرِينَ (۶۴) وَ أَنْجَيْنا مُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (۶۵) ثُمَّ أَغْرَقْنَا اَلْآخَرِينَ (۶۶) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۶٧) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۶٨)

اللغه

۵۴[لشرذمه]:الشرذمه العصبه الباقيه،من عصب كثيره، و شرذمه كلّ شيء بقيته القليله.

۶۴[و أزلفنا]:و الازدلاف الادناء و التقريب،و منه المزدلفه.

ص:۴٩

كَذٰلِكَ وَ أَوْرَثْنٰاهٰا بَنِی إِسْرٰائِیلَ

هدی من الآیات:

تتابع آیات سوره الشعراء فی بیان الصراع الحضاری الذی کسبه رسل اللّه بأیدی الرب،لما تتجلی فیه صفتا العزه و الرحمه الالهیتان.

هکذا أوحی اللّه إلی موسی بالهجره الجماعیه،فقاد بنی إسرائیل ناحیه البحر، و انبأهم بان فرعون یتّبعهم.

أما فرعون فقد عبّأ کلّ قواه،حیث حشر جنوده من مدائنه،و أضلهم بالقول:

ان بنی إسرائیل خلیط مختلف و قلیل،و انهم أغضبونا بتصرفاتهم(سرقوا أموالنا، و خرجوا عن دیننا)فأخرجناهم من بلادنا التی تتمتع بالبساتین و العیون و موارد و مساکن محترمه.بلی..و لکن اللّه أعاد بنی إسرائیل إلیها،و أورثهم إیّاها.

فزحف جیش فرعون تلقاء بنی إسرائیل عند الشروق،فلما اقترب الجمعان قال أصحاب موسی:انهم سیدرکوننا بقواتهم العظیمه،قال لهم موسی:کلا..ان اللّه

معی،و هو سیهدینی طریق النجاه،فأوحی اللّه الی موسی أن اضرب بعصاک البحر الذی وصلوا الیه،فلما ضربه بعصاه انقسم البحر،و انکشفت فیه طرق یابسه، فاستدرج الرب آل فرعون فی البحر أیضا،و لکنه أنجی بنی إسرائیل(الذین خرجوا من الطرف الآخر)و أغرق الآخرین(الذین لم یزالوا فیه حین عادت المیاه الی طبیعتها).

ان فی هذا الإعجاز آیه لعظمه الرب و قدرته،کما لرحمته و عطفه،و لکن أکثر الناس لا یؤمنون.

و ان اللّه عزیز ینتقم من الجبارین،و رحیم ینصر المستضعفین.

بینات من الآیات:

و کانوا هم الوارثین:

[۵۲]لقد فشل فرعون فی مواجهه الرساله بتضلیله،و بالرغم من تعبئه کل إمکاناته الاعلامیه لذلک،فعقد العزم علی التنکیل بهم،و لکن هدی اللّه سبق کیده،و هزم مکره،حیث أمر اللّه نبیه بان یقود بنی إسرائیل فی سبیل الهجره.

وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ان ثقافه الشعراء التی تمثلت هنا بثقافه السحره تخدم الطغاه،و تضلل الناس، و هی اداه بید الجبارین لقهر المحرومین،بینما رسالات اللّه تبیّن للناس الحقائق، و فیها قرارات واضحه تهدف نجاه المحرومین من أیدی الظالمین،فلقد جاء الأمر بالهجره،و بیّن سبب هذا الأمر و هو وجود خطر یحدق بالناس،هذا نموذج لرسالات اللّه.

ص:۵۲

[۵۳]و بعث فرعون رسله الى مدائن مصر الكثيره و المتفرقه،و كان هدفه تعبئه قواه العسكريه لمواجهه خطر بنى إسرائيل،و يبدو أنه قام بالنفير العام،و لكن لماذا؟ هل انه حين أضمر السوء ببنى إسرائيل فخرجوا أحس بالخطر من أن يكون خروجهم تمهيدا لمقاومته عسكريا،فاستنفر جيشه؟أم أنه قرر ذلك قبل خروج بنى إسرائيل،و انما أراد بحشد قواه التظاهر بالقوه لكى لا يفكر أحد بالثوره عليه،فلربما كانت فى مصر قوى معارضه أخرى تنتظر دورها فى الثوره ضد فرعون؟ من خلال السياق يبدو ان الاحتمال الاول هو الأقوى.

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدٰائِنِ حٰاشِرِينَ اى من يجمع له القوه العسكريه.

[۵۴]فلما عبأ جيشه ماديّا بدأ بتعبأتهم معنويا بالأساليب التاليه:

أولا:هوّن فى نظرهم قوه المعارضه،و قال:

إِنَّ هٰؤُلاٰءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ فهم ليسوا قوه متماسكه،و فى ذات الوقت فهم قليلون.

و لا ريب ان تهوين شأن العدو من أساليب التعبئه المعنويه،و الذى يقوم به أبدا الطغاه ضد الثائرين.

[۵۵]ثانيا:بيّن سبب محاربته لبنى إسرائيل.إذ ان الطغاه يبحثون أبدا عن تبرير لإشعال نار الحرب ضد معارضيهم،فقال:

ص:۵۳

وَ إِنَّهُمْ لَنٰا لَغٰائِظُونَ فقد أثاروا غيظنا،بسبب تمردهم علينا،و خروجهم عن ديننا،و لان بنى إسرائيل استعاروا من قبل الحلّى من أهل مصر،و ذهبوا به كما يقول المفسرون.

[۵۶]ثالثا:كشف فرعون لهم عن مدى استعداده لمقاومتهم،و انه يحذر غلبتهم بالرغم من قله عددهم الآن.

وَ إِنّٰا لَجَمِيعٌ حٰاذِرُونَ اى نحن جميعا نستعد لمواجهتهم،و لعلّه أراد بذلك إبعاد خوف الهزيمه عن جنوده بأنهم قد استعدوا جميعا لمقاومه هذا العدو،و أن على كل فرد ان يقوم بدوره فى مواجهه الخطر المحدق.

[۵۷]رابعا:طفق يبيّن خيرات بلاده،التى يجب الدفاع عنها،فقال:

فَأَخْرَجْنٰاهُمْ مِنْ جَنّٰاتٍ وَ عُيُونٍ انه زعم امتلاكه لكل مقومات الحضاره،من زراعه تروى بالعيون مما تجعلها بعيده عن الأخطار المحتمله،و من المعروف ان حضاره آل فرعون كانت زراعيه، و كانت متقدمه بالقياس الى موازين تلك الحقبه القديمه،و كان يعتز بها فرعون كثيرا،و يعتقد بأنها دليل سلامه نهجه.

[۵۸] وَ كُنُوزٍ وَ مَقٰامٍ كَرِيمٍ ان وجود ذخائر ماليه مثل العمله الصعبه اليوم و الكنوز قديما،معلم من معالم التقدم الحضارى،كما أن المساكن الآمنه التى يحترم أهلها،و يكرمون فيها معلم

ص:۵۴

آخر من معالم الحضاره التی افتخر بها فرعون.

و لعل فی التعبیر ب«أخرجناهم»تهدیدا ضمنیّا للجیش،بأن من لا یطیع الأوامر یفقد هو الآخر هذه المکاسب.

و یبدو ان الجنات و العیون یعکس الوفاء (۱)بالضروریات،بینما الکنوز و المقام الکریم،یعکس التقدم الذی یوفر الأمن الاقتصادی و السیاسی.

[۵۹]رسالات اللّه لا تعارض التقدم الحضاری،انما تعارض الظلم الذی یرتکب باسمه،و انما التقدم الحضاری الثابت و المستقر حق لأهل الحق،لأنهم هم الذین یضعونه فیسرقه الطغاه منهم،فیعیده اللّه علیهم.هکذا انبأنا اللّه سبحانه، فقال:

کَذٰلِکَ هکذا قال فرعون لقومه،و هکذا أعتز بما یملک، و لکن کیف کانت العاقبه؟ اسمعوا:

وَ أَوْرَثْنٰاهٰا بَنِی إِسْرٰائِیلَ لقد أهلک اللّه آل فرعون،و عاد بنو إسرائیل الی مصر،و تنعموا بالجنات، و العیون،و الکنوز،و المقام الکریم،و هکذا یورث اللّه الأرض لعباده الصالحین، فلا ینخدع المحرومون بما فی أیدی الطغاه،و لا یذلوا أنفسهم لقاء فتات الطعام،أو فضاله الشراب،ان الخیر کل الخیر لهم،و علیهم ان یقطعوا أیدی السارقین حتی یهنأوا به.

۱- ۱) الوفاء من و فی الشیء وفاء فهو وافی.

[۶۰]كان فرعون المبادر الى الحرب،فهو الذى هاجم بنى إسرائيل عند الشروق.

فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ [۶۱]جدّ جيش فرعون فى السير حتى لحقوا بهم،و صار على مقربه منهم، يرى كل فريق الفريق الآخر.عندئذ أحس قوم موسى أن الخطر قد أحدق بهم.

فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ [۶۲]عند ما بيّن النبى موسى-عليه السّلام-لربه جوانب ضعفه فى حمل الرساله،سمع من اللّه كلمه عظيمه هى:«كلّا»و ها هو يكررها لقومه عند ما أحسوا بضعفهم فى مواجهه فرعون و قومه.

قَالَ كَلَّا هناك أخبره اللّه بأنه معه هو و أخيه هارون،يسمع و يرى،و هنا أيضا أنبأهم موسى بأن اللّه معه.

إِنَّ مَعِى رَبِّى سَيَهْدِينِ ما أعظم إيمان موسى بربه،و ما أشد يقينه بنصر اللّه،و ما أجدر بنا ان نقتبس من قصه حياته و مضه يقين،و نفحه إيمان.أمواج البحر أمامه و أمواج الجيش الكافر وراءه،و هو لا يملك سوى قوم مستضعف فيهم النساء و الأطفال و العجزه،و قد انهارت إرادتهم بفعل طول الاستعباد،و لكنه يتحدى كل خوف متوكلا على اللّه، واثقا من نصره.أو ليس اللّه معه فلما ذا يخشى،بل كيف يتسرب الخوف الى قلب موقن بأن اللّه معه؟!

[۶۳]و هبط الوحى على قلبه الشريف:

فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ انقسم البحر على نفسه ليكشف عن اثنى عشر سبيلا،مستقلّا لاثنى عشر سبطا من أسباط بنى إسرائيل.

فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ كل جانب منه كان كما الجبل العظيم،تراكمت المياه على بعضها،و تجمدت الأمواج فوق الأمواج.

[۶۴]و دخل بنو إسرائيل السبل التى فتحت لهم فى البحر الذى لا يدرى هل هو النيل أم أنه البحر الأحمر؟ و بلغ آل فرعون البحر فوجدوا أعداءهم فى منتصف الطريق،فاندفعوا وراءهم -سبحان اللّه-كيف يهبط الإنسان إلى هذا الدرک الأسفل من العصبيه.إنه يرى المعاجز رأى العين،فلا يتبصر بل يستمر فى غيّه،لقد رأى فرعون آيه العصى و التى أسجدت السحره للّه،و رأى آيه اليد البيضاء و سبع آيات أخرى،و الآن يجد البحر قد انفلق،و تراكمت مياهه كالجبال و لا يزال يعاند،كيف يمكن ذلك؟! الواقع:ان الذنب يقسى القلب،و كلما زادت الذنوب كلما تحجرت القلوب أكثر فأكثر،و اللّه سبحانه يعاقب المذنبين لقسوه قلوبهم،و يستدرجهم الى مصيرهم الأسود،و هكذا يقول ربنا:

وَ أَزْلَفْنا ثَمَّ الْآخَرِينَ

لقد أهلكهم اللّه فى البحر أجمعين،و لكن لم أهلك اللّه كل الجيش،و لم يهلك فقط فرعون و هامان؟ الجواب:

ان الـدنيا دار ابتلاء لجميع الناس،حاكمين و محكومين،و اتّباع المحكومين للطغاه يوردهم موردهم،بل سكوتهم عنهم يشركهم فى جرائمهم و عقوباتهم.

و لقد وفر اللّه لقوم فرعون أسباب الهدايه،إذ وقع السحره لربهم ساجدين، و أخذهم اللّه جميعا بألوان البلاء لعلهم يتضرعون،و إذ وقفوا على شاطئ البحر ينظرون الى القوم المستضعفين،يقودهم راعى غنم لا يحمل إلاّ عصا، و قد انفلق البحر لهم بهذه الصوره،فهل بقيت حجه لهم،كلاّ..بل للّه الحجه البالغه عليهم، فان أهلكهم فانما بعد البينه و إتمام الحجه.

[۶۵]المعجزه كانت واحده و هى انفلاق البحر و لكن العاقبه اختلفت،حيث يقول الرب سبحانه:

وَ أَنْجَيْنا مُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ [۶۶] ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ فهل هى صدفه ان تقع ظاهره واحده ترحم هؤلاء،و تعذب أولئك؟! [۶۷] إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ بالرغم من قوه الحجه فان العيون مغلقه،و القلوب محجوبه،و لا يجوز ان نجعل الناس مقياسا للحق و الباطل.

ص:۵۸

جاء فی الحدیث عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله :

«لا تکن امعه تقول:ان أحسن الناس أحسنت،و ان أساؤا اسأت،و لکن وطنوا أنفسکم،ان أحسن الناس ان تحسنوا و ان أساؤا ان تجتنبوا إساءتهم » [۶۸] وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ عزیز ینتقم من الکفار،و رحیم ینصر المؤمنین.

ص:۵۹

[سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۶۹ الی ۱۰۴]

اشاره

وَ اُتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرٰاهِيمَ (۶۹) إِذْ قٰالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مٰا تَعْبُدُونَ (۷۰) قٰالُوا نَعْبُدُ أَصْنٰاماً فَنَظَلُّ لَهٰا عٰاكِفِينَ (۷۱) قٰالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ (۷۲) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (۷۳) قٰالُوا بَلْ وَجَدْنٰا آبٰاءَنٰا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ (۷۴) قٰالَ أَ فَرَأَيْتُمْ مٰا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (۷۵) أَنْتُمْ وَ
آبٰاؤُكُمُ اَلْأَقْدَمُونَ (۷۶) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاّٰ رَبَّ اَلْعٰالَمِينَ (۷۷) اَلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (۷۸) وَ اَلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِ (۷۹) وَ
إِذٰا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (۸۰) وَ اَلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (۸۱) وَ اَلَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ اَلدِّينِ (۸۲) رَبِّ هَبْ لِي
حُكْماً وَ أَلْحِقْنِي بِالصّٰالِحِينَ (۸۳) وَ اِجْعَلْ لِي لِسٰانَ صِدْقٍ فِي اَلْآخِرِينَ (۸۴) وَ اِجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ اَلنَّعِيمِ (۸۵) وَ اِغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ
كٰانَ مِنَ اَلضّٰالِّينَ (۸۶) وَ لاٰ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (۸۷) يَوْمَ لاٰ يَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ (۸۸) إِلاّٰ مَنْ أَتَى اَللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (۸۹) وَ أُزْلِفَتِ
اَلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (۹۰) وَ بُرِّزَتِ اَلْجَحِيمُ لِلْغٰاوِينَ (۹۱) وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (۹۲) مِنْ دُونِ اَللّٰهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ
(۹۳) فَكُبْكِبُوا فِيهٰا هُمْ وَ اَلْغٰاوُونَ (۹۴) وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (۹۵) قٰالُوا وَ هُمْ فِيهٰا يَخْتَصِمُونَ (۹۶) تَاللّٰهِ إِنْ كُنّٰا لَفِي ضَلاٰلٍ
مُبِينٍ (۹۷) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۹۸) وَ مٰا أَضَلَّنٰا إِلاَّ اَلْمُجْرِمُونَ (۹۹) فَمٰا لَنٰا مِنْ شٰافِعِينَ (۱۰۰) وَ لاٰ صَدِيقٍ حَمِيمٍ (۱۰۱) فَلَوْ
أَنَّ لَنٰا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۱۰۲) إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۰۳) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۱۰۴)

ص:۶۰

اللغه

۹۰[و أزلفت]:أی قربت.

۹۱[و برّزت]:و التبریز الإظهار.

۹۴[فکبکبوا]:أصله کببوا،أی دهدهوا.

ص:۶۱

بَلْ وَجَدْنٰا آبٰاءَنٰا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ

هدى من الآيات:

فى سياق تبيان الصراع بين رسالات اللّه و ثقافه الشعراء يضرب لنا الرب مثلا من قصه إبراهيم و قومه،و كيف أوحى اللّه اليه بمقاومه الفساد العريض الذى تردوا فيه،فعبدوا الأصنام،و حين سألهم عن ذلك إبراهيم لم يملكوا حجه،بل قالوا:انا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون،فأعلن البراءه منهم و من آبائهم و من أصنامهم، و توجه الى عباده رب العالمين،الذى أعطاه خلقه و هداه،و طعامه و شرابه و شفاه، و هو يميته و يحييه،و يرجو مغفرته يوم يلقاه،و تضرع اليه:ان يهب له الحكم، و يلحقه بمن مضى من الصالحين،و يجعله فاتحه عهد صالح،و ان يرزقه الجنه،و يغفر لأبيه لأنه كان من الضالين،و لا يخزيه يوم البعث بالنار.إنّه يوم لا تنفع الأصنام، كما لا يغنى اتباع الآباء شيئا،فلا ينفع فيه مال و لا بنون الاّ من أتى اللّه بقلب سليم.فى ذلك اليوم تزلف الجنه ليدخلها المتقون،و تبرّز النار ليدخلها الغاوون، الذين يسألون: أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ ،فأين ذهبت أصنامكم،و اين

تولى آباؤكم.هل هم قادرون اليوم على نصركم أو نصر أنفسهم؟!فلما فلم يحيروا جوابا أقحموا فى النار مع الغاوين،و جنود إبليس أجمعين.

و هناك تبيّن مدى ضلالتهم،حيث اختصموا فى النار،فقال الكفار لأوليائهم:انا كنا فى ضلال مبين إذ نجعلكم سواء مع رب العالمين،و أنحوا باللائمه على الذين أضلوهم-لعلهم عنوا بهم ادعياء الدين و العلم-و نعتوهم بالإجرام،و قالوا:لا أحد يشفع لنا و لا يصدقنا،و يهمّه أمرنا،و تمنوا لو كانت لهم كره حتى يكونوا مؤمنين.

و يختم القرآن هذا الدرس،كما ختم قصه موسى عليه السلام بان كل ذلك آيه،و لكن أكثر الناس لا يؤمنون، ثم يذكرنا باسمى العزه و الرحمه لربنا العظيم.

بينات من الآيات:

[۶۹-۷۰]نستوحى من قصص سيدنا إبراهيم-عليه السّلام-أن فطرته الإيمانيه تجلت حتى قبل ان يوحى اليه،فاذا به يواجه أكبر فساد استشرى فى قومه و هو عباده الأصنام،و اتباع الاباء على غير هدى.

يبدأ انحراف البشر بسبب همزات الشيطان،و دفعات الشهوات،و لكنه سرعان ما يلبس ثياب الشرعيه،و يضفى عليه أدعياء الدين و العلم و بأمر من المترفين القداسه الدينيه،و كذلك كانت عباده الأصنام عند قوم إبراهيم.

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرٰاهِيمَ* إِذْ قٰالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مٰا تَعْبُدُونَ ان إبراهيم يتحدى أولا أباه،الذى لم يكن والده انما كان عمه آزر الذى تبناه،و لعل السبب يتلخص فى أمرين:

ص:۶۳

أولا:ان أباه كان هو المسؤول المباشر عنه،و الذى كان ينفذ عليه تعاليم مجتمعه،و من خلاله كان يتعرض إبراهيم لضغط المجتمع الفاسد،و دفعه باتجاه عباده الأصنام.

ثانيا:ان إبراهيم كان فى مجتمع رجعى يقلّد الآباء،و لذلك كان ينبغى أن يبدأ تحديه لهم حتى يصبح قدوه لكل من يعيش فى مثل هذا المجتمع المتخلف.

[۷۱]لقد اعترفوا بفسادهم،و أنهم إنّما يعبدون أصناما لا تضر و لا تنفع.

قٰالُوا نَعْبُدُ أَصْنٰاماً فَنَظَلُّ لَهٰا عٰاكِفِينَ نصلى لها،و نديم عبادتها،و لعل هذا التعبير يوحى بأنهم كانوا فى شك من جدوائيه عبادتهم لها،و انما مضوا عليها اقتداء بالسابقين.

[۷۲]ان نظام الحياه قائم على النفع و الضر،و ان فطره الإنسان تهديه إلى الربّ فى أوقات الشده و عند الحاجه،و هكذا سألهم إبراهيم:هل تستجيب هذه الأصنام عند الشده،حيث ينقطع رجاء الإنسان من الوسائل المتاحه له(كما يستجيب الرب سبحانه)أو هل تنفع أو تضر فى الأوقات العاديه؟! قٰالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ فى حال الشده تتساقط الأوهام،و يتعلق القلب بالخالق فلا يدعو غيره،و هذا أكبر برهان على بطلان عباده الأصنام.

[۷۳] أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ هكذا ألقى إبراهيم حجرا كبيرا فى محيط قلوبهم الراكد،و أحدث فيها أمواجا

متلاحقه من الشک،و الواقع:إنّ زرع الشک فی القلب بالنسبه إلی الوضع الفاسد خصوصا عند أولئک الجامدین یعتبر أکبر إنجاز.

ففی حوار بین طبیب هندی ملحد،و الإمام الصادق-علیه السلام-یلقی الامام الشک فی روعه فیما یتعلق بعقائد الطبیب الفاسده،فیقول:لا ادری لعل فی بعض ما ذکرت مدبرا،و ما ادری لعله لیس فی شیء من ذلک؟

فیقول له الامام:

«اما إذا خرجت من حد الإنکار الی منزله الشک،فانی أرجو أن تخرج الی المعرفه » (1)[۷۴]و لم یملک القوم حجه،فأحالوا القضیه إلی التراث الذی هو آفه المتدینین، حیث یختلط بالدین فی ذهن الناس بما یصعب فکاکه عنه.

قٰالُوا بَلْ وَجَدْنٰا آبٰاءَنٰا کَذٰلِکَ یَفْعَلُونَ [۷۵]هناک تجلی تحدی إبراهیم لقومه،فأعلنها صراحه:أننی براء منکم و مما تعبدون،لأن تلک الأصنام عدوه لی:

قٰالَ أَ فَرَأَیْتُمْ مٰا کُنْتُمْ تَعْبُدُونَ و هذا التعبیر بالغ درجه کبیره من الاستخفاف و السخریه.

[۷۶] أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُکُمُ الْأَقْدَمُونَ

ص:۶۵

۱- ۱) بحار الأنوار/ج(۳)/ص(۱۵۵).

ای أننی لا- أتحدی فقط آباءکم القریبین إلیکم،بل حتی أولئک الأکثر قداسه عندکم و هم الأقدمون.ألیس المجتمع الرجعی یکتسب فیه القدیم قیمه تتنامی مع مرور الزمان کأنه الخل أو الخمر؟! [۷۷] فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِی أننی أعادیه بصراحه،لأنه هو الذی یعادینی.

لقد کانت تلک کلمه البراءه.أزال بها إبراهیم الحصانه التی خلعها أولئک الرجعیون علی الأصنام،و لعل إبراهیم علیه السلام استهدف أیضا من ذلک أمرین آخرین:

أولا:إثبات عدم قدره الأصنام علی الإضرار بأحد اثبت ذلک عملیّا،حیث کان أولئک الجهله یحذرون الأصنام،و یتهیّبون ترک عبادتها،فکان قدوه فی الرفض،و هکذا من یتبع نهج إبراهیم من المؤمنین الصادقین،یرفضون التسلیم للطغاه،و یصبحون قدوه فی ذلک،حیث یثبتون بعملهم ان الطغاه لیسوا بمعجزین فی الأرض.

ثانیا:إن الأصنام رمز النظام السیاسی و الاقتصادی،و تقدیسها حجر الزاویه فی البناء الثقافی للمجتمع الجاهل،و أن الاستمرار فی عبادتها یعنی استمرار الوضع الفاسد الذی یضر بالإنسان،فالأصنام عدوه للإنسان فعلا،و علی الإنسان أن یتخذها عدوا.

و لا یکفی رفض الأصنام،بل لا بد من التوجه الی اللّه،لذلک قال إبراهیم علیه السلام :

إِلاّ رَبَّ الْعالَمِینَ

[۷۸] اَلَّذِی خَلَقَنِی فَهُوَ یَهْدِینِ لقد خلق اللّه کل شیء خلقا متینا،و أجری فیه سننا بالغه الدّقه،و هدی الإنسان الی تلک السنن بالغرائز،و الفطره،و العقل،و الوحی،و تطابق الوحی و السنن أکبر شهاده علی صدق الرساله،و أبلغ حجه علی حکمه الرب،و حسن تدبیره سبحانه.

[۷۹]و البشر مفطور علی تقدیر من یطعمه و یسقیه،و لکن یخطأ فی معرفه المصدر الحقیقی للطعام و الشراب.انه ینظر إلی الوسیله و لا ینظر الی المصدر،یری الرافد و یغفل عن الینبوع،یحس بید الخبّاز و لکنه یجهل أو یتجاهل عشرات الأیدی من قبلها و ید الغیب من ورائها جمیعا.

أما صاحب الفطره النقیه التی تتحدی سلطه المجتمع،و لا یضیّع انسانیّته بالتسلیم للفساد الثقافی السائد علیهم،فهو الذی یهتدی إلی لبّ الحقائق،و غیب الظواهر،کمثل إبراهیم إذ قال:

وَ الَّذِی هُوَ یُطْعِمُنِی وَ یَسْقِینِ [۸۰]لقد جعل اللّه فی جسم الإنسان نظام مناعه،یقاوم الجراثیم،و یساعد علی التغلب علی المرض،و مدی قدره هذا النظام أو ضعفه،و مدی قدره الجرثومه و ضعفها خاضع لتقدیر اللّه سبحانه،و هکذا یموت أو یطیب المریض بما لا یتحکم فیه البشر مهما أوتی من علم.

و لو أفقد اللّه الجسم مناعته،فلا أحد قادر علی حفظه حتی و لو شرب أطنانا من الأدویه المضاده.

هکذا عرف إبراهيم بفطرته النقيه الحقيقه هذه،فقال:

وَ إِذٰا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ان الشفاء بيد اللّه،و اللّه أودع فی جسم الإنسان ما يتغلب به علی المرض، و أفضل العلاج مقاومه المرض بقوه الجسم،و قد أکدت النصوص الاسلاميه علی هذه الضروره.

و جاء فی الحديث:

«امش بدائک ما مشی بک »

و جاء فی حديث مأثور عن الامام الصادق عليه السلام انه قال:

«من ظهرت صحته علی مرضه فتعالج بشیء فمات فأنا إلی اللّه منه بریء » (۱)و ربما لکی يتحمل آلام المرض،و لا يسرع الی مقاومته مما يفقده مناعته،جاءت نصوص تؤکد ثواب المرض للمؤمن.

جاء فی حديث مأثور عن عبد اللّه بن مسعود انه قال:

بينما نحن عند رسول اللّه(صلی اللّه عليه و آله)إذ تبسم فقلت له:مالک يا رسول اللّه؟قال:

«عجبت من المؤمن و جزعه من السّقم،و لو يعلم ماله فی السّقم من الثواب لأحب الاّ يزال سقيما حتی يلقی ربه عز و جل » (۲)

۱- ۲) نور الثقلين/ج(۴)/ص(۵۵).

۲- ۳) المصدر/ص(۵۶).

و ندب الشرع كتمان الألم ثلاثا،و انبأنا أن فى ذلك ثوابا عظيما،

فقد روى عن الإمام الباقر عليه السّلام قال:

«قال اللّه تبارك و تعالى:ما من عبد ابتليته ببلاء فلم يشك الى عواده،إلا أبدلته لحما خيرا من لحمه،و دما خيرا من دمه،فإن قبضته قبضته إلى رحمتى، و ان عاش عاش و ليس له ذنب » (1)[81]فى خضم المشاكل اليوميه التى يواجهها البشر ينسى الحقائق الكبرى، كمن يعالج شجره فى طريقه فتحجبه عن الغابه، و إنما المهديون من عباد اللّه يتذكرون أبدا تلك الحقائق الكبيره.من أين والى أين و من المدبر؟ و الموت و الحياه هما أخطر ظاهرتين يمر بهما البشر،و إذا كشفت عن بصره غشاوه الغفله فانه يهتدى إلى من يقهر الناس بالموت،ثم يبعثهم للحساب،قال إبراهيم عليه السلام :

وَ الَّذِی یُمِیتُنِی ثُمَّ یُحْیِینِ [82]علاقه البشر بأى شىء أو شخص تنتهى بالموت،و لكنها تستمر مع الرب الى يوم الدين،حيث لا تنفع علاقه أخرى.

وَ الَّذِی أَطْمَعُ أَنْ یَغْفِرَ لِی خَطِیئَتِی یَوْمَ الدِّینِ ان القلب الواعى تنكشف له الحقائق حتى يبلغ ذروتها،المتمثله فى اليقين بالبعث و النشور،و هكذا كان عند إبراهيم عليه السّلام.

ص:۶۹

۱- ۴) المصدر.

[۸۳]لقـد تجلت الحقـائق لقلب إبراهيم عليه السـلام حيث سـلم لرب العالمين،ففاضت يقينا و سـكينه،و نطقت بتطلعات ساميه من وحى تلـك الحقـائق،فمن آمن برب العـالمين،و عرف أنه الخـالق الهـادى،و المطعم الساقى،و الشافى،و المحى المميت، و الغافر للذنوب فلا يملك نفسه أن يتضرع اليه،و يطلب حاجاته.

و تطلعـات الإنسـان كبيره،لأن اللّه خلق الإنسان فى أحسن تقويم،و أكرمه، و فضـلّه،و أودع فى نفسه روح النمو و التسامى،إلاّ أن عباده الأصـنام تكبت النفس و تـذلها و تميت تطلعاتها،أما إبراهيم-عليه السّلام-الـذى تحرر من هذه العباده فقد انفتحت قريحته بالدعاء،و أعظم به و أعظم بمن دعا و أعظم بما دعا،إذ قال:

رَبِّ هَبْ لِى حُكْماً هـذا طلب عظيم ان تسأل اللّه ان يجعلك خليفته فى الأرض،و يبدو أن الحكم هنا النبوه أو العلم،و مما يدعو المؤمنون به قولهم:

«رَبَّنٰا هَبْ لَنٰا مِنْ أَزْوٰاجِنٰا وَ ذُرِّيّٰاتِنٰا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنٰا لِلْمُتَّقِينَ إِمٰاماً» . (۱)

وَ أَلْحِقْنِى بِالصّٰالِحِينَ و أكرم الصـالحين هـم الأنبيـاء،و يبـدو أن إبراهيم عليه السـلام طلب بـذلك الاسـتقامه على الطريقه حتى النهـايه ليلتحق بالصـالحين،و ذلك لعلمه أن الأمور بخواتيمها،و على الإنسان ان يوطّن نفسه لمقاومه الضـغوط حتى يحظى بعاقبه حسنى.

[۸۴]قـد ينتهى الإنسـان،و يمحى أثره،و ينسـى ذكره إلاّـ أنّ النفس السـويّه تتطلع الى بقـاء ذكره الحسن من بعـده،كـذلك قـال إبراهيم:

۱- ۵) الفرقان/(۷۴).

وَ اجْعَلْ لِی لِسٰانَ صِدْقٍ فِی الْآخِرِینَ و کان رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-هو دعوه إبراهیم کما قال،فهو-إذا -لسان صدق فی الآخرین،حیث جدد شریعته،و أعلی ذکره.

کما فعل ذلک الإمام علی-علیه السّلام-حیث جاء فی تفسیر علی بن إبراهیم فی تفسیر هذه الآیه انه أمیر المؤمنین علیه السلام. (۱)

و قد حرض الإسلام علی البحث عن الذکر الحسن لیس باعتباره تطلعا مشروعا فقط،و إنما أیضا لأنه یعکس کمال النفس و تکاملیتها.

جاء فی نهج البلاغه أن أمیر المؤمنین علیه السلام قال:

«الا و ان اللسان الصالح یجعله اللّه للمرء فی الناس خیر له من المال،یورثه من لا یحمده » (۲)[۸۵]ما شر بشر بعده الجنه،و منتهی رغبه النفس السویه الحصول علی الجنه، التی هی دار من ارتضاه الرب و أرضاه.

وَ اجْعَلْنِی مِنْ وَرَثَهِ جَنَّهِ النَّعِیمِ [۸۶]أول من تحدّی إبراهیم علیه السلام هو أبوه آزر،و لعله کان یحس ان له علیه حقا،فلا بد من ان یبر الیه،فدعا له بالهدایه ثم بالمغفره،فقال:

وَ اغْفِرْ لِأَبِی إِنَّهُ کٰانَ مِنَ الضّٰالِّینَ

ص:۷۱

۱- ۶) المصدر/ص(۵۷).

۲- ۷) المصدر.

و لعل الاستغفار للضال الذی لم یبلغ درجه الجحود حسن،لا سیما إذا کان له حق،و معنی الاستغفار هنا هدایته فیما یبدو.

و کان إبراهیم قد وعد أباه بأن یستغفر له، فقال: «سَأَسْتَغْفِرُ لَکَ رَبِّی إِنَّهُ کٰانَ بِی حَفِیًّا» . (۱)

و لکن إبراهیم تبرأ منه لما تحول من الضلاله الی العناد و الجحود،فقال ربنا سبحانه:

«وَ مٰا کٰانَ اسْتِغْفٰارُ إِبْرٰاهِیمَ لِأَبِیهِ إِلاّٰ عَنْ مَوْعِدَهٍ وَعَدَهٰا إِیّٰاهُ فَلَمّٰا تَبَیَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرٰاهِیمَ لَأَوّٰاهٌ حَلِیمٌ» . (۲)

[۸۷]لم یکن إبراهیم مذنبا،انه کان نبیا علیّا،عصمه اللّه من الذنوب، و لکنه حین وجد نفسه فی حضره ربه وجدها حافله بالنقص،فلم یملک سوی الاستغفار،و طلب المزید من الطهاره و الکمال،و لیست هناک لغه بین القلب و الرب أبلغ فی الحب و الهیام من لغه کلغه التذلل و الاعتراف و طلب العفو.فقال إبراهیم علیه السلام:

وَ لاٰ تُخْزِنِی یَوْمَ یُبْعَثُونَ ان الخزی ثمه بالنار حیث یقول المؤمنون: «رَبَّنٰا إِنَّکَ مَنْ تُدْخِلِ النّٰارَ فَقَدْ أَخْزَیْتَهُ وَ مٰا لِلظّٰالِمِینَ مِنْ أَنْصٰارٍ» . (۳)

۱- ۸) مریم/(۴۷).

۲- ۹) التوبه/(۱۱۴).

۳- ۱۰) آل عمران/(۱۹۲).

[۸۸] يَوْمَ لاٰ يَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ و أعظم ما يستعبد البشر فى الدنيا حبّ المال و البنين،فاذا تحرّر من عبادتهما فقد فاز.

[۸۹] إِلاّٰ مَنْ أَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ فاذا سلم القلب سلمت الجوارح،و سلامه القلب بتطهيره من حب الدنيا،لأن حب الدنيا رأس كل خطيئه،كما أخبر الرسول-صلى اللّه عليه و آله-.

و جاء فى الحديث المأثور عن الامام الصادق-عليه السلام-فى تفسير الآيه:

«القلب الذى سلم من حب الدنيا » (۱)[۹۰]فى ذلك اليوم تؤتى الجنه و تزف الى المتقين كما العروس تزف الى زوجها،أما النار فتبرز للكفار و يعلمون انهم مواقعوها.

وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ [۹۱] وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغٰاوِينَ الذين ضلوا و أضلوا بعد علم.

[۹۲]الوحى يفك العلاقات الاجتماعيه الفاسده التى قد تتحول الى أقفال فى القلب و أمراض،و تمنعه السلامه،و لكى ننظم علاقاتنا على أحسن وجه لا بد ان نجعل يوم القيامه المقياس،و نتساءل:هل نستفيد من هذه العلاقه فنحافظ عليها،

ص:۷۳

۱- ۱۱) مجمع البيان/ج(۵)/ص(۱۶۱،طبعه بيروت).

أم لا فنتحرر منها،قال اللّه:

وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ [۹۳] مِنْ دُونِ اللّٰهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ كلا..فلا ينصرون أحدا،و لا هم أنفسهم ينصرون.

[۹۴]تتلاحق أمواج الكفار وراء بعضها لتلقى فى جهنم الذين ضلوا و الذين أضلوهم،لا أحد ينصر أحدا.

فَكُبْكِبُوا فِيهٰا هُمْ وَ الْغٰاوُونَ أى دهدهوا،و طرح فيها بعضهم على بعض.

و يبدو ان هناك ثلاث فرق هما الجماهير،و الطغاه،و من يؤيّدهم.

جاء فى الحديث المأثور عن الامام الباقر-عليه السلام-قال:

«هم قوم وصفوا عدلا بألسنتهم ثم خالفوه الى غيره » (۱)[۹۵] وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ و هذا الفريق-كما يبدو-هم الذين أيّدوا الطاغوت،فالذين يكبكبون فى النار-بالتالى-ثلاث فرق:من اتّبعوا من عامه الناس،و من اتّبعوا من ولاتهم،و من ساعدوا من جنودهم.

[۹۶]و تتقطع فى يوم الحسره أسباب العلاقه بين التابعين و المتبوعين،بل تجدهم

۱- ۱۲) نور الثقلين/ج(۴)/ص(۵۹).

يتلاومون و يتلاعنون.

قَالُوا وَ هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ [۹۷] تَاللّٰهِ إِنْ كُنّٰا لَفِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ [۹۸] إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعٰالَمِينَ لقد اعترفوا بمدى ضلالتهم عن الحق و بعدهم عن الصواب،إذ جعلوا أندادهم سواء مع رب العالمين.

[۹۹]و لكن من المسؤول عن ضلالتهم هذه؟انى كان فهو قد ارتكب جريمه كبرى بحقهم.

وَ مٰا أَضَلَّنٰا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ اختلف المفسرون فى المجرم فقالوا:الذين اقتدوا بهم من الطغاه،أو الشياطين، أو الكفار السابقين،الذين دعوهم الى الضّلال.

و الواقع:أن كلّ أولئك ينطبق عليه هذا الوصف،و لكن أحقهم جميعا بهذه الصفه هم أدعياء الدين و العلم الذين يشتغلون بتضليل الناس.

[۱۰۰]و اليوم أين أولئك المجرمون؟! فَمٰا لَنٰا مِنْ شٰافِعِينَ [۱۰۱] وَ لاٰ صَدِيقٍ حَمِيمٍ فلا أحد من هؤلاء المجرمين يشفعون لبعضهم،و لا حتى الصداقات الحميمه

ص:۷۵

تنفع ذلك اليوم.

بلی..ان المؤمنین یشفع بعضهم لبعض کما جاء فی نصوص صریحه.

فالنبی-صلی اللّه علیه و آله-یشفع لأمته،و الأئمه-علیهم السلام- یشفعون لشیعتهم،و المؤمنون یشفعون لبعضهم.

جاء فی الحدیث:عن أبّان بن تغلب قال:سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول:

«ان المؤمن لیشفع یوم القیامه لأهل بیته فیشفع فیهم حتی یبقی خادمه، فیقول-و یرفع سبابتیه-:یا رب خویدمی کان یقینی الحر و البرد،فیشفّع فیه » (1)[۱۰۲]ثم تقطع الحسره نیاط أفئدتهم ان لو کانت لدیهم فرصه أخری حتی یکونوا مؤمنین.

فَلَوْ أَنَّ لَنٰا کَرَّهً رجعه الی الدنیا.

فَنَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ [۱۰۳] إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً وَ مٰا کٰانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ بالرغم من تظافر الآیات.

ص:۷۶

۱- ۱۳) بحار الأنوار/ج(۸)/ص(۶۱).

[۱۰۴] وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ هذه هی الحقيقه التی نستوحيها من كل تلك القصص التی يقصها ربنا فی سوره الشعراء.هدی و نورا.ان ربك عزيز يأخذ الكافرين بقوه،و هو رحيم

ص:۷۷

ينصر المؤمنين بفضله و منّه.

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۰۵ الی ۱۲۲]

اشاره

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ اَلْمُرْسَلِينَ (۱۰۵) إِذْ قٰالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ (۱۰۶) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۰۷) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ
(۱۰۸) وَ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۱۰۹) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۱۰) قٰالُوا أَ نُؤْمِنُ لَكَ وَ اِتَّبَعَكَ
اَلْأَرْذَلُونَ (۱۱۱) قٰالَ وَ مٰا عِلْمِي بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۱۱۲) إِنْ حِسٰابُهُمْ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (۱۱۳) وَ مٰا أَنَا بِطٰارِدِ اَلْمُؤْمِنِينَ
(۱۱۴) إِنْ أَنَا إِلاّٰ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۱۱۵) قٰالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يٰا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ اَلْمَرْجُومِينَ (۱۱۶) قٰالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (۱۱۷) فَافْتَحْ
بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ فَتْحاً وَ نَجِّنِي وَ مَنْ مَعِيَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۱۱۸) فَأَنْجَيْنٰاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي اَلْفُلْكِ اَلْمَشْحُونِ (۱۱۹) ثُمَّ أَغْرَقْنٰا بَعْدُ اَلْبٰاقِينَ
(۱۲۰) إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۲۱) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۱۲۲)

اللغه

۱۱۱[الأرذلون]:هم السفله و الأوضاع و الرّذل الوضيع،و الرذيله نقيض الفضيله.

۱۱۸[فافتح]:الفتح الحكم،و الفتاح الحاكم لأنه يفتح على وجه الأمر بالحكم الفصل.

ص:۷۸

وَ مٰا أَنَا بِطٰارِدِ الْمُؤْمِنِينَ

هدی من الآیات:

الصراع الدائر بین رساله اللّه،و ثقافه الأرض،صراع ممتد عبر الزمن،لأن رسالات اللّه تهدف تغییر کلّ القیم الجاهلیه،و إقامه کیان ثقافیّ جدید،فحین یدعو نوح قومه الی التسلیم و الإیمان باللّه،فانه یدعوهم فی ذات الوقت الی التّسلیم لکل القیم الإلهیه التی تحمل التحضر و التمدن لأولئک الناس الذین سلموا لخرافات الماضی،و فساد الواقع،و بالرغم من ان الرسل علیه السلام قد تحملوا الصعوبات فی سبیل تبلیغ رسالاتهم،إلاّ أنّهم استطاعوا أن یغیّروا أفکار البشر،حتی أن الأفکار الصحیحه التی نجدها فی الأقوام الجاهلیه لا بد أن یکون مصدرها الرسل،لأن الرسل کانوا بحق المحرک الأساسی للبشریه،و إلاّ فإن البشریه کانت تسیر بشکل طبیعی نحو النهایه.

و من الصعب علی بشر عادّی،أن یربّی جیلا-کاملا-و یرفعه الی سماء القیم، لأن ذلک یستوجب ان یبث فیهم وعیا و ثقافه و روحا إیمانیّا یستحیل علی البشر

ص:۸۰

العادی امتلاکه،فکیف ببثّه فی جیل کامل،و علیه أیضا ان یتحدی الثقافه الموجوده،و من یقف خلفها.

و یجب أن نقف إجلالا لذلک الفکر الذی یصیغ أجیالا مؤمنه.أن نقف إجلالا أمام صبر الرسل و تضحیاتهم کنوح علی نبینا و آله و علیه أفضل الصلاه و السلام.

کان یعیش مجتمع نوح الطبقیه و التجبر فی الأرض،فکانوا یحتجون علی نوح علیه السلام بقولهم:کیف نؤمن لک و اتّبعک الأرذلون؟!و کانوا یهددون نوحا-علیه السلام -و من اتبعه بالرجم تجبرّا و علوّا فی الأرض.

و اتباع الأرذلین لنوح لیست مبرّرا لعدم الإیمان،فان کانوا ارذلین،فربهم أولی بحسابهم،و علی کل حال فلم تکن نهایه قوم نوح بأفضل من نهایه قوم فرعون أو قوم إبراهیم حیث دعا نوح ربه علیهم،و سأله أن یفتح بینه و بینهم فتحا،فأغرقهم اللّه و نجّی نوحا و من معه من المؤمنین.

و مره أخری تجلت عزه اللّه بالانتقام من قوم نوح،کما تجلت رحمته بنجاه المؤمنین،و کان فی ذلک أعظم آیه،و لکن أکثر الناس لا یؤمنون.

بینات من الآیات:

[۱۰۵] کَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِینَ الأنبیاء خطّ واحد و متکامل،أرسلوا کلهم من قبل رب واحد،و تقف رسالاتهم جمیعا،من ناحیه المبادئ العامه،و تفترق فی المحتوی الاجتماعی، فموسی جاء لإزاله طاغوت زمانه،و إنقاذ أمّه مستضعفه،و نوح جاء لإزاله الطبقیه و التجبر،و مجرد التکذیب برسول واحد یقتضی التکذیب بسائر الرّسل جمیعا.

و ربما معنى هذه الآيه أنّ اللّه أرسل فى قوم نوح أنبياء كثيرين كان آخرهم نوح عليه السلام .

[۱۰۶]لقد أرسل اللّه الى قوم نوح الجبارين أخا لهم فى النسب لكى لا تمنعهم عصبيتهم من اتباع رسالات اللّه،و فى هذا غايه المنّه عليهم.

إِذْ قٰالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ ألا تحفظون أنفسكم من غضب الرب بترك الفساد،و يبدو أنّ قومه كانوا قد بالغوا فى عمل السيئات.

[۱۰۷-۱۰۸] إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ أمرهم بطاعته باعتباره رسول اللّه إليهم،و هكذا الرسل هم قاده فعليّون للمجتمع،و يعارضون القيادات الفاسده.

[۱۰۹]و فرق كبير بين قياده الرسول لقومه و القيادات الأخرى،إذ أنّه- بخلافهم-لا يكتسب شيئا من قومه و لا يطلب أجرا.

وَ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّ الْعٰالَمِينَ [۱۱۰] فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ [۱۱۱] قٰالُوا أَ نُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ هذه هى الطبقيه،أن يتحول المستضعفون إلى أراذل،و يمتنعون عن الإيمان لمجرد أن هؤلاء قد بادروا إليه.

و جـاء فى تفسـير على بن إبراهيم:إنهم عنوا بالأرذلين الفقراء،و جاء فى تفاسـير أخرى معان مشابهه كأصـحاب المهن الـدنيئه أو المساكين.

[١١٢-١١٣] قٰالَ وَ مٰا عِلْمِى بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ* إِنْ حِسٰابُهُمْ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ أى إنّى لا أعلم عنهم إلاّ خيرا،فقـد دعوتهم فاستجابوا لى،و ما انا بمحاسبهم ان حسابهم الا على ربى.

[١١۴] وَ مٰا أَنَا بِطٰارِدِ الْمُؤْمِنِينَ لست مستعدا للخضوع إليكم بطرد المؤمنين،و إنّما أنا نذير لكل الناس.

و هنا نلاحظ أن نبى اللّه نوح عليه السـلام رفض ان يكون دينه دين المسـتكبرين، فالمستضـعفون إن كانوا مؤمنين مخلصين فهم خير من المستكبرين،و الدين ليس ملكا لنوح عليه السلام انه ملك للّه،فلا يحق له طرد المؤمنين.

[١١۵] إِنْ أَنَا إِلاّٰ نَذِيرٌ مُبِينٌ هذه حدود مسئولياتى،ما أنا إلاّ نذير مبين،و من دخل فى رحاب اللّه فاللّه أولى به.

[١١۶] قٰالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يٰا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ انتهى دور الحجه،و جاء دور التهديد،فهددوه عليه السـلام بأنه ان لم يكفّ عن دعوته ليكونن من المرجومين،لأـنه يلحق الضـرر بكيـانهم الاقتصادى،و الاجتماعى-فى زعمهم-إذ كان يحرض-فيما يبـدو- صغار القوم على كبارهم-لأنه كان

ص:٨٣

ینادی بإزاله الطبقیه-و یبدو-انهم کانوا حسّاسین کما غیرهم من الکفار تجاه الرساله و أفکارها،فلذلک ناصبوها العداء.

[۱۱۷-۱۱۸] قٰالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِی کَذَّبُونِ* فَافْتَحْ بَیْنِی وَ بَیْنَهُمْ فَتْحاً وَ نَجِّنِی وَ مَنْ مَعِیَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ ای اقض بیننا قضاء بالعذاب.

[۱۱۹] فَأَنْجَیْنٰاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِی الْفُلْکِ الْمَشْحُونِ

جاء فی الحدیث المأثور عن الامام الباقر علیه السلام ان المراد من الفلک المشحون:

«المجهز الذی قد فرغ منه،و لم یبق الا دفعه» (۱) [۱۲۰] ثُمَّ أَغْرَقْنٰا بَعْدُ الْبٰاقِینَ بعد ان یستیئس الرسل و متبعوهم،أو یظنوا یقینا أنهم کذبوا آنئذ یأتیهم نصر اللّه،لأن إراده اللّه اقتضت أن ینصر رسله و الذین آمنوا فی الحیاه الدنیا،و یعذب من کذب،و لکن اللّه لا ینصر إلاّ بعد جهد جهید،و هذه سنه اللّه.

[۱۲۱-۱۲۲] إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً وَ مٰا کٰانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ* وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ إنّ اللّه لا تغرّه کثره الکافرین،و إنّ أغلب الناس لا یتعظون بالعبره،و لا یؤمنون بالرسل،و لا یستفیدون من أخطاء الماضین.

ص:۸۴

۱- ۱) المصدر/ص(۶۲).

و مره أخرى تتجلى العزه الإلهيه بإغراق الكافرين،كما تتجلى الرحمه الالهيه بنجاه المؤمنين.

ص:۸۵

[سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۲۳ الی ۱۴۰]

اشاره

كَذَّبَتْ عادٌ اَلْمُرْسَلِينَ (۱۲۳) إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ (۱۲۴) إِنِّی لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۲۵) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۲۶) وَ
مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۱۲۷) أَ تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (۱۲۸) وَ تَتَّخِذُونَ مَصٰانِعَ لَعَلَّكُمْ
تَخْلُدُونَ (۱۲۹) وَ إِذٰا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبّٰارِينَ (۱۳۰) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۳۱) وَ اِتَّقُوا اَلَّذِی أَمَدَّكُمْ بِمٰا تَعْلَمُونَ (۱۳۲) أَمَدَّكُمْ
بِأَنْعٰامٍ وَ بَنِينَ (۱۳۳) وَ جَنّٰاتٍ وَ عُيُونٍ (۱۳۴) إِنِّی أَخٰافُ عَلَيْكُمْ عَذٰابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۱۳۵) قٰالُوا سَوٰاءٌ عَلَيْنٰا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ
اَلْوٰاعِظِينَ (۱۳۶) إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ خُلُقُ اَلْأَوَّلِينَ (۱۳۷) وَ مٰا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (۱۳۸) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنٰاهُمْ إِنَّ فِی ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ (۱۳۹) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۱۴۰)

اللغه

۱۳۷[خلق]:أی عاده من أخلاق.

ص:۸۶

وَ تَتَّخِذُونَ مَصٰانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ

هدی من الآیات:

بعث اللّه لعاد من أنفسهم رسولهم هودا،فکان یدعوهم الی رسالات اللّه،و نبذ قیم الأرض-و ثقافه الشعراء-و بالرغم من أن هودا کـان من نفس الوسـط الاجتماعی لقوم عاد إلاّ أنه کان حنیفا عن ثقافه قومه،و لم یتأثر بها لأنه اتصل مباشـره بالوحی،فتحول من بشر عادی إلی بشر رسول.

و لقـد أعطی اللّه لقوم عـاد نعما و قوه، فکانوا ینحتون من الجبال بیوتا،و یتّخـذون مصانع لعلهم یخلـدون،فطغوا و بغوا،فکانوا إذا بطشوا بطشوا جبارین.و فی مقابل عاد کانت الجزیره العربیه ملیئه بقبائل لا تستطیع ان تؤمن معیشتها.

و فی نهایه القصه یتعرض القرآن الی نفس العاقبه التی یختتم بها القصـص فی هذه السوره،و من ثم تستنتج نفس العبره و هی ان اللّه عزیز رحیم.

ص:۸۸

بينات من الآيات:

[١٢٣] كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ كما أسلفنا أنّ التكذيب برسول يعنى التكذيب بسائر الأنبياء،فخط هود هو خط كلّ الأنبياء من قبله،مع الاختلاف فى المحتوى الاجتماعى لكل رساله بسبب اختلاف الظروف،و ليس اختلاف رسالات اللّه.

[١٢۴] إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَ لاَ تَتَّقُونَ كان هود من وسط قومه،فلذلك سمّى اللّه هودا أخا لقومه.

[١٢۵] إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ أحمل رسالته إليكم بأمانه و صدق.

و الأمين كلمه تتميز عن كلمه حفيظ،فالحفيظ هو الحافظ للشيء،بينما الأمين هو الذى يؤتمن و يحفظ و يؤدى.

[١٢۶] فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ أوصاهم بتقوى اللّه،و تطبيق مناهجه،و التسليم لولايته و قيادته.

[١٢٧] وَ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أى لا أطمع فى التسلّط عليكم،و لا أريد منكم أجر تبليغ رساله اللّه.

[١٢٨] أَ تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ

الریع هو المرتفع من الأرض،و جمعه ریاع،و کانوا یتخذون لهم بیوتا عالیه للهوهم و عبثهم علی المرتفعات من الأرض.

[۱۲۹] وَ تَتَّخِذُونَ مَصٰانِعَ لَعَلَّکُمْ تَخْلُدُونَ کانوا یشیدون المصانع(القصور)کما فی اللغه،و بمراجعه مشتقات الکلمه (صنع-یصنع-صنعا-مصنوع-صانع)یتبین ان قوم عاد قد بلغوا نوعا من التقدم،و قد بین اللّه سبحانه ذلک فی سوره الأحقاف حینما قال سبحانه:
وَ لَقَدْ مَکَّنّٰاهُمْ فِیمٰا إِنْ مَکَّنّٰاکُمْ فِیهِ . (۱)

و یبدو ان الآله کان لها أثر کبیر علی حضاره قوم عاد،و استخدام الآله فی خدمه الإنسان أو فی تسخیر الطبیعه شیء حمید،إلاّ أنّ الاستخدام السیء للآله هو استخدامها بغرض الخلود.

[۱۳۰]و تمنی الخلود أو مجرد تصوره یدعو الإنسان الی الطغیان،فلذلک بنی قوم عاد مساکنهم علی الأریاع،و شیدوا لهم القصور،فاغتروا بما صنعوا،و عند ما اغتروا تجبّروا و تکبّروا،فوجهوا قواهم و بطشهم لمن حولهم،قال تعالی:

وَ إِذٰا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبّٰارِینَ ان بطشکم لیس علی المخطئین،و لکن بطشکم من أجل نشر تسلّطکم،و نشر الرعب فی قلوب الآمنین.

[۱۳۱] فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَ أَطِیعُونِ

ص:۹۰

۱- ۱) الأحقاف/(۲۶).

كرر اللّه عن لسان هود عليه السلام كلمه التقوى أربع مرات،و هذه الآيه هى المره الثالثه،و ربما يتساءل البعض:لماذا كرر اللّه التقوى أربعا؟ و الجواب:ان التقوى كلمه ليست ذات بعد واحد،فأمام كل ذنب تقوى، فالتقوى فى الكذب ترك الكذب،و فى الكفر الايمان،و فى الاجرام الترك،و فى الاعتداء التورع.

و على هذا فالتقوى فى هذه الآيه تتمثل فى ترك العبثيه،و إبعاد فكره الخلود، و اجتناب البطش بالناس نكايه بهم،و هكذا قوم هود كلما ذكر انحراف عندهم أمرهم بالتقوى فى اللّه لأن الانحراف يؤدى الى العذاب الإلهى الذى لا بد من اجتنابه،أما التقوى فى الآيه التاليه فلعل المراد منها الشكر،و ترك الكفر بنعم اللّه بعدم أداء حقوقها.

و قد أرفق هود بكلمه التقوى كلمه«و أطيعون»للدلاله على أنّ الإصلاح يمر عبره،لأنه يمثل خلافه اللّه فى الأرض.

[۱۳۳-۱۳۲] وَ اتَّقُوا الَّذِی أَمَدَّکُمْ بِمٰا تَعْلَمُونَ* أَمَدَّکُمْ بِأَنْعٰامٍ وَ بَنِینَ ربما تشير هاتين الآيتين الى مرحله البداوه التى مرّ بها قوم عاد،و يشير اللّه إليها بقوله:« بِأَنْعٰامٍ وَ بَنِینَ »و هذه النعم عاده ما تكون لأهل الصحراء.

[۱۳۴]أما المرحله الثانيه التى مر بها قوم عاد فهى مرحله التحضر،و ذلک فى قوله سبحانه:

وَ جَنّٰاتٍ وَ عُيُونٍ

حيث ان الزراعه نوع من التقدم فى مسيره البشريه.

[١٣٥] إِنِّی أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ أشفق هود على قومه أن يحلّ عليهم عذاب يوم عظيم،و لعل الفرق بين العذاب العظيم و عذاب يوم عظيم الذى ذكره القرآن هو:ان العذاب إذا نسب الى اليوم فكأنه يستوعبه،و يستمر بامتداده،و لعله يكون أكثر من نوع واحد من العذاب.

فحذرهم ذلك اليوم.

[١٣٦] قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ كلاهما سواء، وعظت أم لم تعظ،لن نؤمن لك.

[١٣٧] إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وسم قوم عاد نبيّهم هودا عليه السلام بالرجعيه،و الأفكار المتخلفه عند ما قالوا: «إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ» و ذلك لأن نبى اللّه نوح عليه السلام أوصى بنيه بأن سيكون بعده نبى من ذريته،و أعلمهم صفاته،و أوصاهم بطاعته؛فكانت هذه الوصيه تراثا يتوارثها الأجيال،و كان عندهم عيد يقيمونه كل عام،يذّكرون أنفسهم بوصيه جدهم نوح عليه السلام و عند ما جاءهم هود كفروا به،فلعنه اللّه على الكافرين.

جاء فى الحديث عن الامام الصادق عليه السلام انه قال:

«ان نوحا عليه السلام لما انقضت نبوّته،و استكمل أيّامه أوحى اللّه اليه:يا نوح!قد قضيت نبوتك،و استكملت أيامك،فاجعل العلم الذى عندك،و الإيمان، و الاسم الأكبر،و ميراث العلم،و آثار علم النبوه فى العقب من ذريتك،فانى لن أقطعها كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء،الذين كانوا بينك و بين آدم عليه السلام و لن

أدع الأرض إلّا و فيها عالم يعرف به دينى،و تعرف به طاعتى،و يكون نجاه لمن يولد فيها بين قبض النبى الى خروج النبى الآخر» قال عليه السلام :

«و بشر نوح ساما(ابنه)بهود عليه السلام» (1) [۱۳۸] وَ مٰا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ أى لسنا بمعذبين لكرامتنا عند اللّه،و ربما تصوّروا أنهم ليسوا بمعذبين لاستحاله العذاب.

[۱۳۹] فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنٰاهُمْ يختصر اللّه المسافه بين التكذيب و الإهلاك بقوله: «فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنٰاهُمْ» لأن هذه الفتره ينساها من يحل عليه العذاب،فتكون عنده الحياه يوما أو بعض يوم، و لحقارتهم أيضا عند اللّه عمهم بالجمله،مختصرا كل حياتهم و ما بنوا و ما بطشوا و ما كفروا فى هاتين الكلمتين.

إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ أى فى إهلاكهم آيه،و لكن أكثر الناس عند ما تمرّ عليهم مثل هذه العبر لا يؤمنون بها،فيجرى عليهم اللّه سنته بأن يهلكهم بعد الإنذار.

و لكن الذى يستفيد من العبر هو من آمن،و خاف وعيد اللّه،و صدق بأن للّه عقابا.

ص:۹۳

۱- ۲) نور الثقلين/ج(۲)/ص(۶۲).

[۱۴۰] وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ تتجلی عزّه اللّه بأن أخـذ قوم عاد أخذ عزیز مقتدر،و تتجلی رحمته أنه نجّی هودا و من آمن معه.

ص:۹۴

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۴۱ الی ۱۵۹]

اشاره

كَذَّبَتْ ثَمُودُ اَلْمُرْسَلِينَ (۱۴۱) إِذْ قٰالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صٰالِحٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ (۱۴۲) إِنِّی لَکُمْ رَسُولٌ أَمِینٌ (۱۴۳) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِیعُونِ
(۱۴۴) وَ مٰا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّٰ عَلیٰ رَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۱۴۵) أَ تُتْرَکُونَ فِی مٰا هٰاهُنٰا آمِنِینَ (۱۴۶) فِی جَنّٰاتٍ وَ عُیُونٍ
(۱۴۷) وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلْعُهٰا هَضِیمٌ (۱۴۸) وَ تَنْحِتُونَ مِنَ اَلْجِبٰالِ بُیُوتاً فٰارِهِینَ (۱۴۹) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِیعُونِ (۱۵۰) وَ لاٰ تُطِیعُوا أَمْرَ
اَلْمُسْرِفِینَ (۱۵۱) اَلَّذِینَ یُفْسِدُونَ فِی اَلْأَرْضِ وَ لاٰ یُصْلِحُونَ (۱۵۲) قٰالُوا إِنَّمٰا أَنْتَ مِنَ اَلْمُسَحَّرِینَ (۱۵۳) مٰا أَنْتَ إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُنٰا فَأْتِ
بِآیَةٍ إِنْ کُنْتَ مِنَ اَلصّٰادِقِینَ (۱۵۴) قٰالَ هٰذِهِ نٰاقَةٌ لَهٰا شِرْبٌ وَ لَکُمْ شِرْبُ یَوْمٍ مَعْلُومٍ (۱۵۵) وَ لاٰ تَمَسُّوهٰا بِسُوءٍ فَیَأْخُذَکُمْ عَذٰابُ یَوْمٍ
عَظِیمٍ (۱۵۶) فَعَقَرُوهٰا فَأَصْبَحُوا نٰادِمِینَ (۱۵۷) فَأَخَذَهُمُ اَلْعَذٰابُ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَةً وَ مٰا کٰانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ (۱۵۸) وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ
اَلْعَزِیزُ اَلرَّحِیمُ (۱۵۹)

اللغه

۱۵۷[فعقروها]:العقر هو قطع شیء من بدن الحی.

ص:۹۵

وَ لاٰ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ

هدى من الآيات:

عاش قوم ثمود،و هم عشر قبائل فی أطراف الجزيره العربيه،فی إحدی الواحات،عند سفح جبل منيع(مدائن صالح)و صنعوا بيوتهم فيه،و كانوا يزرعون أسفل الوادی،فازدهرت حضارتهم،و انحرفوا عن فطرتهم بعد ما بطرت معيشتهم، و البطر جعل قوم ثمود طبقتين:طبقه غنيه متسلطه،و أخری فقيره مسحوقه، ففسدوا و أفسدوا معهم المستضعفين.

فجاء نبيهم صالح عليه السلام لينهی الناس عن إطاعه أمر المسرفين،المفسدين فی الأرض،الذين لا يصلحون،و آنئذ اتهموه بأنه من المسحّرين،فأت بأيه إن كنت من الصادقين،فجاءهم بالناقه لها شرب و لهم شرب يوم معلوم،خانوا اللّه فيها فعقروها فأصبحوا نادمين.

و أخيرا يتعرض اللّه لنفس النتيجه التی يكررها فی كل درس.

ص:٩٧

بینات من الآیات:

خصائص الرسول:

[۱۴۱] كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ الذی یکذب برسول ما،لو فکر قلیلا لرأی ان سنه اللّه فی الحیاه ان یبعث رسلا،و إرسال صالح الی قومه ثمود لم یکن خارجا عن تلک السّنه،قال تعالی:

وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاّٰ خَلاٰ فِيهٰا نَذِيرٌ . (۱)

[۱۴۲] إِذْ قٰالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صٰالِحٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ و التقوی هنا الحذر من العذاب الذی یتوقّع نزوله بسبب فسادهم فی الأرض.

و لعل تکرار استخدام هذه الکلمه فی هذه السوره یهدف زرع نبته التقوی فی القلب،إذ أنّ السیاق یربط بین هلاک القوم بذنوبهم و بین أعمالهم،لعل التالی للذکر-انا و أنت-یزداد إیمانا بهذه الحقیقه:إن الجزاء سیتّبع العمل،فلا یختار عملا سیئا مهما کان صغیرا،ذلک أن سنه اللّه واحده فی الحقائق الکبیره و الصغیره،فالنار هی النار،طبیعتها واحده فی قلیلها و کثیرها.

[۱۴۳]و للداعیه الی اللّه شرطان:رساله یعیها تماما،و أمانه یحافظ علیها.

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ [۱۴۴-۱۴۵]و هکذا تنتظم الحیاه الیوم بفقه الدین(الرساله)و الالتزام به، و الاتسام بالعداله الشرعیه(الأمانه).

۱- ۱) فاطر/(۲۴).

و مسئوليه الناس تجاه الرساله تقوى اللّه،و تجاه حامل الرساله طاعته.

فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ* وَ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلىٰ رَبِّ الْعٰالَمِينَ تأكيد للّه-سبحانه و تعالى-على هاتين الآيتين فى هذه السوره يبيّن لنا أن من صفات الرسل أنهم يتّخذون رسالتهم وسيله للتقرب الى اللّه،بيد أنّ الشعراء يتخذون شعرهم وسيله للاكتساب.

[۱۴۸-۱۴۷-۱۴۶] أَ تُتْرَكُونَ فِي مٰا هٰاهُنٰا آمِنِينَ* فِي جَنّٰاتٍ وَ عُيُونٍ* وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلْعُهٰا هَضِيمٌ أ تحسبون أنكم متروكون..تتمتعون بالنعم و الأمن،و حولكم جنات و عيون، و زرع و نخيل طلعها جميل جذاب و منسق.

فلا تحسبوا أنّ النعم و الأمن تدوم لكم،و أنتم مخلدون فيهما،فقد يأخذكم عذاب بئيس،فلا تستطيعون صرفا و لا نصرا.

[۱۴۹]و كذلك لا يأخذكم الغرور بقوتكم لأنكم تبنون لكم بيوتا فارهه،غايه فى القوه و المتنانه و الإبداع.

وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبٰالِ بُيُوتاً فٰارِهِينَ لقد بلغت حضاره ثمود مبلغا من التقدم،حيث اهتموا بالزراعه،كما اهتموا ببناء المصائف و المدن الجبليه،و قد وصف اللّه بيوتهم التى ينحتونها بأنها فارهه، و هذه ليست من عاده المناطق الجبليه،و انما يبنون الواسع من البيوت فى سفوح الجبال لأنهم استكبروا فى الأرض.

ص:۹۹

[۱۵۰-۱۵۱] فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ* وَ لاٰ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ للإسراف أبعاد:إما فی المال،أو فی الظلم،أو فی المعاصی،و هذا يؤكد انه كان فی قوم ثمود كثير من الطواغيت المتكبرين.

و الملاحظه الأخرى أنّ الطبقيه كانت منتشره فيهم،إذ قال نبيهم صالح عليه السلام لهم: «وَ لاٰ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ» حيث يبدو أن هذه الطبقه أضحت طائفه خطيره تزحف نحو القياده.

و قال لهم نبيهم صالح عليه السلام اطيعونی،و لا تطيعوا أمر المسرفين،و قد سبّق طاعته بتقوى اللّه و قال: «فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ» لكی يبرر طاعته للناس بأن طاعته امتداد لطاعه اللّه.

و يبدو أن جوهر الفساد،أو العامل الرئيسی له هو الإسراف،فاذا زادت النعمه على الإنسان أسرف فی تلک التی أعطاها اللّه إيّاها،و بالتالی جعلها مادّه لفساده، فقد يعطی اللّه إنسانا نعمه الجمال فيفسد بها،أو نعمه الجنس فيفسد بها،أو نعمه المال و الولد فيتجبر بهما و يطغى على من هو دونه...و هكذا.

فبدل أن يصل بهذه النعم إلى رضوان اللّه،و إصلاح المجتمع،و عماره الأرض، إذا به يصل إلى عباده ذاته،و بالتالی الإفساد فی الأرض.

ان اللّه يرزقنا النعم كی نستفيد منها فی عماره الأرض،و البلوغ الى جنانه و مرضاته-سبحانه-فقد رزقنا اللّه اليد لنأخذ بها حقّنا لا ان نبطش بها،و العين لنبصر بها لا ان ننظر الى الحرام،و اللسان كی نسمع الناس الحكمه لا ان نتطاول به بالغيبه و البهتان و السباب...و هكذا.

و فی یوم القیامه یحتج اللّه علی العباد،فیأتی بیوسف حجه لمن فسد بجماله، و بمریم لمن باعت نفسها،و بأیوب لمن لم یصبر عند البلاء.

[۱۵۲]من هم المسرفون؟ بعد ان کانت ثمود تعمر الأرض بالزراعه و البناء،نمت فیها طبقه المسرفین الذین أصبحوا بؤره الفساد،و عند ما تنحرف مسیره المجتمع،و یتسنّم ذروه القرار فیها أناس همّهم الإفساد،فان خطاهم نحو النهایه سوف تتسارع،و فی هذه اللحظات الحاسمه من تاریخ الأمم یبعث اللّه رسله لعلهم یتوبون الیه،و یتقونه و یطیعون رسله.

اَلَّذِینَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ و إذا غلب علی الإنسان حاله الإفساد فانه لن یکون مصلحا،و ما یتظاهر به من الدعوه الی الإصلاح هواء،و هذا شأن المسرفین.

وَ لاٰ یُصْلِحُونَ و الیوم یصنع المستکبرون وسائل إباده البشریه جمیعا،ثم ینادون بالسلام أو بحقوق الإنسان و هم کاذبون.

و لعل من معانی الإسراف بالاضافه الی الإسراف بالمال،الإسراف بالفساد، و سفک الدماء.

جاء فی الحدیث عن الامام الباقر علیه السلام :

«المسرفون هم الذین یستحلون المحارم،و یسفکون الدماء » (۱)

ص:۱۰۱

۱- ۲) میزان الحکمه/ج(۴)/ص(۴۴۷).

[۱۵۳] قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ اى أنه قد أصيب بسحر،و يبدو ان هذا الكلام تهمه خفيفه بالجنون!

فأت بآيه:

[۱۵۴] مَا أَنْتَ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنَا أنت بشر مثلنا،و صحيح ان الرسول بشر مثلهم إلاّ أنّه يوحى إليه،و قد كانوا يتصورون-كما فرعون و كفار قريش-أنّ الرسول يجب ان يكون متميّزا عليهم، بأن يكون معه الملائكه،أو يلبس الذهب،أو يملك الخزائن،أو أنهم من جنس آخر غير جنس البشر،و إنما أرسل اللّه الرسل من جنس البشر لكى يكون الايمان به بحريه،و عن يقين و علم تامّين،فلو أرسل اللّه الرسل كما يتصورون إذا لانتفى أساسا الاختبار.

فَأْتِ بِآيَهٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ يؤمن بعض الناس بمجرد رؤيه شواهد الرساله،كأن يؤمنون لأنّ رسلهم السابقين أشاروا الى هذا النبى،بينما يؤمن بعضهم لما يراه من صفات الرّسل،و هناك أناس لا يؤمنون الا بالمعجزه،و يبدو أن قوم ثمود كانوا يعرفون رسولهم،و لكنهم يفقدون الثقه به،فهم يحتاجون الى دليل صارخ على صدقه.

[۱۵۵] قَالَ هٰذِهِ نَاقَهٌ لَهَا شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ أتى لهم صالح بمعجزه الناقه و فصيلها التى تشرب الماء يوما،و يشربون الماء يوما،و فى اليوم الذى تشرب فيه تدر عليهم اللبن.

ص:۱۰۲

[۱۵۶] وَ لاٰ تَمَسُّوهٰا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذٰابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ و أمرهم بأن لا يمسوا الناقه بسوء،فيأخذهم اللّه بعذاب يوم عظيم.

فالانضباط،و التزام الأوامر لهما الفضل الأكبر فى ديمومه الحضاره،و بعكسها التسيّب و الاعتداء،لأنهما يخالفان سنن الحياه الطبيعيه.

[۱۵۷] فَعَقَرُوهٰا فَأَصْبَحُوا نٰادِمِينَ انهم شعروا بالندم على قتلهم الناقه(و القتل من الذنوب التى تورث الندم)كما فى الحديث الذى استدل بقوله فى قصه ابنى آدم:«فقتله فَأَصْبَحَ مِنَ النّٰادِمِينَ» .

[۱۵۸] فَأَخَذَهُمُ الْعَذٰابُ نزل بهم العذاب،و كان طاغيه عليهم.

إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ فهل من معتبر؟!فبالرغم من ان إهلاك القوم نذير صاعق الاّ أن آذان أكثر الناس تصمّ دون هذا النذير.

[۱۵۹] وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ جمع فى نفسه العزه و الرحمه،فهو شديد العقاب،و لكن رحمته سبقت عذابه الا على القوم الكافرين عند ما يسلط عليهم العذاب،فآنئذ لا محل لرحمته.

ص:۱۰۳

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۶۰ الی ۱۷۵]

اشاره

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ اَلْمُرْسَلِينَ (۱۶۰) إِذْ قٰالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ (۱۶۱) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۶۲) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۶۳) وَ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۱۶۴) أَ تَأْتُونَ اَلذُّكْرٰانَ مِنَ اَلْعٰالَمِينَ (۱۶۵) وَ تَذَرُونَ مٰا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عٰادُونَ (۱۶۶) قٰالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يٰا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ اَلْمُخْرَجِينَ (۱۶۷) قٰالَ إِنِّى لِعَمَلِكُمْ مِنَ اَلْقٰالِينَ (۱۶۸) رَبِّ نَجِّنِى وَ أَهْلِى مِمّٰا يَعْمَلُونَ (۱۶۹) فَنَجَّيْنٰاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (۱۷۰) إِلاّٰ عَجُوزاً فِى اَلْغٰابِرِينَ (۱۷۱) ثُمَّ دَمَّرْنَا اَلْآخَرِينَ (۱۷۲) وَ أَمْطَرْنٰا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَسٰاءَ مَطَرُ اَلْمُنْذَرِينَ (۱۷۳) إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۷۴) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۱۷۵)

اللغه

۱۶۸[القالین]:القالی هو المبغض.

ص:۱۰۴

أَ تَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ

هدى من الآيات:

فی سیاق بیان رسالات اللّه و اهدافها الاصلاحیه یبین ربنا قصه قوم لوط الذین انحرفوا جنسیا،فأرسل اللّه إلیهم رسولا من أنفسهم انبأهم بأنه یحمل إلیهم رساله ربهم بأمانه،و أمرهم بتقوی اللّه و طاعته و قال:بأنه لا یطلب منهم اجرا،و لکنه یعمل لهم فی سبیل اللّه الذی یرجو ان یعطیه الأجر الوافی،ثم واجه انحرافاتهم الکبری و هی الاباحیه و الشذوذ الجنسی،حیث کانوا یأتون الذکران من أیّ قوم کانوا،و یذرون ما خلق اللّه لهم من أزواجهم،و نعتهم بالتعدی عن الحق و الجور.

فهددوه بالإخراج ان لم ینته من معارضتهم،و لکنه تبرّأ من عملهم،و سأل اللّه ان ینقذه من ذلک العمل القبیح،فنجاه اللّه و أهله جمیعا سوی زوجته العجوز التی هلکت و أضحت عبره.

و دمر اللّه الآخرین،و ذلک بان أمطر علیهم مطر السوء،و بئس المطر کان

ص:۱۰۵

لأولئک الـذين تم سـلفا إنـذارهم و بقيت من قصـتهم آيه و علامه لعل الناس يهتـدون، الا أن أكثر الناس لا يؤمنون.و خلاصـه الحقيقه التی يمکن معرفتها بهذه الآيه هی ان اللّه عزيز رحيم.

و هکذا تختلف صور الفساد و نهايته واحده مهما اختلفت صوره،و لعل السبب الرئيسی للفساد هو الإسراف.

بينات من الآيات:

أَ تَأْتُونَ الذُّكْرٰانَ ؟

[۱۶۰-۱۶۴] كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قٰالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ* إِنِّی لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ* وَ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّ الْعٰالَمِينَ ذات الكلمات،و ذات النبره نسمعها من لوط عليه السلام ،لان جوهر الانحراف عند كل قوم واحد،بالرغم من اختلاف صوره،فلا بد ان يكون جوهر الرسالات واحدا،بالرغم من اختلاف كل رساله عن غيرها فی مجال الإصلاح الذی يستتبع نوع الانحراف.

[۱۶۵] أَ تَأْتُونَ الذُّكْرٰانَ مِنَ الْعٰالَمِينَ و لعل هـذه الآيه تشير الی طبيعه فساد الاباحيه و الشذوذ الجنسی حيث إنه ينتشر و يتعدی حدود البلد،و قد انتشر فعلا الفساد الخلقی عند قوم لوط حتی قال آسفا:

أليس منكم رجل رشيد؟!،و تعدی فعل الفاحشه الی كل العالمين.

[۱۶۶] وَ تَذَرُونَ مٰا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

عٰادُونَ عادون:ای تتعدون.

کـان ترکهم الأزواج و إقبالهم علی الـذکران تعـدیا و تجاوزا،بل و تمردا علی الفطره التی فطر الناس علیها،و لم یکن هـدفهم-و اللّه أعلم-إشباع شهوتهم،بالرغم من ان اللّه یلقی علی الملاط به-و العیاذ باللّه-شهوه النساء،فمقاربه النساء أکثر شهوه من مقاربه الرجال،و لذا سماهم اللّه سبحانه بالعادون.

و الزواج فی الإسلام ضمان من الانحراف،و هو صمام أمان لمثل هذه الانحرافات و التی صارت تجتاح البشریه بشکل مریع.

انی من القالین:

[۱۶۷] قٰالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ یٰا لُوطُ لَتَکُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِینَ هـددوا نبیهم بـالنفی و الإخـراج،لأنهم صـاروا لا یتحملون کلمه وعظ أو إرشاد،بل ان الشـذوذ الجنسـی صار عرفا اجتماعیا،و کل من ینتقـد هذا العرف یعتبر شاذا،فالغارق فی الشـهوه،لا یحب من یکدّر صفو شهوته.

[۱۶۸] قٰالَ إِنِّی لِعَمَلِکُمْ مِنَ الْقٰالِینَ رافضا لعملکم،متحـد لعاداتکم.فهو أراد الابتعاد النفسـی عن عملهم، و معروف ان من رضـی بعمل قوم حشر معهم،و من رفض عملهم لن یحشر معهم.

و المیل النفسـی المجرد لعمل قبیح سـبب من أسـباب ممارسـته،بینما تقبیح العمل،و العزوف النفسـی عنه یمنعان من ممارسـته،و الانغماس فیه.

و التحدى من صفات الأنبياء العظام عليه السلام ،إذ أنهم يتحدّون الانحرافات بقوه و صراحه،و لا يخشون بطش مجتمعاتهم.

[۱۶۹] رَبِّ نَجِّنِی وَ أَهْلِی مِمّا یَعْمَلُونَ تبرّأ إلى اللّه سبحانه من عملهم،و رجاه بان لا يكونوا شركاء قومه فی فواحشهم،فهو يخاف على عائلته ان يصيبهم مثل ما أصاب قومه،فلوط عليه السلام ذلک الأب الذى يحاول ان يجنب أهله الفساد،و يحصنهم بالتربيه،و ليس هو ممن يترک لأولاده الحريه المطلقه،و يترک تربيتهم على أمثالهم أو على الناس.

[۱۷۰-۱۷۱] فَنَجَّیْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِینَ* إِلاّ عَجُوزاً فِی الْغابِرِینَ عند ما يأتى الضيوف للوط عليه السلام -و كان مضيافا-كانت امرأته تشعل النار على سطح بيته ليلا،أو تنفخ الدخان نهارا،لتعلم قومها بأن فى بيتها ضيوفا،فيهرع قومه الى بيته،يطلبون الفاحشه من ضيوفه، و كان لوط يستغل مثل هذه المناسبات ليعظ قومه من أجل ذلک كانت زوجته فى الغابرين،و الغابر من الغبار المتخلف عن الكنس،و نستوحى من هذا التعبير انها ألقيت فى مزبله التاريخ.

[۱۷۲] ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِینَ التدمير هو الاباده التامه،و كان تدمير اللّه لهم قويا،بحيث إنه لم يترک حجرا على حجر،و كانت قرى لوط سبعا.

[۱۷۳] وَ أَمْطَرْنا عَلَیْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِینَ ما هو هذا المطر؟

يبدو ان هذا المطر أحد شيئين،إما حجاره من السماء كالنيازك و الشهب،و هو أمر مستبعد نوعا ما،لان السماء لا تسقط بهذه الكثافه من الحجاره حتى تدمر سبع قرى كامله،و ان كان ذلك ليس على اللّه ببعيد.أو ان المطر هو انفجار بركانى، من قمه جبل قريب منهم،و هو احتمال يمكن ان يكون صحيحا.

[۱۷۴-۱۷۵] إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً وَ مٰا کٰانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ* وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ ما أرحم اللّه بعباده،حتى بعد انحرافهم و فسادهم لا يأخذهم حتى يبعث فيهم رسولا،و يقيم عليهم الحجه بعد الحجه.

و ما أعزه من اله مقتدر جبّار،يأخذهم إذا تمردوا على رسله بأشد العذاب فى الدنيا،و لعذاب الآخره أشد و أخزى.

و مع كل تلك الآيات ترى أكثر الناس لا يؤمنون،حتى يحل بهم العذاب مباشره.

ص:۱۰۹

[سوره الشعراء (٢۶): الآيات ١٧۶ الی ١٩١]

اشاره

كَذَّبَ أَصْحٰابُ اَلْأَيْكَهِ اَلْمُرْسَلِينَ (١٧۶) إِذْ قٰالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّی لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ
(١٧٩) وَ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا اَلْكَيْلَ وَ لاٰ تَكُونُوا مِنَ اَلْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَ زِنُوا
بِالْقِسْطٰاسِ اَلْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَ لاٰ تَبْخَسُوا اَلنّٰاسَ أَشْيٰاءَهُمْ وَ لاٰ تَعْثَوْا فِی اَلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَ اِتَّقُوا اَلَّذِی خَلَقَكُمْ وَ اَلْجِبِلَّهَ
اَلْأَوَّلِينَ (١٨۴) قٰالُوا إِنَّمٰا أَنْتَ مِنَ اَلْمُسَحَّرِينَ (١٨۵) وَ مٰا أَنْتَ إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُنٰا وَ إِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ اَلْكٰاذِبِينَ (١٨۶) فَأَسْقِطْ عَلَيْنٰا كِسَفاً
مِنَ اَلسَّمٰاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ اَلصّٰادِقِينَ (١٨٧) قٰالَ رَبِّی أَعْلَمُ بِمٰا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذٰابُ يَوْمِ اَلظُّلَّهِ إِنَّهُ كٰانَ عَذٰابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِی ذٰلِكَ لَآيَهً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (١٩١)

اللغه

١٨٣[و لا تبخسوا]:لا تنقصوا،و البخس هو النقص فيما يجب على الإنسان إعطاؤه.

[و لا تعثوا]:العثیّ أشد الفساد.

١٨۴[الجبله]:الخليقه.

ص:١١٠

وَ لاٰ تَعْثَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِینَ

هدی من الآیات:

و أصحاب الأیکه أیضا کذبوا الرسل،إذ قال لهم نبیهم شعیب علیه السلام :أوفوا الکیل و لا تکونوا من المفسدین،وزنوا بالقسطاس المستقیم،و لا تعثوا فی الأرض مفسدین،فکذبوا رسولهم،و تحدّوه ان یأتیهم بآیه،فأخذهم اللّه بعذاب یوم الظله، انه کان عذاب یوم عظیم.

و أصحاب الأیکه هم قوم یسکنون جانبا من غابه خضراء،و الأیکه هی الأشجار الملتفه حول بعضها.

إنهم أصبحوا سباعا علی بعضهم البعض،کل یبحث عن الرزق من غیره، فبدل ان یتعاونوا مع بعضهم من أجل استخراج خیرات الطبیعه،و استثمار تلک الغابات أصبحوا یطففون المیزان،و عصوا رسولهم شعیب.

ص:١١٢

بينات من الآيات:

وَ زِنُوا بِالْقِسْطٰاسِ الْمُسْتَقِيمِ:

[۱۷۶] كَذَّبَ أَصْحٰابُ الْأَيْكَهِ الْمُرْسَلِينَ الأيكه و جمعها أيائك و هى الغياط و الحدائق الكثيفه.

[۱۷۷-۱۸۰] إِذْ قٰالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ* إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ* وَ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّ الْعٰالَمِينَ كل الأنبياء جاؤوا بمحتوى عقائدى واحد،و لذلك فالتكذيب برسول تكذيب بكل الرسل،و لعل تأكيد الأنبياء على أنهم لا يطالبون بأجر يعتبر بمثابه إسقاط حقوقهم سلفا.

[۱۸۱] أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لاٰ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ [۱۸۲] وَ زِنُوا بِالْقِسْطٰاسِ الْمُسْتَقِيمِ زنوا بالعدل و القسط.و القسطاس هو الميزان،و ليس ميزانا فحسب بل ميزانا مستقيما،و يبدو ان الواجب هو العطاء بمقدار الوزن لا زياده و لا نقصان،و جاءت الروايات لتجعل الوفاء بالميزان من المستحبات،فواجبك ان تعطى مستقيما،و لكن من المستحب ان تزيد فى الكيل.

[۱۸۳] وَ لاٰ تَبْخَسُوا النّٰاسَ أَشْيٰاءَهُمْ وَ لاٰ تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

كانت علاقه أصحاب الأيكه ببعضهم علاقه إفساد،فبدل ان يتعاونوا على الانتاج،إذا بهم يفسدون فى الأرض،و كان البعض يأكل من الآخر،فكان الزارع لا يعتمد على زراعته،و المنتج لا يعتمد على انتاجه،لأنهما كلما زرعا و انتجا أكل ريعهما الرأسماليون الجشعون،فكانوا مضطرين ان ينضموا الى هذا الكيان الفاسد اقتصاديا،و يبدو أنّ السلطه كانت للسارقين شأنهم شأن الانظمه الرأسماليه اليوم و الواقع:نفسيه الحريص هى نفسها نفسيه الفاتح العسكرى،الامبراطور و..و..، و نفسيه هؤلاء و غيرهم هى نفسيه الاستعلاء،قال تعالى: وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ» (١)

و جاء فى الحديث:

«ان ابن آدم لو كان يملك مثل أحد ذهبا لتمنى آخر » و هذه النفسيه قد تكون عند الفقير،فهناك فقراء متكبرين،و

جاء فى قصه: ان الرسول صلى الله عليه و آله مرّ و بعض أصحاب أحد طرقات المدينه،و إذا بامرأه عجوز شمطاء دميمه الخلق،تملّ رزقها من القمامه،فقيل لها:افسحى الطريق لرسول اللّه صلى الله عليه و آله فقالت:ان الطريق ليس ضيقا،فنهرها الاصحاب،فقال لهم الرسول صلى الله عليه و آله :

«دعوها فانها امرأه جباره » [١٨۴] وَ اتَّقُوا الَّذِى خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ اتقوا اللّه الذى خلقكم و الذين من قبلكم،و لا تتعاملوا بينكم بالتطفيف.

[١٨۵] قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ لماذا قالوا إنك من المسحرين،اى المسحورين؟

١- ١) العاديات/(٨).

قالوا ذلک لأنهم کانوا یحترمون شعیبا علیه السلام و کان فیهم مرجوا،و کانوا یعقدون الآمال علیه لسعه عقله.

قال تعالی: قٰالُوا یٰا شُعَیْبُ أَ صَلاٰتُکَ تَأْمُرُکَ أَنْ نَتْرُکَ مٰا یَعْبُدُ آبٰاؤُنٰا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِی أَمْوٰالِنٰا مٰا نَشٰؤُا إِنَّکَ لَأَنْتَ الْحَلِیمُ الرَّشِیدُ . (۱)

فما نسبوه الی الجنون،و انما قالوا:أنت متأثر بسحر الآخرین.

[۱۸۶] وَ مٰا أَنْتَ إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُنٰا وَ إِنْ نَظُنُّکَ لَمِنَ الْکٰاذِبِینَ أنت بشر مثلنا،فهل یمکن ان تکون رسولا؟!انا نظنک من الکاذبین.

[۱۸۷] فَأَسْقِطْ عَلَیْنٰا کِسَفاً مِنَ السَّمٰاءِ إِنْ کُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِینَ لم یصدقوا ان اللّه قادر علی ان یزیل النعم عنهم،فتحدوا رسولهم ان یسقط علیهم کسفا من السماء،فکیف یؤمن من عاش محاطا بالنعم بعذاب من عند اللّه؟! و یبدو ان شعیبا علیه السلام خوّفهم عذاب اللّه،و هل هو الا نذیر بین یدی عذاب مبین؟! [۱۸۸] قٰالَ رَبِّی أَعْلَمُ بِمٰا تَعْمَلُونَ لم یدع علی قومه بالعذاب،و انما أو کل أمرهم الیه سبحانه،فهو أعلم بهم، و أعلم بما هو الأصلح،ان شاء هداهم و ان شاء عذبهم.

۱- ۲) هود/(۸۷).

[۱۸۹] فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ فلما كذبوا رسولهم أخذهم اللّه بعذاب يوم الظله،إذ أصيبوا بحر شديد،و استمر ذلك الحر سته أيام،فمات الكثيرون،و لم تنفعهم ايائكهم و غياطهم،فلما كان يوم السابع،أرسل اللّه عليهم سبحانه تظللهم،فصاروا يمشون معها كلما مشت، فلما توسطوا الصحراء،أنزل اللّه عليهم من السحابه صاعقه،فاذا هم خامدون، نعم كلما أحدث الناس ذنبا أحدث اللّه لهم بلاء مناسبا لذلك الذنب،و يبدو ان نوع العذاب الذى نزل على أصحاب الايكه كان متناسبا مع ذنبهم،حيث انخدعوا بالسحابه بمثل ما غشّوا بعضهم،و طففوا فى الميزان.

[۱۹۰] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ كل انحراف فى أيه أمه يتبعه نوع محدد من العذاب،و كل انحراف فى الماضى هناك ما يشابهه فى الحاضر،و كل عذاب هو آيه لمن يمارس نفس الانحراف.

[۱۹۱] وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

ص:۱۱۶

[سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۹۲ الى ۲۱۲]

اشاره

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ اَلْعالَمِينَ (۱۹۲) نَزَلَ بِهِ اَلرُّوحُ اَلْأَمِينُ (۱۹۳) عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ اَلْمُنْذِرِينَ (۱۹۴) بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (۱۹۵) وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ اَلْأَوَّلِينَ (۱۹۶) أَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إِسْرائِيلَ (۱۹۷) وَ لَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ اَلْأَعْجَمِينَ (۱۹۸) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (۱۹۹) كَذلِكَ سَلَكْناهُ فِي قُلُوبِ اَلْمُجْرِمِينَ (۲۰۰) لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتّى يَرَوُا اَلْعَذابَ اَلْأَلِيمَ (۲۰۱) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۲۰۲) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (۲۰۳) أَ فَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ (۲۰۴) أَ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ (۲۰۵) ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ (۲۰۶) ما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ (۲۰۷) وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاّ لَها مُنْذِرُونَ (۲۰۸) ذِكْرى وَ ما كُنّا ظالِمِينَ (۲۰۹) وَ ما تَنَزَّلَتْ بِهِ اَلشَّياطِينُ (۲۱۰) وَ ما يَنْبَغِي لَهُمْ وَ ما يَسْتَطِيعُونَ (۲۱۱) إِنَّهُمْ عَنِ اَلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (۲۱۲)

ص:۱۱۷

هدى من الآيات:

محتوى رسالات اللّه واحد،و انما اختلفت حسب الظروف،لانّ كل رساله استهدفت إصلاح الفساد المستشرى فى المجتمع الذى أنزلت فيه،و كذب كل قوم رسولهم،فانتصر اللّه للرسول و للمؤمنين،و أهلك الآخرين بعذاب شديد.

هذا ما استوحيناه مما مضت من آيات ربنا،أما هذا الدرس الذى هو خلاصه حقائق السوره-هو و الدرس التالى و الأخير-فانه يحدد معالم الرساله الالهيه و خصائصها المميزه:

الف:لا تخص رسالات اللّه بقوم أو أرض أو زمن.أ ليست هى من رب العالمين فهى كالغيب تشمل بركاته كل بقعه؟.

باء:انها رساله حق تعكس حقائق الحياه المشهوده و المغيبه،الماديه و المعنويه، و تمتد من الدنيا الى الآخره،و تتجاوز المصالح العاجله الى المنافع الآجله،أ ليس قد

نزل بها الروح الأمين؟ جيم:انها تهدف الإصلاح الجذرى الذى،يتم باقتلاع جذور الفساد و الانحراف.

دال:و تخاطب الناس بلغتهم،و لغتها ليست كلغه الشعراء غامضه معقده،انما هى لغه الواقع التى تكشف الحقائق جليّه واضحه «بِلِسٰانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» .

هاء:خطها ممتد عبر العصور من آدم عليه السلام الى النبى الخاتم محمد صلى الله عليه و آله فهى فى زبر الأولين،و يعلمه علماء بنى إسرائيل.

و انما يتمرد عليها الجاهلون بعصبيتهم،فلو أنزل على بعض الأعجمين ما كانوا به مؤمنين.

و شأنها شأن الرسالات الاولى،لا يؤمن بها المجرمون حتى يروا العذاب الأليم،الذى يأتيهم فجأه فيطلبون فرصه أخرى بينما هم اليوم يستعجلون عذاب الرب.

و حتى لو تطاول بهم العمر سنين فما ذا ينفعهم حين يأتيهم العذاب،و يختم عمرهم بسوء؟ و لكن الرب لا يعذبهم حتى يبعث من ينذرهم،كذلك سنه اللّه فى كل قريه يعذبها،و ما كان اللّه ظلاما للعبيد.

و ليست الرساله من وحى الشياطين،و لا يتناسب معهم،و لا يقدرون على ذلك،لأنهم معزولون عن السمع.

ص:١١٩

بينات من الآيات:

[۱۹۲]من أعظم شواهد الحق فى رسالات الأنبياء انها تتجاوز الحواجز الماديه بين الإنسان و نظيره الإنسان،مما يشهد على أنها تنزيل من اللّه الذى خلق العالمين و دبر أمره.

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعٰالَمِينَ الضمير المتصل فى«انه»يرجع الى القرآن أو الى الوحى،الذى هبط مره على آدم و من بعده نوح،و هود،و صالح،و إبراهيم،و..و..،لان جوهر الرسالات واحد،و أما تفضيل القرآن عليها جميعا،فلأنه خاتم للرسالات،و مهيمن عليها جميعا.

[۱۹۳] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ نزل به جبرئيل عليه السلام الذى كان أمينا على وحى اللّه.و لعلنا نستوحى من هذه الكلمه:ان الرساله هى فوق ماديه،و انها دقيقه حيث تعكس الحقائق بلا أيه زياده أو نقيصه.

[۱۹۴] عَلىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ الإنذار هو محاربه الوضع المنحرف بقوه،و الإنذار هو التخويف مع التحذير، فالقرآن جاء منذرا قبل ان يكون مبشرا،و قد جاءت بعض الآيات تحصر عمل النبى فى الإنذار.

[۱۹۵] بِلِسٰانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ

ص:۱۲۰

تأكيد اللّه على كلمه العربى للقرآن،يدل على أهميه هذه اللغه و ضروره تعلمها،لأنها لغه القرآن،و العربيه هى أوسع اللغات لتقبل مثل هذا القرآن.

و قد جاء فى معاجم اللغه:ان اعراب الكلام إيضاح فصاحته،و العربى المفصح،و الاعراب-بالكسر-البيان.

و فى الحديث عن قول اللّه تبارك و تعالى: «بِلِسٰانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» قال:

«يبين الألسن،و لا تبينه الألسن » (۱)و لعل معناه ان اللغات لا تترجم-بدقه-العربيه و ليس العكس.

[۱۹۶] وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ان من شواهد صدق رساله النبى صلى الله عليه و آله توافقها مع رسالات اللّه السابقه،و تبشير الأنبياء بها،و تعاهد المؤمنين على التواصى بها جيلا بعد جيل.

[۱۹۷] أَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمٰاءُ بَنِي إِسْرٰائِيلَ أو ليس دليلا كافيا أن يؤمن به بعض علماء بنى إسرائيل مثل عبد اللّه بن سلام،و أسيد بن خضير،و غيرهم؟و ايمان مثل هؤلاء حجه قويه،أولا:لأنهم من بنى إسرائيل،و ثانيا:لأنهم من علمائهم و تقاتهم،و قد أكد اللّه فى سوره الأحقاف مضمون هذه الآيه عند ما قال: «قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كٰانَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَ كَفَرْتُمْ بِهِ وَ شَهِدَ شٰاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرٰائِيلَ عَلىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَ اسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ» .

[۱۹۸-۱۹۹]و بعد ان يبين السياق شواهد الصدق فى رساله الإسلام شرع

ص:۱۲۱

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج(۴)/ص(۶۵).

یبین عوامل الکفر بها من قبل أولئک الجاهلین،و من أبرزها:

أولا:العصبیه.

وَ لَوْ نَزَّلْناهُ عَلی بَعْضِ الْأَعْجَمِینَ* فَقَرَأَهُ عَلَیْهِمْ ما کانُوا بِهِ مُؤْمِنِینَ لو نزل هذا القرآن علی نبی اعجمی ما کانوا لیؤمنوا به إذ تستبد بهم العصبیه، فمنّ اللّه علیهم إذ أرسل فیهم رسولا منهم یتلو علیهم آیاته،

و جاء فی الحدیث عن أبی عبد الله علیه السلام انه قال فی تفسیر الآیه:

«لو نزلنا القرآن علی العجم ما آمنت به العرب، و قد نزل علی العرب فآمنت به العجم،فهذه فضیله العجم » (۱)ثانیا:العامل الثانی لکفرهم ارتکابهم الجرائم.

[۲۰۰] کَذٰلِکَ سَلَکْناهُ فِی قُلُوبِ الْمُجْرِمِینَ الجریمه من أهم الأسباب التی تمنع قبول الرساله،لان الذی سقط فی وحل الجریمه،و سمح لنفسه ان یکون طعمه للشهوات الرخیصه لا یؤمن بالرساله،لان الرساله أعلی من ان یطولها،کمن هو فی بئر عمیقه ظلماء،کیف یری نور الشمس،بل کیف یستوعب معنی نور الشمس؟! فحینما یکون عقل الإنسان محکوما بشهواته،و مضروبا علی قلبه بالأسداد، ملیئا بالهوی،ینزاح عنه الحق لان قلبه أصلد من ان یستقبلها.

ص:۱۲۲

۱- ۲) المصدر.

و قال بعض المفسرين:ان معنى الآيه،كما أنزلنا القرآن عربيا مبينا أمررناه و أدخلناه و أوقعناه فى قلوب الكافرين،بأن أمرنا النبى صلى الله عليه و آله حتى قرأه عليهم و بينه لهم. (1)

و يبدو ان سياق الآيات يوحى بالتفسير الاول كما جاء فى آيه كريمه: وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مٰا هُوَ شِفٰاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لاٰ يَزِيدُ الظّٰالِمِينَ إِلاّٰ خَسٰاراً (2) و كما جاء فى آيه أخرى: وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيٰاناً وَ كُفْراً (3)، و هكذا تكون كلمه سلكناه أجريناه بحيث أصبحت تلك سنه تجرى لا فكاك منها! [۲۰۱-۲۰۲]فطبيعه المجرمين انهم لا يؤمنون بهذا الرسول العربى-بغض النظر عن الاعجمى.هناك يتساءل المجرمون هل هناك فرصه أخرى لنا فهم:

لاٰ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتّٰى يَرَوُا الْعَذٰابَ الْأَلِيمَ* فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ [۲۰۳] فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ [۲۰۴] أَ فَبِعَذٰابِنٰا يَسْتَعْجِلُونَ أما اليوم فتراهم لا يؤمنون حتى يأتيهم العذاب و كأنّهم يستعجلون العذاب.

[۲۰۵-۲۰۷] أَ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنٰاهُمْ سِنِينَ* ثُمَّ جٰاءَهُمْ مٰا كٰانُوا يُوعَدُونَ* مٰا أَغْنىٰ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يُمَتَّعُونَ

ص:۱۲۳

۱- ۳) مجمع البيان/ج(۵)/ص(۱۸۵).

۲- ۴) الإسراء/(۸۲).

۳- ۵) المائده/(۶۸).

لو أخّرنا عنهم العذاب،و متعناهم سنين، و جاءهم العذاب،هل تنفعهم هذه السنى و هذا التمتيع،فما اللّه بمزحزهم من العذاب ان يعمروا الف سنه،و اللّه بصير بما يعملون.

لقد عمر نوح عليه السلام ثلاثه آلاف سنه،و لم يبن له الا كوخا يستر نصفه،فجاءه عزرائيل و سأله:لم لم تبن لك بيتا يسترك؟قال:ان الذى أنت وراءه كيف يبنى بيتا.

[۲۰۸] وَ مٰا أَهْلَكْنٰا مِنْ قَرْيَهٍ إِلاّٰ لَهٰا مُنْذِرُونَ ان اللّه لا يعذب قريه الا بعد ان يرسل إليها منذرين،و بذلك تتجلى رحمه اللّه بأظهر ما يكون.قال تعالى: وَ مٰا كُنّٰا مُعَذِّبِينَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولاً . (۱)

[۲۰۹] ذِكْرىٰ وَ مٰا كُنّٰا ظٰالِمِينَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كٰانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ ،و حين يعذبهم اللّه فليس بظالم،لأنه قد أرسل إليهم رسلا من قبل.

[۲۱۱-۲۱۰]إن جوهر الفكره التى يوحى بها اللّه تختلف عن جوهر الفكره التى يلقيها الشيطان،و يتناقض معه تناقضا كليّا،فمصدر هذا الهوى،و مصدر ذاك نور اللّه،و هذا يضلّ،و ذاك يهدى،و هذا يستثير الشهوات،و يأمر بالفحشاء و المنكر و البغى،و ذاك يثير العقل،و يأمر بالعدل.فكيف يختلطان؟ وَ مٰا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيٰاطِينُ* وَ مٰا يَنْبَغِي لَهُمْ وَ مٰا يَسْتَطِيعُونَ

ص:۱۲۴

۱- ۶) الإسراء/(۱۵).

لم تتنزل الشياطين و من اتبعهم من أدعياء المعرفه مثل هذا القرآن،و ما ينبغی لهم لأنه لا يتناسب و طبيعتهم،و لا يستطيعون ذلک لأنهم.

[۲۱۲] إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ای سماع الوحی من اللّه سبحانه.

و بهذا نميّز بصائر الوحی عن تخرصات الشياطين.

ان الطريق للتمييز بينهما يتم بمعرفه مصدرهما،و كذلک بمعرفه آثارهما.

فبصائر الوحی التی من عند اللّه أو من عند رسوله و اولی الأمر من بعده تبعث فيک المسؤوليه،و تنير لک الطريق،و تهديک صراطا مستقيما،بعكس تخرصات الشياطين التی تبعث فيک التكذيب و الاستهزاء و الحقد و الانانيه و..و..

[سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۲۱۳ الى ۲۲۷]

اشاره

فَلاٰ تَدْعُ مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ اَلْمُعَذَّبِينَ (۲۱۳) وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ اَلْأَقْرَبِينَ (۲۱۴) وَ اِخْفِضْ جَنٰاحَكَ لِمَنِ اِتَّبَعَكَ مِنَ
اَلْمُؤْمِنِينَ (۲۱۵) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمّٰا تَعْمَلُونَ (۲۱۶) وَ تَوَكَّلْ عَلَى اَلْعَزِيزِ اَلرَّحِيمِ (۲۱۷) اَلَّذِي يَرٰاكَ حِينَ تَقُومُ (۲۱۸)
وَ تَقَلُّبَكَ فِي اَلسّٰاجِدِينَ (۲۱۹) إِنَّهُ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۲۲۰) هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلىٰ مَنْ تَنَزَّلُ اَلشَّيٰاطِينُ (۲۲۱) تَنَزَّلُ عَلىٰ كُلِّ أَفّٰاكٍ أَثِيمٍ
(۲۲۲) يُلْقُونَ اَلسَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كٰاذِبُونَ (۲۲۳) وَ اَلشُّعَرٰاءُ يَتَّبِعُهُمُ اَلْغٰاوُونَ (۲۲۴) أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وٰادٍ يَهِيمُونَ (۲۲۵) وَ أَنَّهُمْ
يَقُولُونَ مٰا لاٰ يَفْعَلُونَ (۲۲۶) إِلاَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ وَ ذَكَرُوا اَللّٰهَ كَثِيراً وَ اِنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مٰا ظُلِمُوا وَ سَيَعْلَمُ اَلَّذِينَ
ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (۲۲۷)

اللغه

۲۲۷ [أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ] :أىّ مرجع يرجعون،و أى منصرف ينصرفون.

ص:۱۲۶

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ

هدى من الآيات:

تختم سوره(الشعراء)ببيان الفوارق الكبيره بين رسالات الرب و ما يوحيه الشيطان،و يبين السياق هنا ان محور رسالات اللّه التوحيد،و يمضى قدما فى بيان صفات الرسول النابعه من هذا المحور،فالرسول نذير لأقرب الناس اليه و هم عشيرته،و هو بالمؤمنين رؤف رحيم،و يعلن براءته من العصاه متوكلا على العزيز الرحيم،و يتهجد بالليل(و قد انحدر من سلاله طيبه)و اللّه يسمعه،و يعلم خبايا شؤونه.

و فى الجانب الآخر يهبط الشيطان الى كل كذّاب فاجر،و يوحى الشياطين فى أسماع تابعيهم و أكثرهم كاذبون.

أما الشعراء فان حزبهم التابعين لهم هم الغاوون،الذين يتبعون أهواءهم، و كلامهم غير مسئول،فتراهم فى كل واد يهيمون،ضالين ضائعين،و هم يقولون

ما لا يفعلون.

بلى.هناک فئه من الشـعراء مؤمنه صالحه،و يذكرون اللّه كثيرا(لكى لا يخدعهم الشيطان)و إذا ظلمهم الجبارون لقولهم الحق فهم ينتصرون،و ان عاقبه الظلم الخيبه، وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .

بينات من الآيات:

اشاره

[۲۱۳]توحيـد اللّه صـبغه رسالاـته،فهو فى السـياسه:العـدل،و الإحسان، و الشورى،و الأمن،و الحريه،و هو فى الاقتصاد الإنصاف،و القوام،و فى السلوک:

الفضيله،و التقوى،و فى الثقافه:التثبت،و اتباع أحسن القول،و الاستماع الى الناطق عن اللّه دون الناطق عن الشيطان.

و من شواهد صدق رساله النبى صلى الله عليه و آله دعوته الخالصه للرب،و حبه الشديد، و تفانيه فى سبيل اللّه.

[فلا تـدع مع اللّه إلها ءاخر فتكون من المعذّبين] [۲۱۴]و من خصائص الرسول و شواهد صدقه تعاليه عن الضـغط من أىّ مصدر يأتى،و لذلک فهو يؤمر بإنذار عشيرته أولا.

وَ أَنْـذِرْ عَشِـيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ و هكذا فعل الرسول و تحدى أول ما تحدى عشـيرته الأقربين، كما فعل إبراهيم عليه السـلام إذ واجه برساله اللّه أباه أولا.دعنا نستمع الى حديثين فى هذا الشأن:

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

ص:۱۲۸

لما نزلت: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» أى رهطك المخلصين،دعا رسول اللّه صلى الله عليه و آله بنى عبد المطلب و هم إذ ذاك أربعون رجلا-يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا-فقال أيّكم يكون أخى،و وارثى،و وزيرى،و وصيى،و خليفتى فيكم بعدى؟فعرض عليهم ذلك رجلا رجلا كلهم يأبى ذلك،حتى أتى عليّ فقلت:انا يا رسول اللّه،فقال:يا بنى عبد المطلب!هذا وارثى،و وزيرى، و خليفتى فيكم من بعدى،فقام القوم يضحك بعضهم الى بعض،و يقولون لأبى طالب:قد أمرك أن تسمع و تطيع لهذا الغلام (۱)

و فى روايه أخرى:

انه لما نزلت هذه الآيه «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» صعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله الصفا فقال:يا صباحا!فاجتمعت اليه قريش،فقالوا:مالك؟!فقال:أ رأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقوننى؟قالوا:بلى.

قال:فإنى لكم نذير بين يدى عذاب شديد،قال أبو لهب:تبا لك أ لهذا جمعتنا، فأنزل اللّه: «تَبَّتْ يَدٰا أَبِى لَهَبٍ وَ تَبَّ» (۲)و نستوحى من هذه الآيه أن عامل الرساله الإلهيه لا يعتمد على أيه قوه أرضيه فى إبلاغ رسالات ربه،إنما يتوكّل على اللّه،لذلك يستطيع ان يتحدى انحرافات الناس جميعا،حتى و لو كانوا عشيرته الأقربين.

كما تشير الآيه الى أن مجرد القرابه من رسول اللّه لا يخلّص الإنسان من نار جهنم.بالرغم من أن النبى صلى الله عليه و آله يشفع فى أمته،و قد قال له الرب سبحانه:

«وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضىٰ» أى من الشفاعه.

ص:۱۲۹

۱- ۱) علل الشرائع/الشيخ الصدوق/ص(۱۷۰).

۲- ۲) تفسير مجمع البيان/ج(۷)/ص(۲۰۴).

جاء فی خبر مأثور عن أبی أمامه،فیما أخرجه الطبرانی و أبی مردویه قال:

لما نزلت «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ» جمع رسول اللّه بنی هاشم فأجلسهم علی الباب،و جمع نساءه و أهله،فأجلسهم فی البیت،ثم اطلع علیهم،فقال:

«یا بنی هاشم!اشتروا أنفسکم من النار،و اسعوا فی فکاک رقابکم،و افتکوها بأنفسکم من اللّه،فإنی لا أملک لکم من اللّه شیئا» ثم أقبل علی أهل بیته فقال:

«یا عائشه بنت أبی بکر،و یا حفصه بنت عمر،و یا أم سلمه،و یا فاطمه بنت محمد،و یا أم الزبیر عمه رسول اللّه!اشتروا أنفسکم من اللّه،و اسعوا فی فکاک رقابکم فإنی لا أملک لکم من اللّه شیئا و لا أغنی... » (1)[۲۱۵]و فی الوقت الذی ینذر عشیرته الذین هم أقرب الناس الیه،یؤمر بالرحمه للمؤمنین،حتی و لو کانوا بعیدین عنه،فهو کالطائر الذی یخفض جناحیه لأولاده الصغار.

وَ اخْفِضْ جَنٰاحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ان هذا السلوک یساهم فی صنع المجتمع المبدئی المتسامی عن العلاقات المادیه، و نستوحی من هذه الآیه أهمیه التواضع و بالذات عند من یحمل رساله ربه.

جاء فی کتاب مصباح الشریعه المنسوب الی الامام الصادق علیه السلام :

و قد أمر اللّه أعز خلقه،و سید بریته محمد صلی الله علیه و آله بالتواضع،فقال عز و جل:

ص:۱۳۰

۱- ۳) تفسیر المیزان/ج(۱۵)/ص(۳۳۴).

«وَ اخْفِضْ جَنٰاحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ» و التواضع مزرعه الخشوع،و الخشیه، و الحیاء،و أنهن لا تتبیّن إلا منها و فیها،و لا یسلم الشرف التام الحقیقی الا للمتواضع فی ذات اللّه (۱) [۲۱۶]و تتجلی مبدئیه الموقف فی التبری ممن یخالف الشرع الإلهی.

فَإِنْ عَصَوْکَ فَقُلْ إِنِّی بَرِیءٌ مِمّٰا تَعْمَلُونَ ان الرسول لا یقدم تنازلات أمام رسالات ربه،و قد کان صلی الله علیه و آله شدیدا إذا عصی اللّه،و کان یغضب بشده علی من یحاول أن یشفع عنده فی حدّ.

و کذلک کان خلفاؤه الراشدون،فهذا أمیر المؤمنین علیه السلام یقدم علیه أشراف قومه، و قیادات جیشه،یعرضون علیه العفو عمن ارتکب منه ما یستحق الحد،فیعدهم بأن یعطیهم ما یملک،ثم یقدمه و یضر به الحد،و حین یسألونه یقول:هذا مما لا أملکه.

[۲۱۷]و لکی یتابع مسیره الإصلاح بحزم و استقامه یتوکل الرسول علی ربه الذکی یؤید بقوته المؤمنین علی الکافرین.

وَ تَوَکَّلْ عَلَی الْعَزِیزِ الرَّحِیمِ ان التوکل علی اللّه لبّ استراتیجیه أصحاب الرساله،و کلّما کان إیمانهم برسالتهم أعمق،کلما کان للتوکل علی اللّه فی استراتیجیتهم نصیب أکبر.

و من الواضح أن اسمی« اَلْعَزِیزِ الرَّحِیمِ »ذکرا فی فاتحه هذه السوره،و أیضا بعد بیان کل قصه من حیاه النبیین علیه السلام .

ص:۱۳۱

۱- ۴) تفسیر نور الثقلین/ج(۴)/ص(۶۹).

[۲۱۸]لقـد جاء الجواب واضـحا عند ما عدد موسـی علیه السـلام عند نزول تباشـیر الوحی علی اللّه الصـعوبات،و تبعهم فرعون و جنده «إِنّا لَمُدْرَکُونَ» جاء الجواب قویا و قال موسی لهم: «کَلاّ إِنَّ مَعِی رَبِّی سَیَهْدِینِ» .

و هنا حین أمر اللّه رسوله بالتوکل علی العزیز الرحیم أنبأه بأنه مهیمن علیه،یراه حین یقوم للتبتل الیه،و حین یقدم بمهامه الرسالیه.

اَلَّذِی یَراکَ حِینَ تَقُومُ [۲۱۹]و هکذا یراه حین یقوم للصلاه.

وَ تَقَلُّبَکَ فِی السّاجِدِینَ

جاء فی حدیث مأثور عن الامام الباقر-علیه السلام-فی تفسیر هذه الآیه:

«فی أصـلاب النبیین صلوات اللّه علیهم » (۱) و اعتمـادا علی هـذه الروایه فان الآیه توحی بطهاره مولـد الرسول و آبائه و أمهاته، فقد اختار اللّه لنور محمد صلی الله علیه و آله أنقی الأصلاب،و أطهر الأرحام،ایمانا و شرفا و فضیله.

الأفّاکون و الشعراء:

[۲۲۰]کما لرسالات اللّه خصائصـها و معالمها و شواهدها کذلک الثقافات المادیه،و الأفکار الجاهلیه،و إذا تبصر الإنسان بسمات هذه و تلک اهتدی الصراط السوی،إذ أضحی قادرا بتوفیق اللّه و نوره ان یمیز بین فکره خاطئه یوحی بها

۱- ۵) المصدر/.

الشیطان،و حقیقه یهتدی إلیها بالوحی و العقل.

و الحق و الباطل یختلطان فی الدنیا لتکون الدنیا دار ابتلاء،لیس فقط لإراده البشر،و انما أیضا لوعیه،فمن عرف کیف یمیّزها عن بعضهما آمن شر الضلاله، و أکثر الناس یضلون بأهوائهم.

دعنا نشرع من أصل تکوّن الفکره و مصدرها:القلب کصفحه بیضاء تنعکس علیها حقائق الخلق بما أعطاه اللّه من نور العقل و العلم،و لکن قد یتراءی للقلب أشیاء و لکن من دون ان تکون لها-أساسا-حقیقه خارجیه.کیف یتم ذلک؟ دعنا نضرب مثلا:انک تعلم أن العین تری الأشیاء عبر الضیاء،و لکن هل حدث لک ان اصطدمت بشیء فتراءی لعینک بریق شدید،أو هل داخ رأسک فرأت عینک مثل الأنجم. ما هذه؟انها ارتعاشه اعصاب العین،و لیست أشعه الأشیاء تنعکس علیها،أنها-بالتالی- حرکه ذاتیه للعین تری حرکتها الداخلیه.ألیس کذلک؟! و مثل آخر:هل أصبت بنزله برد،و هل حدثت لدیک قشعریره شدیده؟إن مصدرها الاعصاب فی الداخل،و لیست عاصفه ثلجیه فی الخارج.

و هؤلاء الذین یستخدمون المخدرات یرون أشیاء کثیره لیس لها واقع.انما هی حرکه أعصابهم من الداخل،کذلک فی داخل القلب مصدران للأفکار لا یمتّان إلی الحقائق بصله:

أولا:الأهواء:حیث ان السماح للهوی باحتلال کل القلب یجعله اسودا لا یبصر نورا،انما یبتدع الأفکار ابتداعا،و هذا هو الإفک بذاته.

ثانیا:الخیال:الذی هو بدوره حرکه ذاتیه للقلب،لا شأن لها بالواقع

الخارجی،إلا أنه أخفّ وطأه من الإفک.

و لعل السیاق یشیر الی هاتین الطائفتین فی فاتحه حدیثه عن إیحاءات الشیطان، یقول ربنا:

هَلْ أُنَبِّئُکُمْ عَلیٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّیٰاطِینُ الشیطان کما یبدو من التدبر فی سیاق الآیات-التی ذکر فیها-هو کل غاو یغوی البشر،سواء کان من الجن أو الإنس.قال تعالی: «وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰا لِکُلِّ نَبِیٍّ عَدُوًّا شَیٰاطِینَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ» . (۱)

و جاء فی آیه کریمه: «یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِی السِّلْمِ کَافَّهً وَ لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ الشَّیْطٰانِ» . (۲)

و قال اللّه تعالی: وَ إِذٰا خَلَوْا إِلیٰ شَیٰاطِینِهِمْ قٰالُوا إِنّٰا مَعَکُمْ إِنَّمٰا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ . (۳)

[۲۲۱] تَنَزَّلُ عَلیٰ کُلِّ أَفّٰاکٍ أَثِیمٍ قال العلامه الطبری:الأفاک الکذاب،و أصل الإفک القلب،و الأفاک الکثیر القلب للخبر،من جهه الصدق الی جهه الکذب،و الأثیم:الفاعل للقبیح،یقال:

انه یأثم إثما إذا ارتکب القبیح. (۴)

ص:۱۳۴

۱- ۶) الانعام/(۱۱۲).

۲- ۷) البقره/(۲۰).

۳- ۸) البقره/(۱۴).

۴- ۹) مجمع البیان/ج(۷)/ص(۲۰۷).

[۲۲۲] يُلْقُونَ السَّمْعَ اى يلقون الأفكار المسموعه فى قلب الأفاكين الآثمين.

[۲۲۳] وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ و يبدو ان الأفاكين هم أئمه الكفر،و قاده فتات الضلال،و هم المغضوب عليهم،الذين نسأل اللّه الا يجعلنا منهم،و هم الغاوون الذين يصفون العدل و لا يطبّقونه،و هم بالتالى صانعوا القرار فى معسكر المستكبرين.

إن مصدر أفكارهم اهواؤهم التى يعبدونها،و انحرافهم و فسادهم انما هو بوعى منهم،و سابق إصرار،و الشياطين يوحون إلى هؤلاء لأنهم أولياؤهم.

جاء فى الحديث المأثور عن الامام الباقر عليه السلام :

«انه ليس من يوم و ليله إلّا و جميع الجن و الشياطين تزور أئمه الضلال،و يزور إمام الهدى عددهم من الملائكه » (۱)و بالرغم من وجود بعض الصدق فى أقوالهم إلّا أن الصفه العامه لأحاديثهم هى الكذب.

و هكذا نعرف طبيعه هؤلاء بأمرين:

الاول:قلبهم للحقائق.

الثانى:ارتكابهم الإثم.

۱- ۱۰) تفسير نور الثقلين/ج(۴)/ص(۷۰).

[۲۲۴]و الفئه الضاله الثانیه هم الشعراء،الذین یستوحون خیالهم و تصوراتهم استیحاء.

یقول ربنا عنهم:

وَ الشُّعَرٰاءُ یَتَّبِعُهُمُ الْغٰاوُونَ و لعل تسمیه هذه الفئه بالشعراء جاءت:

أولا:لأن طبقه الشعراء فی ذلک العهد و أکثرهم فی العصور التالیه کانوا من هذه الفئه الضاله.

ثانیا:لأن الشعر یعتمد علی الخیال و التصور.

حقا ان المراد من الشعراء فی هذه الآیه لیس خصوص من أنشد شعرا،انما یشمل کل من أتبع خیاله و ترک وحی اللّه،و کان من هذه الفئه الضاله:فلاسفه الیونان و تابعوهم الذین اعتمدوا علی تصوراتهم فی معرفه حقائق الکون،دون إثاره من علم أو اتباع لإمام حق.

و العرفاء و المتصوّفه،و طائفه من المتکلمین،و بعض المتفقهین من علماء السوء- انصاف المثقفین-الذین یتبعون أهواءهم و أهواء من یدفع لهم،و یشتری أقلامهم.

کل أولئک و غیرهم من فئه الشعراء،و قد جاءت النصوص الاسلامیه تتری فی وصفهم،و البراءه منهم:

۱-«نزلت فی الذین غیروا دین اللّه،و خالفوا أمر اللّه-عز و جل-هل رأیت شاعرا قط یتبعه أحد؟!انما عنی بذلک الذین وضعوا دینهم بآرائهم،

فیتبعهم الناس علی ذلک» (۱)۲-

عن الامام الباقر علیه السلام فی تفسیر هذه الآیه قال:

«هل رأیت شاعرا یتبعه أحد؟!إنما هم قوم تفقهوا لغیر الدین فضلّوا و أضلّوا » (۲)۳-

و روی عن الامام الصادق علیه السلام قال:

«هم قوم تعلموا-أو تفقهوا-بغیر علم.فضلوا و أضلّوا » (۳)۴-

و فی حدیث آخر عنه علیه السلام انه قال:

«هم القصّاص » (۴)و من هنا نعرف ان الذین یقولون الشعر دفاعا عن الحق لیسوا ضمن هذا الإطار،

فقد أثر عن الرسول صلی الله علیه و آله انه قال لحسان بن ثابت(الشاعر):

«أهجهم أو هاجهم و روح القدس معک » (۵)[۲۲۵]و من خصائص هؤلاء:استرسالهم فی الکلام دون التقید بحدود المعرفه أو المصلحه.

أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِی کُلِّ وٰادٍ یَهِیمُونَ

۱- ۱۱) المصدر/ص(۷۰)نقلا عن علی بن إبراهیم.

۲- ۱۲) المصدر/.

۳- ۱۳) المصدر/.

۴- ۱۴) المصدر/ص(۷۱).

۵- ۱۵) المصدر/.

و الهائمه الضاله التی تمشی علی غیر هدی،و لعل الآیه تدل علی أنهم لا یملکون نهجا محددا فی مسیرتهم.

[۲۲۶]و من علاماتهم:أنهم یستعیضون الکلام عن العمل،و أن قولهم غیر مسئول.

وَ أَنَّهُمْ یَقُولُونَ مٰا لاٰ یَفْعَلُونَ ان دغدغه الأمانی،و إثاره الخیال،و صنع الأحلام الوردیه،کل ذلک من طبیعه الثقافات المادیه،و عاده ما یکون أصحاب هذه الثقافات أقل الناس التزاما بما یقولون،و السبب أن الکلام هو بدیل عن العمل فی تصورهم.

[۲۲۷]و فی الآیات الاخیره من هذه السوره یبین ربنا صفات صاحب الرساله حقا،فیقول:

إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ وَ ذَکَرُوا اللّٰهَ کَثِیراً ان صاحب الرساله یتعرض لضغط التیارات الثقافیه،و القوی الاجتماعیه المختلفه،و علیه أن یذکر اللّه کثیرا لکی لا تخور عزیمته،و لا تشوش رؤیته،بل یبقی نافذ البصیره برغم الشبهات و الدعایات،و صامدا برغم همزات الشیاطین، و ذکر اللّه حقّا هو ذکره فی القلب عند ما یعرض علیه الحرام فیجتنبه،و الحلال فینتفع به.

یقول الامام أمیر المؤمنین علیه السلام :

«من ذکر اللّه عز و جل فی السر فقد ذکر اللّه کثیرا.إنّ المنافقین کانوا یذکرون اللّه علانیه،و لا یذکرونه فی السر،فقال اللّه عز و جل: یُرٰاؤُنَ النّٰاسَ وَ لاٰ

یَذْکُرُونَ اللّهَ إِلاّ قَلِیلاً (۱)و لعل أظهر سمات صاحب الدعوه الإلهیه تحمله مسئولیه الجهاد ضد الظلم، کما أنّ أبرز سمات الشعراء: أَنَّهُمْ یَقُولُونَ مٰا لاٰ یَفْعَلُونَ .

وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مٰا ظُلِمُوا ان مقاومه الظلم و عدم الاستسلام للظالمین تلازم الرسالی الصادق،الذی یتخذ من رسالته سلاحا ضد المنحرفین.

وَ سَیَعْلَمُ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَیَّ مُنْقَلَبٍ یَنْقَلِبُونَ هکذا تختم سوره الشعراء بشحنه أمل مبارکه تعطیها للمظلومین،و صعقه إنذار شدیده یخوف بها الظالمین،لیبقی قلب المؤمن مستقیما بین الأمل و الخوف،بین اسمی الرحمه و العزه لرب العالمین.

و قد تحققت هذه الآیه الکریمه فی حقّ ظالمی آل محمد صلی الله علیه و آله أجمعین،حیث أهلک اللّه الظالمین،و رفع ذکر أهل البیت عالیا عبر العصور.

۱- ۱۶) المصدر/ص(۷۳).

سوره النّمل

اشاره

ص:۱۴۱

ص:۱۴۲

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره:

عن كتاب ثواب الأعمال باسناده عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال:

من قرأ سور الطواسين الثلاث فى ليله الجمعه كان من أولياء اللّه و فى جواره و كنفه،و لم يصبه فى الدنيا بؤس أبدا،و اعطى فى الآخره من الجنه حتى يرضى و فوق رضاه،و زوّجه اللّه مأه زوجه من الحور العين» (تفسير نور الثقلين/ج(۴)/ص(۷۴)

و عن ابن عباس قال:قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:

«و أعطيت طه و الطواسين من ألواح موسى» (المصدر)

ص:۱۴۳

الإطار العام

الاسم:

ذكر«النمل»فی قصه سلیمان فجاءت السوره بهذا الاسم.أو لیس طریفا أن یقارن أکبر ملک آتاه اللّه لواحد من عباده باسم النمل؟!بلی.ان مملکه العدل الالهی لا بد أن تکون بحیث یشعر النمل بالأمان فی ظلها.إنّ هذا ما تبشّر به رسالات اللّه،و لعلّه لذلک سمیت هذه السوره باسم«النمل».

لا تخرج موضوعات هذه السوره عن الإطار العام للطواسین الثلاث(الشعراء و القصص بالاضافه الی سوره النمل)و هو بیان خصائص الوحی مع الترکیز علی بیان الأمثله من تاریخ رسالات اللّه الأولی،و کأنها جمیعا تفصیلات لما ذکّر به القرآن فی سوره الفرقان.

تطلع علینا فاتحه السوره بذکر القرآن الذی جعله اللّه هدی و بشری للمؤمنین، أما الذین یکفرون بالآخره فان اللّه زیّن لهم أعمالهم و سلبهم بصائرهم،و لهم سوء

ص:۱۴۵

العذاب.

و ان الرسول يلقّى القرآن من لدن حكيم عليم.

و يبدو ان هذين الاسمين الإلهيين يتجليان فى آيات هذه السوره كما تجلّى اسما العزيز الرحيم فى السوره السابقه«الشعراء».

و تلقى الآيات حزمه ضوء على قصه موسى:كيف تلقى الوحى،حين آنس نارا،فباركها اللّه و من حولها،و ناداه: إِنَّهُ أَنَا اللّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ،و أعطاه معجزه العصى و اليد البيضاء فى تسع آيات،و أمره بإبلاغ فرعون رسالات ربه.

فلما جحدوا بها-بعد ان استيقنتها أنفسهم-نبذهم فى اليمّ.

و بعدئذ يفصل القول فى قصه سليمان،و يبدو ان هناك تقابلين فيها:اولا:

بين فرعون أعظم ملك كافر،و سليمان أكبر ملك عادل،ثانيا:بين بلقيس الملكه العربيه التى آمنت،و ثمود القرى العربيه التى كفرت فدمرها اللّه شر تدمير.

و نقرأ فى قصه سليمان عن تسخير الجن و الطير،و عن مملكه النمل التى شملها عدل سليمان،و عن استخدام الهدهد و الريح وسيلتين حضاريتين،و أيضا الانتفاع بالاسم الأعظم فى نقل عرش بلقيس لتكتمل صوره مملكه الحق فى الأرض.

أما فى قصه بلقيس فنقرأ استشارتها قومها،و اتخاذها القرار الحكيم،الا أنّ حكمتها لم تجدها نفعا حين كفرت باللّه،و سجدت للشمس من دونه،و لكنها بالتالى آمنت مع سليمان باللّه رب العالمين.

أما فى قصه ثمود فنقرأ قصه الصراع بين المستضعفين و المستكبرين،و كيف أنّ الكفّار تطيّروا بصالح و من معه من المؤمنين،و كيف فسد ثمّه النظام القبائلى،

و بدل ان يكونوا حماه الضعفاء تآمروا على نبيهم،و مكروا و مكر اللّه، و دمرهم أجمعين.

و يختم السياق قصص المرسلين بقصه قوم لوط الذين نهرهم نبيهم عن شذوذهم الجنسى،فلما أرادوا ان يخرجوه و من معه أمطر اللّه عليهم مطر السوء.

و يبدو أنّ السوره تضرب لنا فى القسم الاول(۱-۵۸)أمثله عن النظم الاجتماعيه الفاسده التى لا بد ان تنزع عن فسادها(كما فعلت بلقيس)و الا دمرت شر تدمير،و يقارنها بمثال رائع من النظام الالهى فى الأرض لا بد ان تتطلع اليه البشريه متمثلا فى قصه سليمان و أما فى القسم الثانى فان الآيات تذكرنا بالقرآن بعد ان تهدينا الى آيات ربنا فى الخلق و التى تدل على ان اللّه واحد لا شريك له،لا فى أصل الخلق و لا تقديره و تدبيره.

اللّه هو الذى خلق السموات و الأرض و أجرى فيهما أنظمه لحياه البشر،و هو الذى يلجأ اليه المضطر فيجيبه و يكشف عنه السوء،و يهدى الناس فى ظلمات البر و البحر،و يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته.

ثم يذكّر بأنه عالم الغيب لا يعلمه الا هو،و انه مالك يوم الدين حيث يقف دونه علم الآخرين.

و يمضى السياق قدما فى التذكره بالآخره،و يأمرهم بأن يسيروا فى الأرض ليعتبروا بمصير المجرمين،و لا يستعجلوا العذاب فعسى أن يكون قريبا منهم،أما القرآن و خصائصه فهى التاليه:

أولا:يحتوى على علم ما يغيب عن الناس.

ص:۱۴۷

ثانیا:یحل الخلافات التی لا زالت عند أصحاب الکتب السابقه.

ثالثا:انه هدی و رحمه للمؤمنین.

رابعا:یقضی بین الناس بالحق.

و یأمر اللّه رسوله بالتوکل علیه،و الا یأبه بأولئک الجاحدین الذین یشبههم بالموتی و الصم المدبرین،و یوجهه الی المؤمنین الذین هم لربهم مسلمون.

و یحذّر من حلول العقاب فی یوم یخرج اللّه لهم دابه من الأرض تکلمهم.

و حین یحشر بعض المجرمین و یسألون:لماذا کذبتم بآیات اللّه؟فیقع علیهم القول بما ظلموا.

ثم یذکّر القرآن باللّه،و کیف جعل اللیل سکنا و النهار معاشا،و لکنه سوف یفزعهم بنفخه الصور،و لا ینجو من ذلک الفزع العظیم الا المحسنون،أما من جاء بالسیئه فهو یساق الی النار علی وجهه.

و فی خاتمه السوره یوجه الخطاب الی الرسول باعتباره حامل رسالات اللّه،و انه یعبد اللّه وحده،و یتلو القرآن،فمن اهتدی فانما یهتدی لنفسه،اما الضالون فان الرسول لم یکلّف الا بإنذارهم.

و تختم السوره بحمد اللّه،و بإنذار مبطن لأولئک الجاحدین بان آیات اللّه الخارقه ستأتیهم بحیث یعرفونها،و ان اللّه لیس بغافل عما یعملون.

ص:۱۴۸

سوره النّمل

[سوره النمل (٢٧): الآيات ١ الى ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . طس تِلْكَ آيَاتُ اَلْقُرْآنِ وَ كِتٰابٍ مُبِينٍ (١) هُدىً وَ بُشْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ اَلصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُونَ
اَلزَّكٰاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣) إِنَّ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنّٰا لَهُمْ أَعْمٰالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (۴) أُوْلٰئِكَ اَلَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ
اَلْعَذٰابِ وَ هُمْ فِي اَلْآخِرَةِ هُمُ اَلْأَخْسَرُونَ (۵) وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى اَلْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (۶)

اللغه

۴[يعمهون]:العمه عمى القلب أى يمشون فى المعاصى كما يمشى الأعمى فى الطريق لا يهتدى سبيلا.

ص:١۴٩

هدى من الآيات:

تتمحور دروس سوره النمل-كما هى سوره الشعراء-حول الرسالات الالهيه،ميزاتها و خصائصها،و بالتالى الشواهد الفطريه و الوجدانيه التى تدل على صدقها.

و تبدأ السوره بالاشاره الى القرآن الحكيم،ذلك الكتاب الذى تكفينا الاشاره اليه و الى واقعه علما و معرفه بحقيقته،لأننا لسنا بحاجه إلى أكثر من الاشاره للحقائق الواضحه فى الكون-و التى حجبتنا عنها الأهواء و الغفله-لكى نعرفها، بالذات إذا كنا ممن يلقى السمع و هو شهيد،لان العقل و الوجدان و الفطره، و بالتالى لان الإنسان بما يمتلك من أدوات الفهم،و وسائل المعرفه،هو الذى ينبغى ان يتعرف على الحقائق،و انما الهادى و المنذر و المذكر ليس عليه سوى البلاغ و التذكره «فَذَكِّرْ إِنَّمٰا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ» و هكذا تبدأ كثير من سور

القرآن الحکیم بالإشاره الی القرآن ذاته.

ان فی القرآن آیات و تشریعات،فهو من جهه علامات و إشارات تهدینا الی اللّه،و الی أسمائه الحسنی،و الی السنن الکونیه و غیرها التی أجراها فی الحیاه،و هو من جهه أخری دساتیر ثابته،و قوانین مستمره فی حیاه الإنسان التشریعیه.

و فی البدء یهدینا القرآن الی اللّه عن طریق إعطاء الأمل و الهدایه «هُدیً وَ بُشْری لِلْمُؤْمِنِینَ» ثم یأمرنا بمختلف الفرائض کالصلاه و الزکاه.

أما لماذا لا یؤمن فریق من الناس بالقرآن؟فلأن أعمالهم السابقه-اجرامهم و فسقهم و ضلالتهم-التی اکتسبوها باختیارهم تصبح حجابا بینهم و بین الحقیقه،و المشکله الحقیقیه إذا تحولت هذه الأعمال الی عاده،ذلک ان حجاب العاده من أمتن الحجب و أصعبها أمام الإنسان،و الذی ینتصر علی عاداته و سابقیّاته الفکریه فانه یتجاوز سائر الحجب و المشاکل بسهوله،الا ان اختراق هذا الحجاب من أصعب الأشیاء علی البشر.

و فی الوقت الذی تشیر هذه الآیات لهذا الحجاب تبین ان هذه سنه کونیه جعلها اللّه فی الحیاه،فالذی یبدأ بالصلاه تخف صعوبتها علیه شیئا فشیئا حتی یصیر من المستأنسین بها،و أما حین یقدم الإنسان علی الفاحشه فانه یستوحش منها و یلاحقه تأنیب الضمیر بسببها فی بادئ الأمر،و لکنه لو عاد إلیها المره تلو الأخری فسوف تتحول الی عاده عنده لا یحس حین ممارستها بأدنی تأنیب،و مثال علی هذه الفکره هو إدمان الجریمه لدی الطغاه،فهم أول ما یقدمون علی جریمه القتل یکون الأمر بالنسبه إلیهم صعبا،و لکن حینما تتکرر منهم الجریمه یصل بهم الأمر الی حد یقول أحدهم:(لکی أبقی حاکما لا یضر لو قتلت ثلثی الشعب)و لیس لا یستقذر هذا العمل بل و یستأنس به،و تلک سنه الهیه ان یزین الشیطان للإنسان عمله.

و الشجاع الحق هو الـذى يغلب نفسه و هواه،فيخترق سد العاده ليصل الى نور الحقيقه،و يتمسک بها حتى لو كلّفه ذلک التنازل عن كل سابقياته الخاطئه.

ثم تشير الآيات الى ان التدبر فى القرآن يصل بالإنسان الى معانى الحكمه و العلم التى يشتمل عليها،فآيات الحكمه و شواهدها واضحه فى القرآن عبر الأحكام التى نجدها فيه،فكل حكم يراعى كل الجوانب و الجهات من دون ان يحيف بأحد لحساب أحد،أو لجانب على حساب جانب آخر،و أما حقائق العلم فهى باطن آيات الحكم،و من خلال هذا و ذاک يعرف المؤمنون اسمى الحكيم العليم لربهم.

و فى نهايه هذه الآيات يضرب اللّه مثلا من واقع موسى عليه السلام فموسى كان طاهرا و نقيا،الا ان الوحى أو قد مصباح عقله بنور اللّه،إذ نزل عليه فى عمق الصحراء و فى الليل المظلم،حيث البرد و الضياع و الزوجه الحامل،و هكذا يهبط الوحى على الأنبياء عند لحظات النقاء و الطهر و التجرد و التى ترافق لحظات الشده و العسر.

ان الوحى الذى تلقاه موسى لم يكن ليعالج مشاكله الشخصيه،بل جاءه الوحى ليعالج مشاكل الامه كلها،و هذا دليل على انه اتصال غيبى من الأعلى،فلو ان الرساله التى جاء بها كانت من عنده كنا نجد فيها اثار الظروف الصعبه المحيطه به،و ما كان ليهتمّ بمشاكل الامه جميعا بل البشريه كلهم،لان الثقافه الارضيه تنبع من وسط الإنسان و تتأثر به،أما موسى عليه السلام فانه يسمع نداء فى ذلک الحين:

اننى انا اللّه رب العالمين،و هنالک ينسى كل شىء،و يتوجه الى ربه خالصا، و يهدف حل مشاكل أمته،متجردا عن ذاته الى اللّه،و هذه هى خلاصه قصه الرساله:من جهه الخروج عن الوسط الذى يعيشه الفرد،و من جهه أخرى تلقى فكره شامله مطلقه لا تحدها الظروف الخاصه التى يعيشها الفرد ذاته،و عبر هذه القصه و القصص المشابهه يكشف لنا القرآن الحكيم عن حقيقه الوحى،و جوهر فرقه

ص:۱۵۲

عن الثقافات البشريه.

بينات من الآيات:

[۱] طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَ كِتَابٍ مُبِينٍ «تلك»اشاره الى«طس»بأنها آيات القرآن الثابته من جهه(فالكتاب هو الشیء الثابت)و الواضحه من جهه أخرى،إذ عرّفتها الآيه بأنها مبينه.

[۲] هُدىً وَ بُشْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ يحمل القرآن فى آياته الهدى و البشرى،و لكن ليس لكل أحد بل لمن يريد الهدايه و بالتالى البشرى،فمن ناحيه تتحرك أنت نحو القرآن فيتحرك القرآن نحوك،لتلتقى أنت و السعاده و الفلاح،أما إذا جلست دون حركه نحو القرآن فلن تتلقى الهدى و لا البشاره.

[۳] اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكٰاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ هُمْ يُوقِنُونَ الصلاه و الزكاه رمزان لجانبين من أعمال الإنسان،فالاولى رمز للعبوديه المطلقه للّه،و بالتالى التحرر المطلق من قيود الذات و الواقع السلبى،و الثانيه رمز للعطاء، و هذه هى العلاقه التى يجب ان تقوم بين الإنسان و نظيره الإنسان،و المفارقه بين العلاقتين واضحه،فمع اللّه تكون علاقه العبوديه،و مع الناس تكون علاقه الإحسان لا الشرك،و يعبّر القرآن عن هاتين العلاقتين فى آيه أخرى حين يقول: «وَ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَ لاٰ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوٰالِدَيْنِ إِحْسٰاناً» (۱)

ص:۱۵۳

۱- ۱) النساء/(۳۶).

[۴] إِنَّ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ زَيَّنّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ان الـذى يضع لنفسه هـدفا بعيـدا كالآخره يكيّف نفسه مع ذلك الهـدف،فلا يتأثر بالعادات و الظروف المحيطه به،لأنه يجعل سائر اعمال الحياه وسيله لهـدف اسـمى،فلا يعبـد ذلك العمل و لا يحبه أو يمارسه الا من أجل الهدف الذى يؤدى هذا العمل اليه،اما الذى لا هدف له فهو يحب الوسـيله و يقف عندها كالذين لا يؤمنون بالآخره فهم يستمرون على اعمال الـدنيا لان عملهم محـدود بالظواهر فقط،و لعل قوله تعالى:« زَيَّنّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ »اشاره الى هـذه الفكره،فالكـافرون لا ينظرون الى الجوانب المختلفـه مـن العمـل،و انمـا يربطـون أنفسـهم بالعمـل ذاتـه فيعمهـون اى (يعمون)عن عواقبه.

[۵] أُوْلٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذٰابِ وَ هُمْ فِي الْآخِرَهِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ و ان أعمالهم لا تورث لهم الا العذاب و الخسران.

[۶] وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ اللّه يلقى الكتـاب على قلب الرسـول،و الرسول يتلقـاه بوعى و علم،و اللّه حكيم و القرآن آيه حكمته،و عليم يتجلى علمه فى القرآن.

و هكذا كان ظاهر القرآن حكما صائبا لأنه من اللّه الحكيم،و باطنه علما لأنه من اللّه العليم.

ص:۱۵۴

[سوره النمل (٢٧): الآيات ٧ الی ١٧]

اشاره

إِذْ قالَ مُوسىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّی آنَسْتُ ناراً سَآتِیکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِیکُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمّا جاءَها نُودِیَ أَنْ بُورِکَ
مَنْ فِی اَلنّارِ وَ مَنْ حَوْلَها وَ سُبْحانَ اَللّهِ رَبِّ اَلْعالَمِینَ (٨) یا مُوسىٰ إِنَّهُ أَنَا اَللّهُ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (٩) وَ أَلْقِ عَصاکَ فَلَمّا رَآها تَهْتَزُّ
کَأَنَّها جَانٌّ وَلّىٰ مُدْبِراً وَ لَمْ یُعَقِّبْ یا مُوسىٰ لا تَخَفْ إِنِّی لا یَخافُ لَدَیَّ اَلْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلاّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّی
غَفُورٌ رَحِیمٌ (١١) وَ أَدْخِلْ یَدَکَ فِی جَیْبِکَ تَخْرُجْ بَیْضاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ فِی تِسْعِ آیاتٍ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ کانُوا قَوْماً فاسِقِینَ
(١٢) فَلَمّا جاءَتْهُمْ آیاتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هٰذا سِحْرٌ مُبِینٌ (١٣) وَ جَحَدُوا بِها وَ اِسْتَیْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ
اَلْمُفْسِدِینَ (١٤) وَ لَقَدْ آتَیْنا داوُدَ وَ سُلَیْمانَ عِلْماً وَ قالاَ اَلْحَمْدُ لِلّهِ اَلَّذِی فَضَّلَنا عَلىٰ کَثِیرٍ مِنْ عِبادِهِ اَلْمُؤْمِنِینَ (١٥) وَ وَرِثَ سُلَیْمانُ
داوُدَ وَ قالَ یا أَیُّهَا اَلنّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ اَلطَّیْرِ وَ أُوتِینا مِنْ کُلِّ شَیْءٍ إِنَّ هٰذا لَهُوَ اَلْفَضْلُ اَلْمُبِینُ (١٦) وَ حُشِرَ لِسُلَیْمانَ جُنُودُهُ مِنَ اَلْجِنِّ
وَ اَلْإِنْسِ وَ اَلطَّیْرِ فَهُمْ یُوزَعُونَ (١٧)

اللغه

٧[تصطلون]:الاصطلاء الاستفاء بالنار،من یصلی،و أصله اصتلی.

١٠[یعقب]:أی لم یرجع و لم یلتفت،فکأن الراجع و الملتفت یعقب الأمر السابق.

ص:١۵۵

بُورِکَ مَنْ فِی النّٰارِ وَ مَنْ حَوْلَهٰا

هدی من الآیات:

جاء موسی علیه السلام فی تلک اللیله الشاتیه لیقتبس شهابا من تلک النار التی آنسها من بعید،و لیهتدی علی أثرها،و یحمل الدفء و الهدی الی اهله،فاذا به یسمع نداء یبتدئ بالبرکه،و لعلها تعبیر عن التکامل و النمو.

إنّ لدی الإنسان صفات فطریه متنوعه و هی بحاجه الی التنمیه و التزکیه لتنتهی الی البرکه،فهو یملک العلم و الإراده و الصحه بالقوه-یعنی انه یملک امکانیه کل ذلک-و التربیه هی التی تتعهد هذه الصفات بالتنمیه و التزکیه،فاذا بامکانیه العلم تتحول الی علم،و امکانیه التعقل تتحول الی عقل،و امکانیه الصحه الی سلامه،و حسب التعبیر الفلسفی یتحول الشیء من القوه الی الفعل،و ذلک بحاجه الی منهج متکامل هو رسالات اللّه التی تفجر طاقات الإنسان و تنمیها و توجهها، لذلک تتکرر کلمه البرکه فی القرآن،فالقرآن برکه،و الرسول برکه،و البیت الحرام مبارک،و هکذا.

و أول ما تلقى موسى عليه السلام من الوحى هو الاشاره بالبركه: «أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي اَلنّٰارِ وَ مَنْ حَوْلَهٰا» و ربما يقصد بمن فى النار اللّه تعالى،و من حولها موسى.

أما عن منطلق البركه فى حياه الإنسان فهو الايمان باللّه سبحانه و تعالى،لـذلك يأتى النداء الآخر بعد ذكر البركه-و فيه تعبير عن التوحيد-فاللّه هو منشأ كل خير فى عالم الطبيعه،و الايمان باللّه هو منشأ كل خير فى عالم التشريع.

و بعـد ان يشير السياق الى الآيات التى تجلت على يـد موسـى عليه السـلام يتناول قصه سـليمان عليه السـلام الذى ورث العلم و الملـك من داود،فأصـبح ملكـا نبيـا،و ذلك ليبين لنا فكره هامه هى:ان الالتزام بالرساله لا يعنى تحمل المشاق و المتاعب الا انها بالطبع تؤدى بأصحابها الى النصر و الملك.

و القرآن الحكيم كثير مـا يبين لنا أحكامه و أفكاره عبر الامثله التاريخيه و القصـص،فبقصه يعقوب مع ولـده يوسف عليه السـلام يثير فينـا عاطفه الابوه،و بقصه إبراهيم مع ابنه إسـماعيل عليه السـلام -حين أراد ذبحه-يبين تحـدى الإنسان لهـذه العاطفه،أما من قصه سـليمان عليه السـلام فاننا نستوحى ان الدنيا و الآخره يمكن ان يجتمعا على صعيد واحد،فبإمكان الرسالى صياغه حياه ملؤها الفضيله و التقوى،و يجمع إليها القوه و النعم الدنيويه،و القصه تفيد أيضا ان التفكير السليم يمكّن من جمع الدنيا و الآخره،حسب مسـتوى الإنسـان و طموحه و قـدراته،و يسـتشف من القصه معنى البركه الـذى جاء ذكره فى أوّل الآيـات،فإنسـان ما قـد يصـبح كسـليمان نبيـا، يتلقى الوحى من اللّه سـبحانه مباشـره،و فى الوقت ذاته يكون ملكـا بملك لا ينبغى لأحـد من قبله و لا لأحـد من بعده.

بينات من الآيات:

[۷]لكى لا يستغرب أحد كيف يتلقى الرسول الوحى من لدن حكيم عليم،

و لكى يعرف المؤمنون مزيدا من خصائص الوحى و كيف يتلقاه الرسول،و ما هى ظروف التلقى!يبين ربنا قصص الأنبياء،و ها هو موسى عليه السلام يسير بأهله فيأنس نارا فيذهب ليأتى منها بخبر(عن الطريق)أو قبس ليصطلى و يستضىء به.

إِذْ قالَ مُوسىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّی آنَسْتُ ناراً سَآتِیکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِیکُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ [٨] فَلَمّا جاءَها حين اتجه موسى عليه السلام نحو النار و وصل على مقربه منها.

نُودِیَ أَنْ بُورِکَ مَنْ فِی النّارِ وَ مَنْ حَوْلَها قال البعض ان من فى النار هم الملائكه،و من حولها هو موسى عليه السلام .

و قال البعض ان «مَنْ فِی النّارِ» هو اللّه الذى تجلى هنا لك ببعض أسمائه،و قد قال ربنا: «وَ سُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ» و قد جاءت الخاتمه لبيان تقديس الرب من الحلول فى مكان.

و يحتمل ان يكون المقصود بمن فى النار هو موسى،و من حولها الذين يقتبسون منه،و ينتهجون خطه.

وَ سُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ اى تعالى اللّه ان يكون حالاّ فى النار،لأنه أكبر من ان يحدّه شىء.

[٩]ان النداء الذى تلقاه موسى عليه السلام هو المسؤوليه التى تتمثل فى الرساله الالهيه المنزله اليه،ينذر بها قومه،و يتحدى بها النظام الفاسد.

يا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و هذا هو المنطلق.

[۱۰] وَ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ يقول المفسرون ان الجان هى الحيه الصغيره سريعه الحركه،و لكنا نعلم ان عصى موسى عليه السلام تحولت الى ثعبان ضخم،و عليه فقد يكون التعبير بكلمه«جان» و هى الحيه الصغيره لبيان معنيين الاول:جانب الخفّه و السرعه فى الحركه حتى كأن هذا الثعبان الضخم فى خفته حيه صغيره،و الثانى:انه كان فى ضخامته كأنه الجن.

و موسى عليه السلام حين رأى هذا المنظر الرهيب:

وَلّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ اى هرب و لم يلتفت الى خلفه،أو لم يتعقب الأمر و يتابعه مرحله فمرحله و لحظه فلحظه،الا ان العنايه الالهيه تحوط موسى و تمده بالعون فى كل حين،لذلك جاءه النداء تثبيتا له:

يا مُوسى لا تَخَفْ إِنِّى لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ الرساله هى عطاء الهى جديد يضاف الى الرسول،و ليست نبوغا فطريا،و لا نموا طبيعيا فى حياته،لذلك نجد موسى عليه السلام يخشى و يخاف من العصا التى ألقاها هو نفسه،إذ لم يكن يعلم انها ستتحول الى جان.

لقد سما موسى عليه السلام فى لحظه الى أفق النبوه،من حمله الرسالات الالهيه فأضحى ينفذ الأمر بلا خشيه و لا تردد،حقا ما أعظم التحول الذى ينشأوه الوحى فى هذا

البشر الضعيف.ان يعرج به الى قوه تتسامى فوق كل قوه ماديه لأنه يقر به الى رب القدره و الجبروت.

و الرسول يجب ان لا يخاف،لأنه يعتمد فى تحركه على قوه غيبيه مطلقه.

[۱۱] إِلاّٰ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّی غَفُورٌ رَحِیمٌ الذى ينبغى ان يخاف امام اللّه ليس موسى عليه السلام و لا الأنبياء و المرسلون،و انما الظالمون بسبب ذنوبهم و سيئاتهم،و لماذا نخاف من اللّه و هو ارحم الراحمين؟!الا ان المشكله تبدأ منا و تنتهى إلينا بسبب الذنوب و المعاصى،فالطبيعه مثلا خلقها اللّه لنا فلا نخاف منها،بل نخاف من عدم قدرتنا على الاستفاده السليمه منها.

و حتى الظالم صاحب الذنوب يمكنه أن يتوب ليجد اللّه غفورا رحيما،فلا يبقى ما يقلقه أو يخيفه.

[۱۲] وَ أَدْخِلْ یَدَکَ فِی جَیْبِکَ تَخْرُجْ بَیْضٰاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ قد يصيب البياض يد الإنسان بسبب البرص و هذا سوء،و لكن يد موسى لم يكن بها ذلك المرض،و انما خرجت بشعاع من نور.

فِی تِسْعِ آیٰاتٍ سبع منها آيات إنذار و عذاب و هى:الدم،و القمّل،و الجراد،و الضفادع، و الطوفان،و الثعبان،و انفلاق البحر،و اثنتان منها آيتان للرحمه و هما:اليد البيضاء،و انبجاس عيون الماء من الصخره حين ضربها موسى عليه السلام بالعصا.

إِلیٰ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ کٰانُوا قَوْماً فٰاسِقِینَ

و الفسق هو تجاوز الحد،و انحراف السائر عن الطريق يسمّى فسقا.

[۱۳] فَلَمّا جٰاءَتْهُمْ آيٰاتُنٰا مُبْصِرَةً قٰالُوا هٰذٰا سِحْرٌ مُبِينٌ الآيات كانت جليه و لا تقبل الشك،و لكنهم اتهموا موسى عليه السلام بالسحر ليبرّروا كفرهم بها،و لأنهم أرادوا ظلم الناس و الاستكبار فى الأرض فكانت الرساله الالهيه تمنعهم منها لذا فإنهم اتهموا الرساله بالسحر،و كفروا بها بعد ان أيقنت أنفسهم بصدقها،و أفسدوا،و أنهى اللّه كيانهم،و أغرقهم فى اليمّ،و جعلهم عبره للمؤمنين.

[۱۴] وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اسْتَيْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ [۱۵]ان فرعون و ملأه استكبروا،و حاولوا فرض سيطرتهم الفاسده على الناس،بينما داود و سليمان شكروا اللّه حينما منحهم العلم و الهدى و السلطه، و هذا هو الفرق بين البركه الالهيه و اتباع خط الشيطان فى نعم الدنيا.

وَ لَقَدْ آتَيْنٰا دٰاوُدَ وَ سُلَيْمٰانَ عِلْماً وَ قٰالاَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى فَضَّلَنٰا عَلىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبٰادِهِ الْمُؤْمِنِينَ [۱۶] وَ وَرِثَ سُلَيْمٰانُ دٰاوُدَ وَ قٰالَ يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ عُلِّمْنٰا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينٰا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ و بهذه الكلمه أعلن سليمان عليه السلام أنّه ملك الناس.لماذا؟ لأنه وصل الى أرفع مستوى من العلم،حتى صار يعلم منطق الطير،و لأنه صار لديه كل ما يحتاجه الناس كالإداره،و قياده الحرب،و هذا يدل على ان الإسلام

ص:۱۶۲

ينظر الى القياده من خلال الكفاءه لا النسب و الحسب،فسليمان لم يرث الحكم لو لم تكن لديه الكفاءه.

و يبدو من بعض النصوص:ان سليمان ورث أباه منذ صباه لما أودعه اللّه فيه من علم و كفاءه.

فی أصول الكافی عن بعض أصحابنا عن أبی جعفر الثانی علیه السلام قال قلت له:

انهم يقولون فی حداثه سنک؟فقال:«ان اللّه تعالی أوحی الی داود ان يستخلف سليمان و هو صبی يرعی الغنم،فأنكر ذلک عبّاد بنی إسرائيل و علماؤهم،فأوحی اللّه الی داود:أن خذ عصی المتكلمين و عصی سليمان و اجعلها فی بيت،و اختم عليهما بخواتيم القوم،فإذا كان من الغد فمن كانت عصاه قد أورقت و أثمرت فهو الخليفه،فأخبرهم داود عليه السلام فقالوا:قد رضينا و سلمنا » (۱)[۱۷] وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ و ربما كانت مهمه الطيور إيصال الرسائل كالحمام الزاجل،أو التجسس كما فعل الهدهد.

فَهُمْ يُوزَعُونَ ای يوزّعون حيث يقسّم سليمان المهام على جنوده،و الحشر لا يعنی انهم مجموعون بشكل فوضوی،بل انهم موزّعون بشكل منظم.

و يبدو ان الحضاره قد تطورت فی عهد سليمان عليه السلام و انه كان خبيرا بلغات شتی.

ص:۱۶۳

۱- ۱) نور الثقلين/ج(۴)/ص(۷۵).

جاء فی تفسیر علی بن إبراهیم عن الصادق علیه السلام :

«أعطی سلیمان بن داود-مع علمه-معرفه المنطق بکل لسان،و معرفه اللغات،و منطق الطیر و البهائم و السباع،و کان إذا شاهد الحروب تکلم بالفارسیه،و إذا قعد لعماله و جنوده و أهل مملکته تکلم بالرومیّه،و إذا خلا بنسائه تکلم بالسریانیه و النبطیه،و إذا قام فی محرابه لمناجاه ربه تکلم بالعربیه،و إذا جلس للوفود و الخصماء تکلم بالعبرانیه » (۱)

و جاء فی حدیث آخر:

«اعطی داود و سلیمان علیه السلام ما لم یعط أحد من أنبیاء اللّه من الآیات،علمهما منطق الطیر،و ألان لهما الحدید و الصفر من غیر نار،و جعلت الجبال یسبّحن مع داود علیه السلام » ۳

ص:۱۶۴

۱- ۲،۳) المصدر ص(۷۸).

[سوره النمل (٢٧): الآيات ١٨ الى ٢۶]

اشاره

حَتّٰى إِذٰا أَتَوْا عَلىٰ وٰادِ اَلنَّمْلِ قٰالَتْ نَمْلَةٌ يٰا أَيُّهَا اَلنَّمْلُ اُدْخُلُوا مَسٰاكِنَكُمْ لاٰ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمٰانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضٰاحِكاً مِنْ قَوْلِهٰا وَ قٰالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ اَلَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلىٰ وٰالِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صٰالِحاً تَرْضٰاهُ وَ أَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبٰادِكَ اَلصّٰالِحِينَ (١٩) وَ تَفَقَّدَ اَلطَّيْرَ فَقٰالَ مٰا لِيَ لاٰ أَرَى اَلْهُدْهُدَ أَمْ كٰانَ مِنَ اَلْغٰائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذٰاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطٰانٍ مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقٰالَ أَحَطْتُ بِمٰا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّى وَجَدْتُ اِمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَهٰا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهٰا وَ قَوْمَهٰا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَ زَيَّنَ لَهُمُ اَلشَّيْطٰانُ أَعْمٰالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ اَلسَّبِيلِ فَهُمْ لاٰ يَهْتَدُونَ (٢۴) أَلاّٰ يَسْجُدُوا لِلّٰهِ اَلَّذِى يُخْرِجُ اَلْخَبْءَ فِى اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مٰا تُخْفُونَ وَ مٰا تُعْلِنُونَ (٢۵) اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ رَبُّ اَلْعَرْشِ اَلْعَظِيمِ (٢۶)

اللغه

١٩[أوزعنى]:أى ألهمنى،من وزع بمعنى كف.

٢٢[فمكث]:المكث البقاء اليسير.

ص:١۶۵

۲۵[الخبء]:الخبیء المخبوء،و هو ما أحاط به غیره حتی منع من إدراكه.

ص:۱۶۶

وَ جِئْتُکَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ یَقِینٍ

هدی من الآیات:

لقد ملك سليمان جنودا لم يملكها أحد قبله،و لن يملكها أحد بعده،و حشر له جنود منظّمون من الجن و الانس و الطير،و كانوا يسيرون فی الأرض،و يسعون فيها عمرانا و بناء.و فی بعض أسفارهم مرّوا بواد النمل فاذا بملكتهم تناديهم:ان يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم،فانّ سليمان و جنوده قادمون،و أخشى ان يحطموكم باقدامهم و حوافر خيولهم،فتبسم سليمان منها حين سمعها.

قد تكون للإنسان معارف و أفكار لا تستثار الا بحوادث تطرأ على حياته،فينتبه لها،و قد يكون غافلا عن نفسه فاذا بظاهره أو حادثه طارئه تثيره لتفتح له أبواب المعرفه و العلم،فقد بدأ العالم المعروف(نيوتن)أبحاثه عن الجاذبيه لأنه شاهد تفاحه تسقط من الشجره الى الأرض،فتساءل:لماذا لا تصعد الى السماء؟! و انتهى الى نظريه الجاذبيه.

و قد بلغ سليمان عليه السلام من القوه و السلطه شأنا بعيدا،فغفل أو تغافل حدود سلطانه-و هذا هو شأن الأنبياء و الصالحين-فهم كلما زاد ايمانهم زاد تواضعهم للّه،و لم يأبه سليمان عليه السلام بالجوانب الماديه للملك ليخرجه عن توازنه و عبادته للّه- كما هو شأن سائر الملوك-بل لم يكن الملك بالنسبه اليه وسيله للتكبر و الاستعلاء،بل وسيله لإقامه العداله على الأرض،فقد كان يقضى النهار صائما و الليل قائما متعبدا للّه سبحانه،و لم يتذكر عليه السلام مدى سلطانه الى ان سمع خطاب النمله مما أثّر فيه،فاندفع نحو ربه شاكرا له على نعمه المتواليه،و هذا يؤكد حقيقه هامه و هى:انعكاس ما يحدث للإنسان على العوالم المحيطه به،فالعداله تشمل الإنسان و الطبيعه من حوله،و هكذا الظلم.و قد تعجب سليمان عليه السلام من خطاب النمله!فكيف به و هو العبد الضعيف ان تبلغ قوته حدا يخشاه حتى النمل!لذلك اندفع نحو الشكر للّه، خشيه ان يكون شعوره بالقوه سببا للكفران بالنعم و الطغيان.

لذلك بادر طالبا من اللّه التوفيق الى شكره،ليس فقط شكرا نفسيا و لفظيا بل و عمليا أيضا،و ذلك بأن يستخدم ما وهبه اللّه من القوه و المنعه و الملك فى سبيل عمل صالح يرضيه تعالى،فليس كل عمل صالح بذاته يرضى اللّه،فلو انقطع شخص للّه بالعباده صياما و صلاه و لكنه انعزل عن الناس و الكدّ على من يعولهم،فان هذا العمل لا يرضى اللّه و ان كانت الصلاه فى ذاتها عملا صالحا.

كما جرت لسليمان عليه السلام حادثه أخرى تكشف لنا عن ملكه و طريقته فى الحكم،حينما غاب الهدهد فظن فى بادئ الأمر انه خالف قواعد الانضباط، فهدّده و توعّده بالعذاب حتى يصير عبره لسائر الجنود،فلا يفكرون فى مخالفه النظام فتعمّ الفوضى فى الجيش،و كان من عاده سليمان عليه السلام نتف ريش الطائر المخالف و المتخلف،الا ان الهدهد فاجأ سليمان عليه السلام حين نقل له خبرا مفاده:انه رأى مملكه سبأ فى بلاد اليمن،و لم يكن لدى سليمان علم ظاهر بها،لأنه كان يعيش فى

فلسطين،إذ يجب ان تلتقى الحضارتان(و هذه سنه الحياه)و أضحى الهدهد هو الرابط.

بعد ذلك قرر سليمان عليه السلام ان يتبين الأمر،فان صدق أكرمه و الا أحلّ به العذاب،لذلك دفع اليه رساله و أمره ان يلقيها الى ملكه سبأ،و فى القصه عبر و دروس سنتعرض لها فى البيّنات.

بينات من الآيات:

اشاره

[١٨] حَتّٰى إِذٰا أَتَوْا عَلىٰ وٰادِ النَّمْلِ قٰالَتْ نَمْلَةٌ يٰا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسٰاكِنَكُمْ لاٰ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمٰانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ و لم تقل النمله ان سليمان و جنوده لا يملكون الاحساس أساسا،و انما قالت بأن اهتمامهم بأشياء أخرى قد يجعلهم لا يدركون بأن تحت أرجلهم شيئا و هذه اشاره للإنسان المقتدر بأن لا ينسى النمله بل يهتم بها،لأنها ذات روح و شعور.

و الحاكم العادل يأخذ حساباته حتى بالنسبه لهذه النمله،و لنستمع إلى

كلمه الإمام على عليه السلام و هو يومذاك حاكم على إمبراطوريّه عظمى:

«و اللّه لو أعطيت الأقاليم السبعه بما تحت أفلاكها،على أن أعصى اللّه فى نمله أسلبها جلب شعيره ما فعلته،و إنّ دنياكم عندى لأهون من ورقه فى فم جراده تقضمها.ما لعلىّ و لنعيم يفنى،و لذّه لا تبقى » (١)أما الطغاه فإنهم يتجاهلون شعوبا بأكملها،فأمريكا تفكر ان تضغط على روسيا فى افغانستان ما دامت الاخرى تضغط عليها فى بولونيا و فى كلتا البلدين

١- ١) نهج البلاغه/خ(٢٢۴)/ص(٣۴٧).

شعب مستضعف الا ان المهم عندهم ان تمشی سیاستهم و مصالحهم و لو دفع ملایین المستضعفین الی الجحیم.

کما تزرع کلتا الدولتین صواریخها النوویه المرعبه بین ملایین البشر،و تسلبهم الراحه و الاطمئنان،فالمهم عندهم ان یکونوا أقویاء،و هذا هو الفرق بین مملکه الإیمان و إرهاب الطغاه.

[۱۹] فَتَبَسَّمَ ضٰاحِکاً مِنْ قَوْلِهٰا قیل:ان سلیمان علیه السلام لما سمع کلام النمله،أمر الجیش بالتوقّف فی الصحراء حتی دخل النمل أجمعهم الی بیوتهم،فأمرهم بعد ذلک بمواصله المسیر،و فی الوقت ذاته تعجب سلیمان من کلام النمله،و عرف انه وصل ذروه رفیعه من القوه و السلطه،و انه استجیبت دعوته التی قال فیها: «رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ هَبْ لِی مُلْکاً لاٰ یَنْبَغِی لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِی إِنَّکَ أَنْتَ الْوَهّٰابُ» (۱)لذلک توجه بالشکر الی اللّه لکی لا تبطره النعمه فیطغی.

و هناک حدیث شریف ینقل حوارا بین سلیمان و النمله:

فی عیون الاخبار باسناده الی داود بن سلیمان الغازی،قال:سمعت علی بن موسی الرضا علیه السلام یقول عن أبیه موسی بن جعفر علیه السلام فی قوله: «فَتَبَسَّمَ ضٰاحِکاً مِنْ قَوْلِهٰا» و قال:لما قالت النمله: «یٰا أَیُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسٰاکِنَکُمْ لاٰ یَحْطِمَنَّکُمْ سُلَیْمٰانُ وَ جُنُودُهُ» حملت الریح صوت النمله الی سلیمان علیه السلام و هو مارّ فی الهواء، فالریح قد حملته،فوقف و قال:علیّ بالنمله،فلما أتی بها قال سلیمان:یا أیتها النمله اما علمت انی نبی اللّه و انی لا أظلم أحدا؟!قالت النمله:بلی.قال

۱- ۲) سوره ص/(۳۵).

سلیمان:فلم تحذرینهم ظلمی و قلت: «يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ؟» قالت النمله:خشیت ان ینظروا الی زینتک فیقیسوا بها،فیبعدون عن اللّه عز و جل،ثم قالت النمله:أنت أکبر أم أبوک داود؟قال سلیمان:بل أبی داود، قالت النمله:فلم یزید فی حروف اسمک علی حروف اسم أبیک داود؟قال سلیمان:مالی بهذا علم،قالت النمله:لان أباک داود داوی جرحه بودّ فسمی داود،و أنت یا سلیمان أرجو ان تلحق بأبیک،ثم قالت النمله:هل تدری لم سخرت لک الریح من بین سائر المملکه؟قال سلیمان علیه السلام :مالی بهذا علم،قالت النمله:یعنی عز و جل بذلک لو سخرت لک جمیع المملکه کما سخرت لک هذه الریح لکان زوالها من یدیک کزوال الریح،فحینئذ تبسم ضاحکا من قولها (1) وَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِی أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِی أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلَى وَالِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَ أَدْخِلْنِی بِرَحْمَتِكَ فِی عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ لقد کان سلیمان ملکا و نبیا،کما کان أبوه ملکا و نبیا،و أمّه مؤمنه صالحه، و کان یعمل الصالحات التی یرضاها اللّه،و لکنه لم یکتف بتلک الصفات بل دعا اللّه ان یجعله مع الصالحین،فما ذا ینفع الإنسان ان یکون أبواه صالحین إذا لم یکن هو کذلک کما ینبغی علی من أوتی الحکم و النبوه و الصلاح ان لا یتخذ ما أوتی من الفضل اداه للتفرقه بینه و بین الصالحین الآخرین.

[۲۰] وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ

۱- ۳) نور الثقلین/ج(۴)/ص(۸۲).

[۲۱]و لعله خشی ان خروجه من غیر إذن قد یشجّع الآخرین علی عدم الانضباط،لذلک توعّده بالعذاب.

لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِیداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَیَأْتِیَنِّی بِسُلْطانٍ مُبِینٍ ان کان غیابه لعذر،و الا فالعذاب الشدید أو الذبح العاجل ینتظره.

[۲۲] فَمَکَثَ غَیْرَ بَعِیدٍ عاد الهدهد فبادره سلیمان بالسؤال:این کنت؟! فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُکَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ یَقِینٍ لا یقبل الشک.

تقول روایه شریفه:

«قال ابو حنیفه لابی عبد الله علیه السلام : کیف تفقد سلیمان الهدهد من بین الطیر؟ قال:لان الهدهد یری الماء فی بطن الأرض کما یری أحدکم الدهن فی القاروره،فنظر ابو حنیفه الی أصحابه،و ضحک قال ابو عبد الله علیه السلام :ما یضحکک؟قال:ظفرت بک جعلت فداک قال:و کیف ذلک؟قال:الذی یری الماء فی بطن الأرض لا یری الفخ فی التراب حتی یؤخذ بعنقه؟قال ابو عبد الله علیه السلام :یا نعمان اما علمت انه إذا نزل القدر أغشی البصر؟! » (۱)[۲۳] إِنِّی وَجَدْتُ امْرَأَهً تَمْلِکُهُمْ

۱- ۴) المصدر ص(۸۵).

ای تحکمهم و تقودهم.

وَ أُوتِیَتْ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ لدیها أنواع الخیر و الملک.

وَ لَها عَرْشٌ عَظِیمٌ نقل ان عرش بلقیس کان خمسه و عشرین ذراعا طولا و عرضا و ارتفاعا،و کانت مقدمته من الذهب،و کانت بلقیس بنت شرحبیل تحکم قومها بمجلس شوری، یضم أکثر من(۳۱۳)رجلا،یمثّل کل واحد منهم قبیله.

[۲۴] وَجَدْتُها وَ قَوْمَها یَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللّهِ الناس نوعان:نوع یعمل بعد التفکیر،و نوع یعمل من دون تفکیر،و لو کان هؤلاء یفکرون قبل ان یتعبّدوا للشمس لاهتدوا الی الصواب،و لکنهم عطلوا تفکیرهم،و اکتفوا بالواقع الموجود أو المورث.

بلی.هو کما

قال الإمام علی علیه السلام :

«و لو فکّروا فی عظیم القدره،و جسیم النعمه،لرجعوا إلی الطریق،و خافوا عذاب الحریق،و لکن القلوب علیله،و البصائر مدخوله! » (۱)وَ زَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطانُ أَعْمالَهُمْ عبر التبریر و التضلیل.

ص:۱۷۳

۱- ۵) نهج البلاغه/خ(۱۸۴)ص(۲۷۰).

فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاٰ يَهْتَدُونَ و كيف يهتدى من استسلم للشيطان،و جعله يفكّر و يخطط بالنيابه عنه؟! [۲۵] أَلاّ يَسْجُدُوا لِلّٰهِ الَّذِی يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ و ليس الشمس هى التى تخرج القوى و الطاقات الكامنه حتى نعبدها.

وَ يَعْلَمُ مٰا تُخْفُونَ وَ مٰا تُعْلِنُونَ [۲۶] اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الـذى لا يقاس به عرش بلقيس و سائر السـلاطين حتى نخضع لهم من دونه،و لا بسائر المخلوقات كالشمس حتى نؤلهها و نتصورها ربّا.

هكذا كانت البدايه للقاء حضارتين(حضاره عربيه و أخرى عبريه).

دروس من القصه:

۱-ان الإنسان قـد يتقـدم و يتكامل فى حياته الى درجه معرفه منطق الطير، و الاسـتفاده منه،و هـذا يعنى اننا من أجل الوصول الى حضاره انسانيه متكامله فى المستقبل يجب أن نسعى للاستفاده من الأحياء و الطبيعه من حولنا الى أقصى حد.

۲-ان الانضـباط ضـروره و لا سـيما بالنسـبه للجندى فى الخط العسكرى الا ان للمبادره أهميتها أيضا،فاذا بادر الجندى الى مهمه ناجحه فعلى القائد أن يكرمه حتى لا تموت روح المبادره عند الجيش.

۳-ان الطيور كما البشر يعرفون الطريق الى اللّه،لذلك عرف الهدهد أن عباده الشمس انحراف و ضلال.

ص:۱۷۴

[سوره النمل (۲۷): الآیات ۲۷ الی ۳۴]

اشاره

قالَ سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ کُنْتَ مِنَ اَلْکاذِبِینَ (۲۷) اِذْهَبْ بِکِتابِی هٰذا فَأَلْقِهْ إِلَیْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ما ذا یَرْجِعُونَ (۲۸) قالَتْ یا أَیُّهَا اَلْمَلَأُ إِنِّی أُلْقِیَ إِلَیَّ کِتابٌ کَرِیمٌ (۲۹) إِنَّهُ مِنْ سُلَیْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ (۳۰) أَلاّ تَعْلُوا عَلَیَّ وَ أْتُونِی مُسْلِمِینَ (۳۱) قالَتْ یا أَیُّهَا اَلْمَلَأُ أَفْتُونِی فِی أَمْرِی ما کُنْتُ قاطِعَهً أَمْراً حَتّٰی تَشْهَدُونِ (۳۲) قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّهٍ وَ أُولُوا بَأْسٍ شَدِیدٍ وَ اَلْأَمْرُ إِلَیْکِ فَانْظُرِی ما ذا تَأْمُرِینَ (۳۳) قالَتْ إِنَّ اَلْمُلُوکَ إِذا دَخَلُوا قَرْیَهً أَفْسَدُوها وَ جَعَلُوا أَعِزَّهَ أَهْلِها أَذِلَّهً وَ کَذٰلِکَ یَفْعَلُونَ (۳۴)

اللغه

۳۲[قاطعه]:ممضیه أمرا.

ص:۱۷۵

أَلاّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِی مُسْلِمِینَ

هدی من الآیات:

لقد ساعد غیاب الهدهد علی التقاء حضارتین عظیمتین فی زمانهما،و هما الحضاره العبریه و یمثّلها سلیمان علیه السلام و هی الحضاره الالهیه التی تستمد قیمها من الوحی،و الحضاره العربیه و تمثلها بلقیس،و هی الحضاره الارضیه التی تستمد قیمها من عقل الإنسان حینا،و شهواته فی الأغلب.

و کما ان جوهر رساله اللّه یختلف عن واقع الثقافه الارضیه-حسبما ذکّرتنا به سوره الشعراء-فان سلوکیات الرسل و شخصیاتهم تختلف عن شخصیات و سلوکیات أصحاب ثقافه الأرض،فمع ان سلیمان علیه السلام کان ملکا و من عاده الملوک الاستعلاء و الفساد استجابه لاغراءات الملک،الا انه کان ملکا صالحا مترفّعا عن کل الرذائل،و هکذا یکون الملک حین یتّصل بالرساله الالهیه مثالا سامیا للسلوک الفاضل،و ان دلّ هذا علی شیء فانما یدل علی ان قدره الرساله تفوق الظروف،و ان الروح المعنویه التی تبعثها فی کیان الفرد،تجعله فوق المتغیّرات و المؤثرات السلبیه فی

الحیاه،و ان شئت فقل فوق ما یسمی بالحتمیات العلمیه.

فلو نظرت الی مصادر علم الاجتماع لوجدت قائمه من الحتمیات الاجتماعیه، و هکذا تجد أمثالها فی علم النفس و التاریخ،و لکن قد یأتی إنسان ما فیتجاوز هذه الحتمیات المدّعاه،و یحدث فی مجتمعه تغییرا یبدّل مجری التاریخ،و یخلق تیارا معاکسا لواقع المجتمع دون ان یخضع للمسیره التاریخیه-حسب نظریه مارکس- فبرغم انتمائه الطبقی و العائلی الا انه یصیر شیئا آخر تماما،و هذه من میزات النور الالهی الذی ینفذ فی قلوب الصادقین من عباد اللّه،و یضرب لنا اللّه مثلا بسلیمان علیه السلام .

لقد عامل سلیمان الهدهد-و هو طائر یعمل فی خدمته-معامله کریمه،حیث لم یعاقبه،بل منحه فرصه کی یکتشف مدی صحه ما جاء به،فکتب رساله و سلمها له،و أخذها الهدهد و ألقاها علی عرش ملکه سبأ،فلما بصرت بها امتلکها العجب.

فشهره سلیمان علیه السلام کانت قد سبقت رسالته إلیها،و کانت بلقیس علی علم بما یجری فی البلاد الاخری،و هی تدری بأن بلاد فلسطین و بلاد الشام یحکمها ملک کریم،و علی أثر استلامها کتاب سلیمان جمعت أعضاء مجلسها الاستشاری، و الذی کان حسب قول بعض المفسرین یضم(۳۱۳)رجلا،و أخبرتهم بأنها استلمت رساله کریمه مختومه بخاتم سلیمان،و فی داخلها أوامر حکیمه و رشیده، فیها دعوه للخضوع لملکه و سیطرته،و لکنه لا یفعل ذلک من أجل فرض سیطرته و هیمنته،و من أجل ضمّ ملکها الی ملکه،و إنّما لنشر رایه الحق و العداله الالهیه.

ثم طلبت بلقیس من مجلسها أن یشیر علیها بما یجب ان تفعله فی أمر خطیر کهذا، فترک المجلس المسأله إلیها،و أبدوا استعدادا لتنفیذ کل ما تقرره و تأمر به،فکان

القرار النهائی لبلقیس الاستسلام لسلیمان،لأنها عرفت أنه أکثر نفوذا و قوه منها، و انها ان لم تشتر استقلال بلادها بالتعاون مع سلیمان،فانه و جنوده سیدخلونها عنوه و یؤدی ذلک الی خرابها و دمارها.

و القرآن الحکیم لا یبیّن لنا الاحداث التاریخیه لمجرد العلم أو التسلیه بها،و إنما یبینها للاعتبار و الاتعاظ،کما أنّه لا یحتوی علی لغو و عبث،إذا فعلی کل جیل ان یستفید منه بما یتناسب و قدرته للاستیعاب.

و نستفید من القصه ان أفضل حکومه تقوم بین الناس هی الحکومه التی تجمع بین المشوره فی الرأی و الحزم فی القرار،ذلک لان الذی یحرک العالم أمران:العلم و الاراده.فیجب علی المرء ان یعرف الطریق ثم یقرر المضی فیه،إذ قد یکون القرار خاطئا و مهلکا بدون علم،و القرار الذی لا إراده معه سیکون هشّا،و السلطه یجب ان تکون مجسّده لهذین العاملین الأساسین لحرکه التاریخ.

ان الحکومات النیابیه التی یضیع فیها القرار بسبب اختلاف الإفراد لا تفرز قرارات حازمه،و أما الحکومات المستبده فالحزم موجود فی قراراتها الا انها ینقصها الرأی الصائب أو القرار العلمی،لأن الفکر الواحد لا یستطیع استیعاب المزید من المعارف و التجارب،و أما الحکومات التی تبقی فیها القرارات لأعلی سلطه ای للفرد الذی یمسک زمام الأمور بیده،و لکنه لا یتخذ القرار الا بعد ان یستشیر مجموعه من الناس،سواء کانت هذه المجموعه من الخبراء أو المستشارین أو النواب،فانها تکون أقرب الی الصواب،لأن هذا النوع من الحکومات یجمع بین علم المشوره و حزم القرار،و یتضح هذا النوع من الحکومات فی الآیه الکریمه التی تقول: وَ شٰاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ فَإِذٰا عَزَمْتَ فَتَوَکَّلْ عَلَی اللّٰهِ (۱)

ص:۱۷۸

۱- ۱) آل عمران/(۱۵۹).

إذ يخاطب اللّه رسوله مرشدا إياه الى مشاوره المسلمين فى أموره،على أن يبقى القرار حقا خاصا به.

و نستوحى سلامه هذا النوع من الحكم من خلال قصه بلقيس حيث شاورت الملأ من قومها و استشارتهم بقولها:«افتونى»ففعلوا و لكنهم-بدورهم-خوّلوها حق القرار النهائى،و هذه نقطه مهمه فى الحكم.ان بلقيس لم تكن لتفرض عليهم سيطرتها،بل هم الذين خولوها حق القرار،و من طرائف الحكم الاسلامى و لطائفه ان الناس بأنفسهم،و بملىء إرادتهم،و بكامل حريتهم يخوّلون شخصا حق القرار النهائى،و ذلك عبر ولايه الفقيه،فالفقيه الحاكم و القاضى ولىّ أمرهم بإذن اللّه، و هو منتخب من قبل الناس بطريقه الانتخابات الاسلاميه،و يخوّل حق اتخاذ القرار،فيسلم له الناس نفسيا قبل ان يتبعوه عمليا.

و بالرغم من ان حكومه بلقيس كانت من أفضل أنواع السلطه الا انها حيث كانت بعيده عن روح الايمان و هدى الرساله فقد كانت منحرفه فاسده،فسلامه القوانين،و صحه الانظمه،و حتى سلامه تطبيقها لا تدل على ان البشريه تصل بها الى شاطئ السعاده و السلام،انما القوانين بمثابه جسد يحتاج الى روح،و روحها هدى اللّه،فعلى الرغم من ان حضاره العرب فى مملكه سبأ كانت جيده،و قوتهم كبيره،الا انهم فقدوا الصله باللّه،فعبدوا الشمس من دونه،و لأنهم فقدوا روح الايمان اضطروا للخضوع الى سلطان يملك تلك الروح الايمانيه.

و الفرق بين بلقيس و سليمان لم يكن سلامه الانظمه أو عدم سلامتها،و صحه القوانين أو عدم صحتها،انما كان فى الجانب الغيبى(الايمان باللّه)و حينما كانت بلقيس خلوّا من هذا الجانب اضطرت الى الخضوع لسليمان و هذا هو قانون الحياه، فلو كان هناك حاكم يملك الجانب الايمانى للقوه و هى التوكل على اللّه و آخر لا

يملكه،و كانا متساويين فى سائر الأمور فان الاول هو الذى سينتصر بإذن اللّه.

إذا نحن بحاجه من بعد المشوره(العلم)و العزم(الحزم)إلى قوه أخرى لانشاء حكومه مثاليه،و هى قوه التوكل على اللّه.

بينات من الآيات:

[٢٧]قٰالَ سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكٰاذِبِينَ أى سنستكشف صحه ما تقول عن طريق الأمر المخوّل إليك.

[٢٨]اِذْهَبْ بِكِتٰابِى هٰذٰا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ كلّف سليمان الهدهد بمهمتين حين بعثه بالكتاب:أولاهما:إيصال الرساله، و ثانيهما:التجسس.

فَانْظُرْ مٰا ذٰا يَرْجِعُونَ لمعرفه ردّ فعلهم تجاه الرساله.

و بالفعل أخذ الهدهد الرساله و طار بها،و لما وصل وجد بلقيس نائمه،فوضعها على نحرها،فانتبهت و قرأتها،و فى الحال دعت المستشارين للاجتماع بسرعه.

[٢٩]قٰالَتْ يٰا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّى أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتٰابٌ كَرِيمٌ الملأ:الاشراف،قالت لهم:لقد وصلنى كتاب كريم يدل على أنّ مرسله رجل عظيم،و أنّ فى الكتاب كرامه،ثم قرأته عليهم:

[٣٠]إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٰانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

و يبدو ان شروط الرساله الكريمه قد اجتمعت فى كتاب سليمان لبلقيس،أو ليس كتاب المرء رسول عقله؟! لقد افتتح الكتاب باسم اللّه الرحمن الرحيم مما عكس روح التوحيد،و معانى العطف و الرحمه عند صاحب الكتاب،و قد كان من سليمان ذلك الذى طبقت شهرته الطيبه الافاق،و كان مختوما،و قد حمله طير السعد من الفضاء،و وضعه بهدوء على نحرها،مما دل على مزيد من الاحترام لها.

[۳۱] أَلاّٰ تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِي مُسْلِمِينَ لا تحاولوا ان تحاربونى،انما تعالوا مسلمين.و لا ريب ان كتابا بهذا الإيجاز و الأسلوب يحمل فى طيّاته الوعيد.

[۳۲] قٰالَتْ يٰا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي افتونى:اى طلبت منهم الفتيا،و هى فى الواقع حكم نابع من القواعد و الأصول العامه التى يلتزم بها،فلو طبّقنا القاعده المسمّاه بقاعده البراءه الفقهيه على حادثه معينه أو على حكم خاص فإنّا نسمّى هذا التطبيق بالفتوى،و ملكه سبأ طلبت من الملأ المستشارين البتّ فى المسأله وفق القواعد و التقاليد و الأفكار السائده،و تطبيق تلك القيم على واقع الحياه.

مٰا كُنْتُ قٰاطِعَةً أَمْراً حَتّٰى تَشْهَدُونِ إننى لا أستطيع أنّ أتخذ قرارا حازما و قطعيّا،ما لم تكونوا شهودا معى فى اتخاذه.انها كانت تتخذ القرار بعد ان تستفتيهم و تشهدهم عليه.

[۳۳] قٰالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَ أُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ

نحن نملك القوه و الاراده للمقاومه،و هاتان هما الصفتان اللتان يجب توفرهما فی الأمه،يقول ربنا سبحانه و تعالی: وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ . (١)

ان القوه التی لا ينتفع بها فی إنجاز عمل ما لا تنفع شيئا،و ان القوه بدون الاستعداد الفعلی للحرب تظل عقيمه،هناک مليارد إنسان مسلم يلتزمون ظاهرا بواجب الجهاد فی العالم،و لکن حينما تعتدی إسرائيل علی المسلمين لا نحشد القوه لمواجهتها لاننا نعانی من عدم الاستعداد.

وَ الْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِی مَا ذَا تَأْمُرِينَ الرأی رأيک،و الأمر إليک.إنک لا تحکمين بالهوی،و لکن فکّری جيدا ثم أمری.

[٣۴] قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً لقد عبّرت عن وجهه نظرها فی الأمر قائله:لو ذهبنا الی مملکه سليمان لسلمت بلادنا منهم،و لکن لو جاءنا بجنوده لدمرت بلادنا تحت سنابک خيلهم،ذلک ان الملوک حينما يدخلون بلادا ما يحاولون الاستفاده من خيراتها،و بذلک يستنزفون مواردها لمصلحتهم فتخرب،فصاحب الأرض و أبناء البلاد بطبعهم يحرصون علی موارد بلادهم و خيراتها،و يحزّ فی أنفسهم ان يروا خيرات بلادهم نهبا للأجنبی المستغل،فالفلاح-مثلا-يحافظ علی أرضه،و يهتم بها،و لا ينهکها بالزراعه، فيزرعها سنه و يترکها فی السنه التی تليها لتستعيد التربه قوتها و خصوبتها،و حين

١- ٢) الأنفال/(۶٠).

يزرع الأرض يحتفظ بقسم من الحنطه-مثلا-كبذور،و يشترى بقسم منها سمادا للأرض،و هذا هو الأسلوب المعتاد،و لكن حين يغزو الاجنبى البلاد ينتزع كلّ الحنطه،و يترك الأرض يبابا،غير قابله للإنتاج حتى و لو بعد عشر سنين.

إذا لو ابتعدنا عن قوى الشرق و الغرب لاستطعنا ان نخطط لأنفسنا تخطيطا سليما،فنستخرج من النفط بقدر ما يحتاجه بلدنا من نفقات،فنخصص قسما من الموارد التى تدرّها علينا الصادرات النفطيه للزراعه،و آخر للصناعه و عماره الأرض، و قسما للمواصلات و لسائر نفقات البلاد،و لكن حينما تكون مواردنا البتروليه مرتبطه بالغرب و الشرق فلن نحصل منها على شىء،لان هذه الموارد تذهب الى خزائن الأموال الاجنبيه لتصدر لنا السلاح و السلع،و منتجاتها الى ان تغرق الأسواق،بالاضافه الى امتصاصها ما نحصل عليه من أتعاب.

إنّ نفقات التسليح تفرض علينا فرضا،و السلع الكماليه و أسباب الإفساد تغزو بلادنا و أسواقها،لان الاجنبى لا تهمه مصلحه البلد و شعبه،و لهذا فهو يفسد أهل البلاد و أرضها،فمزارع القطن فى مصر دمرت من قبل المستعمرين،و الإصلاح الزراعى الاستعمارى فى إيران فى زمن الشاه المقبور جعل من إيران-المكتفيه زراعيا و التى كانت تصدر منتوجاتها الزراعيه و الصناعيه-بلدا بلا زراعه،و تحوّلت من دوله مصدّره الى دوله تستورد كافه المحاصيل الزراعيه الاستهلاكيه من الخارج، بعكس ما يحصل الآن بعد ان تحرّرت إيران على يد القياده الرشيده و الجماهير المستضعفه.

و لطالما سعى المستعمرون فى سبيل إفساد المجتمع عن طريق أفراد المجتمع ذاته، و ذلك بأن يبحثوا عن مجموعه من المنبوذين بسبب ابتعادهم عن قيم المجتمع، فيستخدمونهم لبث الفرقه و الفساد بين أبناء الشعب الواحد،و لو بحثت عن أصول

الأسر الحاكمه لوجدت أنهم ينتمون الى أسوأ و أحط الأسر و العشائر،فالمستعمرون يبحثون عن هؤلاء تحت كل حجر و مدر،و يحكّمونهم فى رقاب أبناء البلد.

إنّهم لا يبحثون عن الشرفاء،لان الشريف لا يرضى ان يسلّم مقادير بلده للأجنبى،و يرفض التعاون معه،و لا يستسيغ رؤيه بلاده و قد نهبت من قبل الغربيين و الشرقيين.

و لو خرج الاجنبى من البلاد فسيحكمها أبناؤها الملتزمون بالقيم الاسلاميه، و يتحوّل المجتمع الى مجتمع ملتزم بالإسلام و أحكامه،و شرائعه،و أخلاقياته، و بالتالى يصبح مجتمع الفضيله،و لكن الاجنبى يفعل العكس،و كما يقول القرآن الحكيم: «وَ جَعَلُوا أَعِزَّهَ أَهْلِهٰا أَذِلَّهً» .

حينما دخل البريطانيون العراق مستعمرين نشر إعلان فى النجف الأشرف بأنّ الحكومه الاستعماريه بحاجه الى شرطه،و يجب ان يكون عمر من يتقدم الى الخدمه فى الشرطه بين الثامنه عشره و الخامسه و الثلاثين من العمر،فاجتمع بعض الناس ممن كانوا بحاجه الى العمل،و لمّا رأى الحاكم البريطانى كثره من جاء فى طلب العمل فى سلك الشرطه،و لم تكن الحكومه المستعمره بحاجه الى أكثر من عشره، قام الحاكم فيهم خطيبا،و قال لهم:إننى لست بحاجه إليكم،و لكن لو كان فيكم عدد من أولاد الزنا فليبقوا،فأخذ كلّ واحد من الحاضرين ينظر الى صاحبه، ثم تفرّق الجميع الاّ عده قليله ممن لفظهم المجتمع،و ممّن لا يأثم لو نسب الى الزنا، و ربما لم يكونوا أبناء زنا،و لكنهم كانوا سفله،لا تهمهم التضحيه بشرفهم ليصبحوا خدما للاجنبى،و الشريف لا يرضى أن يكون شرطيّا يخدم الاجنبى ضد أبناء وطنه،و لا يرضى التضحيه بقيم مجتمعه.

وَ كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ و فی هذا المقطع من الآیه تأکید من قبل اللّه علی الحقیقه التی طرحتها بلقیس عن الملوک.

ص:۱۸۵

[سوره النمل (۲۷): الآیات ۳۵ الی ۴۴]

اشاره

وَ إِنِّی مُرْسِلَهٌ إِلَیْهِمْ بِهَدِیَّهٍ فَنٰاظِرَهٌ بِمَ یَرْجِعُ اَلْمُرْسَلُونَ (۳۵) فَلَمّٰا جٰاءَ سُلَیْمٰانَ قٰالَ أَ تُمِدُّونَنِ بِمٰالٍ فَمٰا آتٰانِیَ اَللّٰهُ خَیْرٌ مِمّٰا آتٰاکُمْ بَلْ
أَنْتُمْ بِهَدِیَّتِکُمْ تَفْرَحُونَ (۳۶) اِرْجِعْ إِلَیْهِمْ فَلَنَأْتِیَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاٰ قِبَلَ لَهُمْ بِهٰا وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهٰا أَذِلَّهً وَ هُمْ صٰاغِرُونَ (۳۷) قٰالَ یٰا أَیُّهَا
اَلْمَلَؤُا أَیُّکُمْ یَأْتِینِی بِعَرْشِهٰا قَبْلَ أَنْ یَأْتُونِی مُسْلِمِینَ (۳۸) قٰالَ عِفْرِیتٌ مِنَ اَلْجِنِّ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقٰامِکَ وَ إِنِّی عَلَیْهِ
لَقَوِیٌّ أَمِینٌ (۳۹) قٰالَ اَلَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ اَلْکِتٰابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ فَلَمّٰا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قٰالَ هٰذٰا مِنْ فَضْلِ
رَبِّی لِیَبْلُوَنِی أَ أَشْکُرُ أَمْ أَکْفُرُ وَ مَنْ شَکَرَ فَإِنَّمٰا یَشْکُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ کَفَرَ فَإِنَّ رَبِّی غَنِیٌّ کَرِیمٌ (۴۰) قٰالَ نَکِّرُوا لَهٰا عَرْشَهٰا نَنْظُرْ أَ
تَهْتَدِی أَمْ تَکُونُ مِنَ اَلَّذِینَ لاٰ یَهْتَدُونَ (۴۱) فَلَمّٰا جٰاءَتْ قِیلَ أَ هٰکَذٰا عَرْشُکِ قٰالَتْ کَأَنَّهُ هُوَ وَ أُوتِینَا اَلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهٰا وَ کُنّٰا مُسْلِمِینَ
(۴۲) وَ صَدَّهٰا مٰا کٰانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ إِنَّهٰا کٰانَتْ مِنْ قَوْمٍ کٰافِرِینَ (۴۳) قِیلَ لَهَا اُدْخُلِی اَلصَّرْحَ فَلَمّٰا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّهً وَ کَشَفَتْ
عَنْ سٰاقَیْهٰا قٰالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوٰارِیرَ قٰالَتْ رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَیْمٰانَ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۴۴)

ص:۱۸۶

وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمٰانَ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ

هدی من الآيات:

بعـد ان اسـتشارت بلقيس قومهـا فی أمر الرسـاله الـتی جـاء بهـا الهدهـد، قـالوا:إنّنـا أولوا بـأس و قوه،و مسـتعدّون للحرب،لكنّها قالت:إنّنا سـنشتری رضـی سـليمان بالهدايا الثمينه،فان كان من الذين تستهويهم الدنيا قبل،و ان لم يكن كذلك و كان نبيّا فالأمر يختلف،و لا مجال لدينا يومئذ لمعارضته.

و الـذی نسـتفيده من هـذه العمليه-حين بعثت بلقيس بالهـدايا-ان من عقل هذه الملكه-و اعقل الناس من جمع عقول الناس الی عقله-انهـا لم تحزم فی القرار بـالحرب أو السـلم،انمـا تركت لنفسـها فرصه-حتی يعود الرسول-تفكّر فيها، حتی لو اتخـذت قرارا يكون قرارها سـليما،و هكـذا فان القرار الناجـح هو الـذی يتخـذه صاحبه بعد توافر كل مكوناته:(المعلومات و الخبرات و التفكير السليم).

و هكذا تحرك رسول بلقيس حتی وصل الی سليمان،فلمّا سلّمه الهدايا

استصغرها و استصغرهم أيضا،و لمّا عاد الرسول الى بلقيس و أخبرها بما جرى عرفت أنّ سليمان ليس كسائر الملوک،و لمّا کان الرسول يحمل تهديدا بالزحف نحو مملكتها إن لم تأت بلقيس و قومها مسلمين،جمعت أمرها على المسير الى سليمان، و قبل أن تتحرک من اليمن کان سليمان يبحث عمن يأتيه بعرشها الذى يبلغ(٢۵) ذراعا طولا و عرضا و ارتفاعا و کان ذهبا،فقام عفريت من الجن و قال: أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ،فقام(آصف بن برخيا)وصىّ سليمان،و کان عنده علم الاسم الأعظم،فقال:انا آتيک بعرشها قبل ان يرتدّ إليک طرفک،فأمره سليمان بذلک،فرأى العرش أمامه فى لحظه،و آنئذ أمر سليمان بإجراء تغيير بسيط فيه، و ذلک بأن تجعل مقدمته فضه بدل الذهب،و سأل بلقيس ان کان هذا عرشها، فنظرت اليه نظره تفكّر،ثم قالت:كأنه هو،و تدلّ إجابتها على رجاحه عقلها،إذ تعرّفت على عرشها رغم تنكيره،و لم تتعجب من انتقاله من تلک المسافه البعيده الى قصر سليمان،و لكن الذى أثار دهشتها،أنّ عرشها کان فى سبعه أروقه متداخله، و كلها مغلقه،و يحيطها الخدم،و الجيش،و لم يكن قد طرأ تغيير فى ملكها سوى انتقالها هى الى مملكه سليمان عليه السلام فكيف انتقل عرشها؟!فعرفت أنّه انتقل بقدره قادر عظيم.

إنّ هدف سليمان من إحضار العرش هو تذكير بلقيس بأن معرفتها لم تنفعها، و إنّ قوتها ليست بكبيره،و ان ما بنته ليس سوى نسج للعنكبوت،لأنه لا يستند على قوه الإيمان،و لكنها لم تفهم المغزى إذ کانت تفقد بصيره الايمان التى تهديها الى بواطن الأمور-كما هو حال الكثير من المثقفين فى عالم اليوم-و لكى يختبرها و يعرفها على الحقيقه أكثر أمر سليمان بأن يوضع عرشه فى مکان ما،و أجرى بين عرشه و الباب ماء،و وضع على الماء جسرا من الزجاج،جعل تحته بعض الأسماک،و الأحياء المائيه،ثم أمر بإدخال بلقيس،فلمّا فوجئت بالماء،ظنّت أنّ

سلیمـان یریـد إهلاکهـا غرقـا،لکنها قررت اقتحام اللجّه،فکشـفت عن ساقیها تهیؤا للعبور،و إذا بها تصـطکان بجسـر الزجاج،الأمر الذی جعلها تنتبه الی أنها لا تملک علما بکل شـیء،و أنّ کبریاءها خادع و مزیّف،و أنّها من الناحیه العقائدیه علی خطأ،فأسلمت مع سلیمان للّه رب العالمین.

بینات من الآیات:

[۳۵] وَ إِنِّی مُرْسِلَهٌ إِلَیْهِمْ بِهَدِیَّهٍ فَنَاظِرَهٌ بِمَ یَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ قالت:اننی سأرسل الی سلیمان و حاشیته بهدیه،و انتظر ردّ الموفدین.

[۳۶] فَلَمَّا جَاءَ سُلَیْمَانَ قَالَ أَ تُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِیَ اللَّهُ خَیْرٌ مِمَّا آتَاکُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِیَّتِکُمْ تَفْرَحُونَ و عند ما وصل المرسلون الی سلیمان و قدموا هدایاهم لم یأبه بها،و قال لهم:

إنّکم تریدون ان تغرونی بالمال،و أنا لست بحاجه إلیه،فاللّه منحنی من الملک و المال ما هو خیر من هدیتکم التی لا قیمه لها.إنّ المال لا یفرحنی و لا یسـرّنی، و لکنّکم أنتم الـذین تفرحون بالمال،لأنکم عبیـد الدنیا،و متاع الدنیا لا قیمه له عندی،و إنما یفرح بالمال من اتخذه هدفا و غایه و معبودا.

بلی.إنّه لم یغترّ بزخارف زینه الحیاه الدنیا،و فدی نفسه من أسرها،و لهذا فقد استصغر إغراءات الملکه و تابعیها لسببین:

۱-فما یملکه أفضل من هدایا بلقیس بکثیر،إذ أعطی ملکا لا ینبغی لأحد من بعده،و لم یبلغه أحد قبله.

۲-و لأنّه لم یکن یبحث عن الملک،بل کان یسعی لنشر الرساله و الوعی،

ص:۱۹۰

لذلک أجابهم:بأنکم أنتم الذین تفرحون بالهدیّه،أمّا نحن فلا نفرح بالدنیا و ما فیها، و إنّما هدفنا نشر الرساله،و إقامه الحق.

[۳۷] اِرْجِعْ إِلَیْهِمْ فَلَنَأْتِیَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاٰ قِبَلَ لَهُمْ بِهٰا لم تکن غایه سلیمان المال،و إنّما کانت غایته إرشاد الضّالین إلی الطریق الصحیح،فلذلک أمر رئیس الوفد البلقیسی بالعوده إلی ملکته،و هدّدهم بالحرب، و تسییر جیش جرّار إلی بلادهم لا یستطیعون مقاومته.

وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهٰا أَذِلَّهً وَ هُمْ صٰاغِرُونَ و نخرجهم من أرضهم و هم مهانون و محقّرون،و هنا لک فارق کبیر بین بلد یفتح عنوه فیمتلکه الفاتحون بقیمه الدم الذی أراقوه،و بین بلد یصطلح أهله علیه،حینئذ تترک البلاد بید أهلها فیتمتعون بحریتهم و کرامتهم أیضا.

هکذا عرفت بلقیس أنّ علیها أن تسیر الی سلیمان طوعا قبل ان تساق إلیه کرها،فلمّا حزمت حقائبها،و علم سلیمان ذلک طلب ممن حوله إحضار عرشها.

[۳۸] قٰالَ یٰا أَیُّهَا الْمَلَؤُا أَیُّکُمْ یَأْتِینِی بِعَرْشِهٰا قَبْلَ أَنْ یَأْتُونِی مُسْلِمِینَ ثم التفت الی من بحضرته من حاشیته،طالبا أن یتبرع أحدهم بإحضار عرش بلقیس قبل أن تأتی مستسلمه مع جماعتها.

[۳۹] قٰالَ عِفْرِیتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقٰامِکَ وَ إِنِّی عَلَیْهِ لَقَوِیٌّ أَمِینٌ

قال جنّیّ قوی بأنه یستطیع أن یحمل عرش بلقیس إلیه قبل أن ینقضی مجلسه، الذی اعتاد أن یجلسه للقضاء بین الناس،أی فی غضون ساعات،و إنه سیأتی بالعرش بعظمته دون أن یسرق من مجوهراته و زینته شیئا.

کیف یقتدر الجنّ علی حمل هذا العرش العظیم خلال ساعات من الیمن إلی فلسطین؟!هذا مما لم یتعرض له السیاق القرآنی،و لعلّ الأمثل بنا أن نترکه بعد أن نؤمن به إجمالا لعدم وجود ما یدلّنا علی استحالته.

[۴۰]قٰالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتٰابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ و قال الذی عنده علم من الکتاب-و الکتاب هنا اللوح المحفوظ عند اللّه سبحانه-بأنه سیحضره قبل طرفه عین واحده،و أحضره فی الحال باسم اللّه الأعظم،

و جاء فی حدیث مأثور عن الامام الباقر علیه السلام-انه قال:

«إنّ آصف بن برخیا قال لسلیمان علیه السلام :مدّ عینیک حتی ینتهی طرفک،فمدّ عینیه فنظر نحو الیمن،و دعا آصف فغار العرش فی مکانه بمأرب،ثم نبع عند مجلس سلیمان بالشام بقدره اللّه قبل أن یردّ طرفه » (۱)و یبقی سؤال:هل کان سلیمان أعلم أم وزیره آصف بن برخیا؟و یجیب عن ذلک الإمام الهادی علیه السلام فی الحدیث التالی:

روی العیّاشی فی تفسیره قال: التقی موسی بن محمد بن علی بن موسی،و یحیی بن أکثم فسأله،قال:فدخلت علی أخی علی بن محمد علیهما السلام-إذ دار-

---

۱- ۱) نور الثقلین/ج(۴)/ص(۸۷).

بینی و بینه من المواعظ حتی انتهیت إلی طاعته، فقلت له:جعلت فداک إنّ ابن أکثم سألنی عن مسائل أفتیه فیها،فضحک ثم قال:هل أفتیته فیها؟قلت:لا، قال:و لم؟قلت:لم أعرفها،قال هو:ما هی؟قلت:قال:أخبرنی عن سلیمان أ کان محتاجا إلی علم آصف بن برخیا؟ثم ذکرت المسائل قال:

أکتب یا أخی:بسم اللّه الرحمن الرحیم،سألت عن قول اللّه تعالی فی کتابه: «قٰالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتٰابِ» فهو آصف بن برخیا،و لم یعجز سلیمان عن معونه ما عرف آصف،لکنّه-صلوات اللّه علیه-أحبّ أن یعرف من الجن و الانس أنه الحجّه من بعده،و ذلک من علم سلیمان أودعه آصف بأمر اللّه،ففهّمه اللّه ذلک لئلا یختلف فی إمامته و دلالته،کما فهم سلیمان فی حیوه داود،و لتعرف إمامته و نبّوته من بعده لتأکید الحجه علی الخلق (۱)بلی.إنّ سلیمان علیه السلام اختار آصف بن برخیا للقیام بذلک الدور من أجل أن یبیّن للناس أنّه الوصی من بعده،و حین نقرأ تاریخ الأنبیاء علیه السلام نجد أنّهم یختارون مواقف معینه یظهرون فیها أوصیاءهم،حتی یکون واضحا عند الناس من هو الخلیفه من بعدهم،و هکذا لا یرحلون إلاّ بعد أن یجعلوا لمستقبل الرساله ضمانا.

و نستوحی من سوره النمل بأن الملک یقوم علی ثلاثه أرکان هی:العلم،و أعلی مراتبه أن یستفید الإنسان من خبرات الآخرین و عقولهم «وَ شٰاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ» و الحزم «فَإِذٰا عَزَمْتَ» و التوکل «فَتَوَکَّلْ عَلَی اللّٰهِ» و لقد اجتمع لسلیمان علیه السلام الملک و القوه و الطاعه من رعیته،و کان فی جنده من یستطیع أن یحمل عرشا کعرش بلقیس،و یأتی به من بلد بعید کالیمن-خلال طرفه عین-و لکن ذلک کله لم یکن أساسا حقیقیا لملکه،بل ان القوه الحقیقیه التی استند علیها هی الأمداد

ص:۱۹۳

۱- ۲) المصدر ص(۹۱).

الغيبى من اللّه،قال تعالى: وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ (۱)و الملاحظ أنّ القرآن قدّم نصر اللّه على عون المؤمنين، لأنّ الاوّل هو الأهم.

و نحن حين نبدأ بأىّ عمل ترانا نستعين ببسم اللّه الرحمن الرحيم،و سليمان بدوره استعان بقدره اللّه و قوته-حين أرسل كتابه الى بلقيس-إذ قال: «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» ليبين لها أنّ سلطانه ليس ماديا،و هكذا نجد نوحا يخاطب أصحابه قائلا: «ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللّهِ مَجْراها وَ مُرْساها» (۲)لأنّ كل شىء لا يتم إلاّ باسم اللّه،و لو لا اسم اللّه لم يستطع آصف بن برخيا إحضار عرش بلقيس فى لحظه من اليمن الى أرض فلسطين.

فَلَمّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ فلما رأى سليمان عرش بلقيس أمامه،قال:إنّ إحضار العرش لم يتم بقوّه ماديّه أو أرضيّه،ثم إنّ نعم اللّه على المرء ليست دليلا على سلامه النيه بل إنّها ابتلاء،فسلامه الجسم و الغنى و الأمان كلّها نعم للابتلاء،و اختبار الإراده، و الفتنه،فلا ينبغى للمرء أن يغترّ بها،إنما يجب أن يؤدّى حقّها بشكرها.

وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ و من شكر نعم اللّه،فإنّ فائده الشكر تعود عليه.

وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ

۱- ۳) الأنفال/(۶۲).

۲- ۴) هود/(۴۱).

فلو أنّ جميع العالم كفر باللّه،فإنّه لا يضـرّه من كفرهم شيئا،و تبقى رحمته تسعهم،و يظل يلطف بالكافرين،و يعطيهم الفرصه بعد الأخرى،لأنّ رحمته وسعت كل شىء.

[۴۱] قٰالَ نَكِّرُوا لَهٰا عَرْشَهٰا نَنْظُرْ أَ تَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاٰ يَهْتَدُونَ أى غيّروا شكل عرشها و مظهره حتى يبدو مختلفا لنختبر عقلها،و نتعرف على طبيعتها،و نهديها الى الحق و الرساله.

[۴۲] فَلَمّٰا جٰاءَتْ قِيلَ أَ هٰكَذٰا عَرْشُكِ قٰالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَ أُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهٰا وَ كُنّٰا مُسْلِمِينَ و عند ما جاء بلقيس سئلت عن السرير الذى أتى به آصف بن برخيا،و هل أنّه يشبه سرير ملكها،فقالت:كأنه هو بعينه،ثم يقول سليمان عليه السلام :أنه تفوّق على هذه المرأه بدرجتين:العلم و هى خلوّ منه،و الإيمان و هى تفقده،و أساس الملك هو العلم المقرون بالإيمان.

[۴۳] وَ صَدَّهٰا مٰا كٰانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ إِنَّهٰا كٰانَتْ مِنْ قَوْمٍ كٰافِرِينَ إنّ بلقيس كانت و ثنيّه على دين آبائها و قومها،و لـذلك عبدت الشـمس و النجوم،و لم تعبد اللّه الذى خلقهنّ،و ضـربت تلك العباده الخاطئه بينها و بين العلم حجابا منعها عن معرفه اللّه التى هى أوّل العلم.

[۴۴] قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمّٰا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَ كَشَفَتْ عَنْ سٰاقَيْهٰا

الصرح:القصر الكبير الواسع،حسبته لجه:أى مياه عميقه،و رفعت ذيل ثيابها لئلا تبتلّ حين تخوض فيه.

قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ممرّد:مستوى،و هى لفظه مأخوذه من الأمرد،و الأمرد الذى ليس عليه شعر، و بلغت الأرض الزجاجيه حدا من الإستواء بحيث لا يبدو فيها أثر للتعرج،و يبدو أنّ الزجاج كان معروف الصناعه على عهد سليمان عليه السلام و كانت صناعته متقدمه كالكثير من الصناعات الأخرى.

قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ و هنا عرفت بلقيس الحقيقه،و تبدّد الضباب الذى كان يلفّ عقلها و يحجبها عن رؤيه الحق و معرفته،و أخذت تنظر إلى الحياه بمنظار جديد ليس فيه مكان للكبرياء.

لماذا حدث هذا التحول التام الذى يشبه لحظه الاعتراف عند المجرمين بعد طول المراوغه؟ حينما يصطدم الإنسان بقضيه مّا كان يجهلها فإنّ هذه القضيه تثير عقله،فيبدأ بإعاده النظر فى أفكاره و معتقداته،و تؤدى إعاده النظر هذه الى انهيار النظام الفكرى الذى كان يعتمد عليه،فيتحرر عقله من الأغلال القديمه،و يأخذ بالتفكير من جديد حتى ينتهى الى الحقيقه..هكذا آمن السحره بموسى حين هزموا،و هذا ما حدث لبلقيس حين اصطدمت بما أعدّه لها سليمان من اختبار،حيث أخذت تجدد نظرتها للحياه،بعد أن وجدت أنّ نظرتها السابقه لها كانت غير صحيحه،فقررت

ان تتبنّى الفكر الصحيح الذى يستند على الإيمان باللّه،و نبذ عباده الأنداد،فآمنت و أسلمت وجهها للّه رب العالمين.

ص:١٩٧

[سوره النمل (۲۷): الآيات ۴۵ الى ۵۳]

اشاره

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً أَنِ اُعْبُدُوا اَللّهَ فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ (۴۵) قالَ يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَهِ قَبْلَ اَلْحَسَنَهِ لَوْ لا تَسْتَغْفِرُونَ اَللّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۴۶) قالُوا اِطَّيَّرْنا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ قالَ طائِرُكُمْ عِنْدَ اَللّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (۴۷) وَ كانَ فِي اَلْمَدِينَهِ تِسْعَهُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي اَلْأَرْضِ وَ لا يُصْلِحُونَ (۴۸) قالُوا تَقاسَمُوا بِاللّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَ إِنّا لَصادِقُونَ (۴۹) وَ مَكَرُوا مَكْراً وَ مَكَرْنا مَكْراً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۵۰) فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ مَكْرِهِمْ أَنّا دَمَّرْناهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (۵۱) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَهً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَهً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۵۲) وَ أَنْجَيْنَا اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ (۵۳)

اللغه

۴۷[اطّيّرنا بك]:أى تشاءمنا منك.

ص:۱۹۸

أَنّا دَمَّرْناهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِینَ

هدی من الآیات:

لقد تحدّث القرآن الکریم فی سوره الشعراء السابقه عن قصه نبیّ اللّه صالح علیه السلام و قومه ثمود،و هنا یذکر تلک القصه مرّه أخری و ظاهره التکرار واضحه فی القرآن، فمثلا قصه موسی علیه السلام مع فرعون ذکرت سبعین مرّه،و إنّما تتکرّر قصص الأنبیاء فی القرآن حسب المناسبات،و فی کل مرّه بهدف متمیّز یختلف عن المره السابقه، و الهدف العام من ذکر القصص هو بث الروح الإیمانیه فینا من خلال الحوار و الصراع الجاری بین الأنبیاء و الجاهلین من قومهم،و تکرار الفکره ذاتها یفید التذکره،لأنّ غفله الإنسان و شهواته لا تنفکّ تحجبه عن الحقیقه حینا بعد حین، و حینما لا یتذکر الإنسان یغفل،فتهجم علیه حجب الشّهوات لتحجب عقله،فهو بحاجه إلی التذکره باستمرار.

إِنَّ الصَّلاٰهَ تَنْهیٰ عَنِ الْفَحْشٰاءِ وَ الْمُنْکَرِ ،و الإنسان لا یکتفی بصلاه واحده فی الیوم و اللیله،و إنّما یجب أن یصلّی خمس مرات فی الیوم لیمحی آثار الشهوات،

ص:۲۰۰

و ليرصد الشهوات الطارئه،و يطهّر قلبه من آثارها..و هكذا يستمر المرء يحارب بالصلاه حتى يختتم عمله و سلوكه بخير.

و كلما ذكرنا القرآن باللّه سبحانه و برسالاته،و الصراع الأبدى بين الحق و الباطل،و الرساليين و الجاهليين،كلّما ضغطت علينا الظروف باتجاه تناسى ذلك الصراع،و جرّتنا نحو الغفله عما يجرى فى أنفسنا و فى الساحه الاجتماعيه من صراع بين الكفر و الإيمان،و يكرّر الذكر الحكيم قصص المرسلين للتذكره بهذا الأمر.

أما الهدف الخاص من تكرار القصص القرآنيه فهو تبيان الفارق بين النور الالهى الهابط من عند اللّه باسم الرساله،و بين الثقافه الأرضيه الموغله فى وحل الشهوات و الأهواء.و بين هاتين الثقافتين فرق كبير جدّا،و قد حدّد القرآن الكريم هذا الفرق عبر التمييز بين من يحمل هذا النور الإلهى،و بين من يتأثر بالثقافه الأرضيه،فبينما تجد الشعراء فى كل واد يهيمون،و أنهم يقولون ما لا يفعلون،تجد الأنبياء على نقيض مما يفعله الشعراء،يتحملون مسئوليتهم،و يتصدون للصراع.

و فى هذه السّوره يتابع السياق تأكيد و إيضاح الهدف ذاته،ليبيّن لنا أن رسل اللّه على حق،و لكن يؤكد ذلك بعد صمود النبى أمام الإغراءات الماديّه،و الضغوط المختلفه،لذلك نجد سليمان عليه السلام يصمد أمام الإغراءات الماديه و السلطويه للملك، فلا يعتدى و لا يتجاوز حتى على حدود النمله و حقوقها،و من ناحيه أخرى نجد أنّ صالحا-عليه السلام-الذى أرسل إلى ثمود يقاوم ضغط التهديد،فيتآمرون على قتله،و هو منهم،و قوانين بلدهم لا تسمح لهم بذلك بأىّ شكل من الأشكال، فيخطّطون من أجل القضاء عليه عليه السلام بطريقه معيّنه،و هى أن تختار كل قبيله من القبائل التسع المتواجده فى مدينه حجر-الواقعه بين الشامات و الحجاز-رجلا منها فيقتلونه ثم ينكرون قتله،فيضيع دمه بين القبائل..و هكذا أرادوا أن يشترك جميع

أبناء البلد فی دمه،و بذلک یتخلّصون من وطأه القوانین التی تمنع قتله.

و فی تلک اللیله التی قررت فیها ثمود قتل نبیّهم،أمر اللّه صالحا علیه السلام بالرحیل عن المدینه،و لمّا رحل عنها جاء ثمود العذاب الشدید فدمرهم تدمیرا،و تشبه قصه المؤامره هذه قصه تآمر کفار مکه علی قتل النبی صلی الله علیه و آله لیله هجرته،و مبیت علی علیه السلام علی فراشه،و التی باءت بالفشل بسبب هجره النبی عن مکه.

ان هذه القصه هی قصه صراع و تحدّ،و هاتین الصفتین من سمات الرساله الالهیه،و لهذا فإنّ الرسل یتحدّون،و یقاومون الضغوط،و یتعرّضون للأزمات، فهم یسعون من أجل تغییر الأوضاع باجتثاث الفساد من جذوره،و من هنا نعلم أنه لا یمکن أن یکون الرسل ممّن ینعزلون عن الأعمال الجهادیه،و یترکون التحدی و المواجهه و التصدی.

بینات من الآیات:

[۴۵] وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا إِلیٰ ثَمُودَ أَخٰاهُمْ صٰالِحاً ان اللّه سبحانه یبعث للناس أنبیاء،یختارهم من بینهم،لکی یحدّثوهم بلغتهم،و لتکون الحجه علیهم أبلغ،و لکیلا یقولوا:لو کان النبی من قومنا لآمنّا به.

و لقد کانت رساله صالح کرساله سائر الأنبیاء جاءت لتقول لهم:

أَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ فَإِذٰا هُمْ فَرِیقٰانِ یَخْتَصِمُونَ و فی هذه الآیه تلمیح الی وجود الصراع بین طائفتین ممن أرسل إلیهم الرسول، فاذا هم فریقان:فریق یؤمن برساله صالح و نبوّته،و فریق یکذّبه و یکفر به،

ص:۲۰۲

و الصـراع فی بـدايته حوار و جـدل ينتهی الی مواجهه عنيفه،و عاده ما يركّز القرآن علی موضوع المواجهه،و نجده أكثر وضوحا فی سوره القصص.

[۴۶]قالَ يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَهِ قَبْلَ الْحَسَنَهِ لقـد قال لهم صالـح عليه السـلام :إنّ مخالفتكم و تحدّيكم للرساله دلاله علی أنّكم تستعجلون العقاب و العذاب قبل الثواب،و أنكم لا تعطون لأنفسكم فرصه لتجربه الرساله،قبل رفضها و إنكارها.

و للإنسـان فرصه لتجربه بعض الحـوادث الجديـده،و لكن من الحوادث مـا لا تسـتطيع تجربته،و لا بـد أن تنتفع بعقلـك،و لكن التجارب تختلف فقد تكون سلبيه أو إيجابيه.

شخص فی غابه،يقال له:تعال اركب معنا،و إلاّ أكلتك الذئاب،فيقول:

فلنجرّب إن كـان ما تقولونه صـحيحا.هل تنفعه التجربه؟! كلاّ..و كـذلك الـذين لا يؤمنون بالرساله حتی يروا العـذاب بأعينهم،و حينئذ لا ينفع إيمانهم شيئا.لماذا لم يجرّبوا الإيمان بعض الوقت إن كانوا يؤمنون بالتجربه؟! لَوْ لا تَسْتَغْفِرُونَ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ إنّكم أخطأتم و انحرفتم،فالأولی لكم أن تستغفروا ربّكم عسی اللّه أن يغفر لكم و يرحمكم،فلا تصابون بآثار ذنوبكم.و آثار الـذنوب قـد لا تری،فلو ذهبت إلی مستعمره المجذومين،و أردت الـدخول فيها،لوجـدت من يقول لك:لا تـدخل، و لو دخلت لانتقل إليك مكروب المرض،

و الحديث الشريف يقول:

«فر من المجذوم فرارك من الأسد » فتصر على الدخول لتجرب ذلك،و بعد خروجك تجد نفسك سليما لم تصب بشىء،فتظن أنّه لم يصبك الجذام،و لكن بعد فتره من الزمن تجد آثار الاصابه بالمرض باديه على جسمك،و يؤكد الطبيب ذلك،و لكنك قد لا تصدّق أنّ المرض قد أصابك عند دخولك دار المجذومين،بل تزعم أنّ المرض أصابك بسبب آخر، و الطبيب يعرف أنّ جرثومه الجذام تنتقل عن طريق العدوى من الشخص المصاب، و لكن لم يظهر أثرها الا بعد تكاثرها.

و الذنوب تشبه الجراثيم فى آثارها فهى تؤثر فى جسم الإنسان و روحه و عقله و مجتمعه و لكن بعد فتره من الوقت.و مشكله الإنسان هى نسيانه للذنب الذى يرتكبه،و لا يدرى أنه يخلّف آثارا قد لا تمحى،فالرجل الذى زار دار المجذومين كان بوسعه أن يتقى المرض قبل ظهوره لو ذهب الى الطبيب ليتحصّن ضد المرض، و هذا يعنى فى لغه الدّين الاستغفار،و حين يرتكب الإنسان ذنبا فعليه الإسراع إلى الاستغفار كى يتخلّص من آثاره.

[۴۷] قٰالُوا اطَّيَّرْنٰا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ و لعلهم تطيّروا به لأنه كان ينذرهم عاقبه ذنوبهم،و من طبيعه الإنسان الاستيناس إلى من يضحكه و يدغدغ أبدا احلامه،و يزعم له أن درب الحياه مفروش بالورود،أمّا من ينذره و يذكّره بعيوبه،و يبكيه،فهو ينفر منه و يتشاءم به.

و هناك حديث حكيم يقول:

«صديقك من يبكيك لا من يضحكك»

قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللّهِ فقال لهم صالح:إنّ الشؤم الذى لحق بكم هو بسبب ذنوبكم و خطيئاتكم، فأنتم مذنبون،و العذاب ينزل عليكم من عند اللّه،و هو الذى بعثنى نذيرا.

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ و إنّكم لا تعلمون بأن اللّه حين أنعم عليكم بهذه النعم أراد أن يفتنكم بها، فالنعم ليست سوى ابتلاء،و هى ليست دائمه،و لا هى دائما خير،و لعلّ نعمه يكون وراءها شر مستطير.

[۴۸]و يبدو أنّ جماعه من قوم صالح كانت قد آمنت به،و كاد الإيمان ينتشر بين عامه الناس لو لا منع أشرار ثمود عن ذلك.

وَ كٰانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ يُصْلِحُونَ و كان فى المدينه تسعه شيوخ عشائر تسعى للإفساد و لا تصلح.إنّ النظام القبلى إطار للمجتمع البشرى و هو بذاته ليس مضرا،إنّما القوانين و الأعراف التى فيه- و التى تعكس روحه و وجهته-هى التى قد تفسد و تفسد،و يبدو أنّ قبائل ثمود قد بلغت هذا الدرك الأسفل،و إذا فسد النظام بدأت نهايه المدينه،فاذا تحول النظام الذى أنشأ من أجل حمايه الحقوق،و منع الترهّل،و المحافظه على القيم الحضاريه إلى أداه للفساد،و الاعتداء،و التجاوز فإنّ نهايته قد اقتربت.

[۴۹]قٰالُوا تَقٰاسَمُوا بِاللّٰهِ حين تآمروا على قتله أقسموا باللّه على ذلك،و لعلّ هذا يدلّ على أنّهم كانوا يستخدمون الدّين-أيضا- وسيله لعدوانهم و فسادهم.

ص:۲۰۵

لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ أى قرّروا أن يذهبوا الى داره ليلا فيقتلوه و أهله.

ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مٰا شَهِدْنٰا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَ إِنّٰا لَصٰادِقُونَ و بعد ذلك يقولون لقبيلته:إنّهم لم يروا قتله،و يؤكّدون إنهم صادقون فيما يقولون.

[۵۰] وَ مَكَرُوا مَكْراً وَ مَكَرْنٰا مَكْراً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ و حينما كانوا يخططون،كان اللّه سبحانه قد دبّر لهم أمرا.إنّ اللّه يعلم ما فى نفس الإنسان،بينما هو لا يعلم ما فى نفسه سبحانه،و لا بد أن يخضع لربّه شاء أم أبى.

[۵۱] فَانْظُرْ كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ مَكْرِهِمْ فقد انتهوا و لم يستفيدوا من الفرصه.

أَنّٰا دَمَّرْنٰاهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ لماذا دمرهم اللّه و قومهم؟و لماذا استحقّ قومهم العذاب؟ و الجواب:لأنّهم رضوا بالكفر و سكتوا،و لم يتّحدوا أو يثوروا ضده،فحينما جاء العذاب شملهم أجمعين،و كما قال اللّه تعالى: وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لاٰ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقٰابِ (۱) فإذا جاء العذاب فإنّه لا

۱- ۱) الأنفال/(۲۵).

يشمل الكفار فقط و إنّما من سكتوا عنهم،و رضوا بأعمالهم أيضا،و هكذا أيضا حال من يسكت-اليوم-عن ظلم الطغاه و المفسدين.

[۵۲]فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خٰاوِيَةً بِمٰا ظَلَمُوا كان أهل الجزيره عاده ما يذهبون الى الشام،و فى طريقهم إليها يمرّون(بمدائن صالح)و هى حجر،فيشاهدون بيوتهم الخاويه المنحوته من الصخر،و إلى الآن آثارها شاخصه للعيان،و يقال:أنهم نحتوا بيوتهم من الجبال،ثم نزلوا الى الصحراء،فدمدم عليهم ربهم بذنبهم،و أهلكهم بما ظلموا،

و قد جاء فى الروايات الشريفه:

«الظلم فى الدنيا بوار،و فى الآخره دمار » (۱)

«من جار أهلكه جوره » (۲)

«من عمل بالجور،عجّل اللّه هلكه » ۴

«حقّ على اللّه عزّ و جلّ أن لا يعصى فى دار الا أضحاها للشمس حتى تطهرها » (۳)إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ إنّ فى آثارهم شاهدا و دليلا للذين يعتبرون بالمثلات.

ص:۲۰۷

۱- ۲) ميزان الحكمه ص(۵۹۵).

۲- ۳،۴) المصدر ص(۵۹۸).

۳- ۵) نور الثقلين/ج(۴)ص(۹۴).

و هناك مفارقه بين قصه ثمود حيث أهلكهم اللّه و قصه بلقيس حيث أسلمت مع سليمان لربّ العالمين،و هما حضارتان عربيتان،خضعت إحداهما للرساله بالرغم من أن حاملها لم يكن عربيا و هو سليمان عليه السلام بينما تحدّث الأخرى رسالات اللّه مع أنّ حاملها كان أخا لهم،شريفا بينهم،بل و حاولت اغتياله لو لا نصر اللّه له.

[۵۳] وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ و أنقذ اللّه المؤمنين الذين يخشون ربهم من العذاب الذى أصاب ثمود،فكما أنّ الكفر و الظلم سبب الدمار،فإنّ الإيمان و التقوى سبب للنجاه.

[سوره النمل (۲۷): الآیات ۵۴ الی ۶۴]

اشاره

وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ اَلْفاحِشَهَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (۵۴) أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ اَلرِّجالَ شَهْوَهً مِنْ دُونِ اَلنِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (۵۵)
فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (۵۶) فَأَنْجَيْناهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ
اَلْغابِرِينَ (۵۷) وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ اَلْمُنْذَرِينَ (۵۸) قُلِ اَلْحَمْدُ لِلّهِ وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ اَلَّذِينَ اِصْطَفى آللّهُ خَيْرٌ أَمّا
يُشْرِكُونَ (۵۹) أَمَّنْ خَلَقَ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ اَلسَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَهٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها
أَ إِلهٌ مَعَ اَللّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (۶۰) أَمَّنْ جَعَلَ اَلْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِيَ وَ جَعَلَ بَيْنَ اَلْبَحْرَيْنِ حاجِزاً
أَ إِلهٌ مَعَ اَللّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۶۱) أَمَّنْ يُجِيبُ اَلْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ اَلسُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ اَلْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اَللّهِ قَلِيلاً
ما تَذَكَّرُونَ (۶۲) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ اَلْبَرِّ وَ اَلْبَحْرِ وَ مَنْ يُرْسِلُ اَلرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَ إِلهٌ مَعَ اَللّهِ تَعالَى اَللّهُ عَمّا
يُشْرِكُونَ (۶۳) أَمَّنْ يَبْدَؤُا اَلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ اَلسَّماءِ وَ اَلْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اَللّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ
(۶۴)

آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ

هدى من الآيات:

كان قوم لوط من الذين أصيبوا بالشذوذ،و الإسراف فى الشهوه الجنسيه حتى تمرّدوا على أوامر اللّه بسببها،و عند ما نقرأ حياه الأنبياء مع أقوامهم نجد أنّ أساس الفساد لدى الجميع واحد و هو:ضعف الإيمان باللّه،و بالتالى الشرك به،مهما اختلفت مظاهر الفساد من قوم لآخر،و الشرك باللّه هو السبب المباشر لضعف الإنسان،و انبهاره بزينه الحياه الدنيا الى حدّ الانهيار أمامها،بينما كان عليه أن يسخّرها لنفسه،و لقد أسجد اللّه الملائكه له تعبيرا عن خضوع الطبيعه،لأنّ الملائكه الموكّله بها سجدت له،و من جانب آخر علّم اللّه آدم الأسماء،و أعطاه العلم و العقل وسيله لتسخير الحياه فى صالحه.

و لكنّ الإنسان كثير مّا يختار اتباع الهوى،و الخضوع لطبائعه بسبب وساوس إبليس،و لا شك انّ الذى يعجز عن السيطره على نفسه،و إخضاع طبائعه لعقله و للعلم الذى أعطاه اللّه إيّاه،سوف لن يسخّر الطبيعه من حوله،لأنه حينذاك سيصير

جزءا منهـا،و لن يسـخّر البشـر الطبيعه فى صـالحه الاـ بالإـراده،و السـيطره على النفس، و النظريـات التى تغفـل جـانب الإراده فى الإنسان هى التى تؤمن بالحتميّات، و تسلب الثقه من الإنسان بنفسه أمام ضغط الظروف المختلفه.

فـالنظريه الماركسـيه تقول:إنّ الإقتصـاد يـدير الحياه،و إنّ وسائل الإنتاج هى التى تصوغ المجتمع،و تسـيّر التاريـخ،و بـدلا من أن يشـرف الإنسـان على الاقتصـاد، يشـرف الاقتصـاد عليه،و النظريه الاجتمـاعيه تقول:إنّ الوسـط الاجتمـاعى، و المرحله الاجتماعيه التـاريخيه هى التى تصوغ حيـاه الإنسـان،و أنّ التوافق الاجتمـاعى هو أقوى إحساس يـدفع البشـر نحو أتجاه معيّن.و هناك نظريه متطرفه فى علم النفس وضـعها فرويد:ترى أنّ الإنسان يخضع لشـهواته الجنسيه مباشره،أو عن ردود أفعال و إحباطات معينه ناتجه منهـا،و كـل هـذه النظريـات قـد تكون صـحيحه، و لكن حينما يفقـد البشـر الإراده و الايمان باللّه،أمّا المؤمن فهو فوق كلّ هـذه الحتميّات،إذ يسـيطر على نفسه فلا الشـهوه الجنسيه،و لا المجتمع الفاسد،و لا الإقتصاد،أو السياسه،أو ایّ عامل مادى آخر يستطيع إخضاعه و السيطره عليه، و هذا هو جوهر الإسلام الذى تؤكّده الآيات الأخيره من هذا الدرس.

و أيّهما أفضل للإنسان أن يعبـد الحجر و مثيله الإنسان،و الطبيعه التى كلّف بتسـخيرها،أو أن يعبد اللّه؟فعباده اللّه هى التى تتوافق مع فطره الإنسان و عقله، لأنّ الإيمان مغروس فى البشـر منـذ عالم الذر،يوم قال اللّه لبنى آدم: «أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ» (1)إلاّ ان العوامـل المختلفه و أهمهـا نفس الإنسـان هى التى تحجب البشـر عن هـذه الحقيقه،و لا سبيل له للمحافظه على عهـده مع اللّه الا بترويض النفس و السيطره عليها.

١- ١) الأعراف/(١٧٢).

لا ـ يجد الإنسان-مهما بلغ به الإلحاد-ملجأ غير اللّه فى لحظات الخطر،فلو ركب سفينه،و هبّت فى عرض البحر عليها عاصفه فحطّمتها،فإلى من سيلتجئ؟هل سيلجأ إلى صنمه؟!أو إلى رئيسه الذى كان يخضع له من دون اللّه؟!لن يفعل شيئا من ذلك،و إنما سيشعر أنّ هناك قوه أعظم من كلّ ذلك،هى التى تحدّد مصيره،و بيدها إنقاذه من الهلاك،و حينئذ يتجه نحوها يطلب الخلاص، و ذلك هو اللّه ربّ العالمين.

و بالرغم من أنّه لم يعبد اللّه بل عبد الطاغوت و الشيطان الذى يتمثل فى النفس الأمّاره أو المجتمع المنحرف،إلاّ أنّ اللّه سبحانه يستجيب له،و ينقذه من ورطته، و عند ما يتخلّص من الهلكه و يصل الى شاطئ الأمان يعود إلى انحرافه و خطئه، كما فعل بنو إسرائيل حين قالوا لموسى عليه السلام بعد ما خرجوا من البحر: «اجْعَلْ لَنٰا إِلٰهاً كَمٰا لَهُمْ آلِهَةٌ» (1)و هذه من طبيعه الإنسان فى كل مكان و زمان.

إنّ قلب الإنسان يتصل باللّه فى الشده و أوقات التذكره،و لكنّه فى وقت الغفله و النسيان و الضغوط ينسى اللّه و عهده معه-و هذه هى بدايه الانحراف-فهو يبدأ من نسيان اللّه،و قدرته،و هيمنته،و لو لا ذلك لما استعبدتنا الأهواء،و لما وجهتنا الأنظمه الاقتصاديه،و الاجتماعيه،و السياسيه،و العسكريه،و غيرها.

إنّ الضمير الحيّ النقيّ هو الذى يبقى متوكّلا على ربّه باستمرار،متصلا به فى كلّ ظرف.

بينات من الآيات:

[۵۴]من أعظم ما يسعى اليه الأنبياء إنقاذ المجتمعات من الانحراف،

۱- ۲) الأعراف/(۱۳۸).

و توجيهها نحو الخير،و لا يثنيهم عن ذلك شيء مهما كان موقف المجتمع،ذلك أنّهم يجدون أنفسهم مسئولون عن تبليغ رسالتهم التى يتحمّلون من أجلها كل أذى، و هكذا كان نبىّ اللّه لوط:

وَ لُوطاً إِذْ قٰالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفٰاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ كيف تعملون المنكر و أنتم تعلمون قبحه،و أنه ضلال و انحراف؟! [۵۵] أَ إِنَّكُمْ و خلافا للسنه الطبيعيه.

لَتَأْتُونَ الرِّجٰالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسٰاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إذ تتركون علمكم النابع من العقل و الوجدان الى الجهل الذى هو كلّ سلوك لا يهتدى بنور العلم،و لا يتوافق مع فطره الإنسان.

[۵۶]و الذى يحمل رساله التغيير يجب أن يتحمّل من أجل تبليغها كلّ مكروه، لا أن يكون مستعدا لتحمّلها ما دامت لا تسبب له أذى،فإذا أوذى فى اللّه نكص على عقبيه.و نبىّ اللّه لوط كان يعرف مسبقا موقف قومه السلبى إلاّ أنّه لم يتوان فى تحمل مسئوليّته.

فَمٰا كٰانَ جَوٰابَ قَوْمِهِ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ حينما يتبع الإنسان الجهل،و يعارض العلم،فإنه يعارض العالم أيضا، و الذى يعارض فكر إنسان ما و علمه فإنّه يعارضه شخصيا فى غالب الأحيان، و هكذا نجد الصراع بين لوط و قومه يتحوّل من اختلاف حول موضوع معين-هو

اللواط-الى صراع عنيف يسعى فيه المجتمع الى طرد نبىّ اللّه،و كثيرا ما يلجأ الإنسان الى منطق القوه مع الأطراف المخالفه له حينما يفشل فى معركه المنطق، فعند ما أراد مجتمع لوط طرد المؤمنين قالوا:

إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ إنّ آل لوط يريدون حياه طاهره،لذلك يجب إخراجهم و طردهم.أو ليست الطهاره تقف مع عقل الإنسان و فطرته؟!بلى.و لكنّ أصحاب منطق القوه لا يهمّهم مع من يكون الحقّ،لأنهم لا يريدون الحق،بل يريدون ما يتفق مع شهواتهم و لو كان الباطل بعينه.

و هذا هو منطق الطواغيت حين يخرجون المؤمنين،و يعذّبونهم،و يقتلونهم بحجه أنّهم يسعون لإقامه حكم اللّه،و كأنّ ذلك جريمه.إنّهم يريدون منا أن تنحصر صلاتنا بين جدران المساجد،أما أن تنعكس على واقعنا السياسى و الاجتماعى فلا.

[۵۷]و عند ما أجمع القوم على إخراج لوط و من معه أنجاهم اللّه،و بقيت زوجته معهم لأنّها منحرفه،فنزل عليهم العذاب الذى شملها أيضا.

فَأَنْجَيْناهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ [۵۸] وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ تستخدم كلمه المطر فى القرآن للسوء فقط،أما الغيث الذى يأتى من السماء فاسماؤه مختلفه،و ما أنزل اللّه مطر السوء عليهم دون سابق إنذار،بل أنذرهم فكذّبوا بالنذر،و لم ينتفعوا بها.

ص:۲۱۵

[۵۹] قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ لقد انتهى أولئك فأحمد اللّه أنّك هديت للإسلام.و الذى يحمد اللّه على الهدايه و كونه مع المؤمنين لا بد ان يتّصل بعباده الذين اختارهم.

وَ سَلاٰمٌ عَلىٰ عِبٰادِهِ الَّذِينَ اصْطَفىٰ و هؤلاء الذين اختارهم اللّه من عباده علينا المسارعه للانتماء إليهم إذا كنّا نعبد اللّه حقّا،فالخاضع للّه هو الذى يسلّم لأوليائه الذين اصطفاهم على خلقه، و التسليم الحقيقى هو الخضوع لهم فى القول و العمل من جهه،و التبرّى من أعدائهم فى كل شيء من جهه ثانيه،و لهذا

جاء فى زياره الأئمه عليهم السلام:

«أشهد اللّه و أشهد أنى...موال لكم و لأوليائكم،مبغض لأعدائكم و معاد لهم،سلم لمن سالمكم و حرب لمن حاربكم » (۱)آللّٰهُ خَيْرٌ أَمّٰا يُشْرِكُونَ و هنا تبدأ سلسله من الأسئله التوجيهيه:أيّهما أفضل اللّه ما يشركون؟ و هدف هذه الأسئله أن يحرك الإنسان عقله متفكّرا،ليبتعد عن الشرك عن وعى و قناعه نابعه من عقله لو أجاب على هذه التساؤلات إجابه سليمه.

[۶۰]فى إطار بيان القرآن لعبر الأمم السابقه،يوقفنا السياق لحظات ليذكرنا بربّنا العزيز عبر آياته فى الحياه:

أولا:لان معرفه اللّه تساهم فى معرفه الحقائق الأخرى،و بالذات فى حقل الرساله.

۱- ۳) مفاتيح الجنان/الزياره الجامعه.

ثانیا:لأنّ کتاب الخلیقه نسخه صامته لکتاب اللّه الناطق المنزل علی الرسل.

و لعل القرآن یشیر فی کل سیاق إلی الآیه الطبیعیه التی توحی بنفس الأسماء التی تبینها آیات اللّه.

أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَکُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَهٍ ما کانَ لَکُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَ إِلهٌ مَعَ اللّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ یَعْدِلُونَ إنّ الاجابه علی هذه التساؤلات کلها تهدینا الی اللّه،إلاّ أنّ البشر کثیرا ما یمیلون عن الحق لأنه یخالف أهواءهم.

[۶۱] أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً بسبب الجاذبیه التی لولاها لکنا نسبح فی هذا الفضاء الرحب.

وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً یستفید منها الإنسان،و یقوّم بها حضارته.

وَ جَعَلَ لَها رَواسِیَ من شأنها حفظ توازن الأرض.

وَ جَعَلَ بَیْنَ الْبَحْرَیْنِ حاجِزاً حیث تنحدر المیاه من الجبال و هی عذب فرات،و علی مقربه منها البحر و هو ملح أجاج،و التراب لا یحجز الماء عن التسرّب،و لکن وصول الماء إلی التراب

يتحوّل الى طين يتحصّن أمام الماء فيمنعه من التسّرب.

أَ إِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ بعد أن يتعرض القرآن إلى هذه الآيات،و يعرضها على عقل الإنسان، يتساءل:هل يوجد مع اللّه إله آخر؟!و الإجابه بالطبع:كلا.فلو كان ثمّه اله آخر لوجدنا أثره فى هذه الحياه فى الأرض أو فى السماء أو فى البحار أو..أو..، فإذا أشركنا دون دليل فنحن إذن جهلاء.

[۶۲]ثمّ يطرح القرآن سؤالا آخر يخاطب به وجدان الإنسان،إذ يقول:

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذٰا دَعٰاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ من هو الذى تلتجئ إليه فيدفع عنك الخطر حين يحيط بك أيّها الإنسان؟! وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفٰاءَ الْأَرْضِ أ-يجعلكم خلفاء الأرض بإعطائكم السلطه السياسيه.

ب-يجعل بعضكم يخلف بعضا.

و سواء هذا أو ذاك،فإنّ الذى يهلك ملوكا و يستخلف آخرين،و يهلك قوما و يأتى بغيرهم،هل يعقل أن يكون له شريك؟!افلما ذا لا تفكّرون بعقولكم لتتوجهوا الى اللّه؟ أَ إِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ قَلِيلاً مٰا تَذَكَّرُونَ فى كثير من الأحيان يعتقد الإنسان أنّ السلطه السياسيه بيد الناس فيعبدهم،

ص:۲۱۸

و لكنه لا يـدرى أنّه لو شاء اللّه لتهاوى جميع الـذين يجلسون على العرش،و لتساقطوا كأوراق الخريف،إنّ هذه الحقيقه قريبه من الإنسان،و لو عاد إلى فطرته،و فتّش فى داخله لوجدها،و لكنّه ينساها بسبب الشهوات،و المشاكل،و الضغوط.

و حين يوجّهنا اللّه إلى الإيمان به،فذلك لكى نستطيع السيطره على أنفسنا؟ و تسخير الطبيعه من حولنا،و إلاّ سخرنا كلّ شىء،و كما

فى الحديث القدسى:

«عبـدى أطعنى تكن مثلى أقول للشـىء كن فيكون و تقول للشـىء كن فيكون » أمّا حين يخرج البشـر من حصن اللّه،و يبتعد عنه فإنّ كلّ ما فى الطبيعه يستعبده و يسخّره،كالذى صار شهيدا للحمار فلم يصلّ عليه رسول اللّه مع سائر الشهداء.

[۶۳] أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمٰاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ الهدايه من عند اللّه،فلو لم يلهمه صـناعه البوصـله لضلّ طريقه،و لو لم يرسل له الأنبياء لما عرف الحق و الباطل.

و قـد يتصور الإنسان أنّ البوصـله هى التى تهـديه حينما يتيه فى عرض البحر،أو أنّ عقله هو الـذى يهديه،و لكن من الذى يلهمه معرفه الطريق حينما لا تنفعه البوصله و لا يهديه العقل؟!ثم إذا كانت الهدايه عن طريق العقل فهو من عند اللّه تعالى.

و المخترعون الكبـار يقولون:إنّ الاختراعـات نوع من الإلهـام،حتى أنّ بعضـهم يتوصّل إلى الاكتشافات فى حال النوم،و كـذلك يقول كبار الشعراء:إنّ الشعر شىء من الإلهام فى غالب الأوقات.

وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ لقد جعل اللّه الأنبياء رعاه للأغنام إلاّ بعضهم،و الحكمه فى ذلك كما جاء فى حديث لينتظروا الغيث،و الإنسان يعلم أنّ الذى يأتى بالسحاب عبر الرياح إنّما هو اللّه،إذا:

أَ إِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ تَعٰالَى اللّٰهُ عَمّٰا يُشْرِكُونَ مع كل هذه الآيات الواضحه إلاّ أنّ بعضا من الناس يتصوّرون أنّ النفع و الضر يأتى به الحكّام،فيخضعون لهم،و يشركونهم مع اللّه.

[۶۴] أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ من الذى يأتى بالخلق من العدم،ثم يعيده يوم البعث؟! وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ من أين نحصل على الرزق؟هل من عند أنفسنا؟!كلا..إنّه من عند اللّه، الذى بيده أرزاق العباد،و من الناس من ينظر إلى السبب المباشر للرزق،و يغفل عن ملايين العوامل التى يدبّرها الربّ من وراء ذلك السبب المباشر.

أَ إِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ البعض يدّعون أنّ للّه شركاء كالطواغيت.

قُلْ هٰاتُوا بُرْهٰانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ أحد الحكام يشترى طائره خاصه فيها مستشفى للقلب،و طاقم خاص من الأطباء خوفا من أن يموت،فهل هذا إله حتى نشترى مرضاته بمعصيه اللّه؟!

[سوره النمل (۲۷): الآيات ۶۵ الی ۷۳]

اشاره

قُلْ لاٰ يَعْلَمُ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ اَلْغَيْبَ إِلاَّ اَللّٰهُ وَ مٰا يَشْعُرُونَ أَيّٰانَ يُبْعَثُونَ (۶۵) بَلِ اِدّٰارَکَ عِلْمُهُمْ فِی اَلْآخِرَهِ بَلْ هُمْ فِی
شَکٍّ مِنْهٰا بَلْ هُمْ مِنْهٰا عَمُونَ (۶۶) وَ قٰالَ اَلَّذِينَ کَفَرُوا أَ إِذٰا کُنّٰا تُرٰاباً وَ آبٰاؤُنٰا أَ إِنّٰا لَمُخْرَجُونَ (۶۷) لَقَدْ وُعِدْنٰا هٰذٰا نَحْنُ وَ آبٰاؤُنٰا
مِنْ قَبْلُ إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ أَسٰاطِيرُ اَلْأَوَّلِينَ (۶۸) قُلْ سِيرُوا فِی اَلْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَيْفَ کٰانَ عٰاقِبَهُ اَلْمُجْرِمِينَ (۶۹) وَ لاٰ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ تَکُنْ
فِی ضَيْقٍ مِمّٰا يَمْکُرُونَ (۷۰) وَ يَقُولُونَ مَتیٰ هٰذَا اَلْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِينَ (۷۱) قُلْ عَسیٰ أَنْ يَکُونَ رَدِفَ لَکُمْ بَعْضُ اَلَّذِی
تَسْتَعْجِلُونَ (۷۲) وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو فَضْلٍ عَلَی اَلنّٰاسِ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لاٰ يَشْکُرُونَ (۷۳)

اللغه

۷۲[ردف]:دنا.

هدى من الآيات:

فی هـذه الآیـات نجـد خلاـصه للعبر الـتی اسـتوحیناها من قصـص السـوره،و هی التـذکره بـالحق،ففی القسم الأـوّل یـذکّرنا اللّه بنفسه،بینمـا یـذکّرنا فی القسم الآـخر بیوم القیـامه،و لکی نعرف الحقـائق لاـ یکفی أن نثیر عقولنـا فقـط،بـل یجب أیضـا اسـتثاره الوجـدان،لأنّ العقل یحجب أحیانا بالغفله و العناد،أمّا حین یهتّز الوجدان فإنّ الحجب تتساقط عنه،و یعود الإنسان الی ربّه،من هنا کان علینا عند تلاوه آیات الذکر الحکیم أن نتفاعل معها نفسیّا لکی نصل إلی معرفه اللّه حقّا،و فی ذات الوقت یجب أن نعرض کـلّ ذلـک علی العقـل،إذ من الخطأ تصـدیق أیّ فکره دون عرضـها علی العقـل،ذلک أنّ الـذی یستسـلم دون العوده للعقل قد یستسـلم للباطـل،و هکـذا یجب علی الإنسـان أن یسـتثیر عقله و وجـدانه عنـد کل قضـیّه حتی یتعرّف علی الحق أو الباطل فیها،و المقصود بالوجدان تلک الجوانب الخیّره من نفس الإنسان فهو-مثلا-یحبّ من أحسن الیه،و یخشی من هو عظیم،و الذی بیده

نفعه و ضـره،فعند ما نعبد اللّه فلأننا نجد فيه مصدر العظمه و القوه،و إنّه حسبنا الذى نأنس إليه، و فى الوقت ذاته يجب أن نخشاه لأنّه شديد العقاب و الانتقام،و يمكن أن يصل إلينا من عنده عذاب عظيم.

و إنّ من طبيعه الإنسان إبعاد الحقائق الكبرى عن ذهنه،فكما أنه لا يستطيع التركيز بنظره و لفتره طويله فى قرص الشمس كذلك لا يستطيع أن يركّز فكره و عقله فى الحقائق الكبرى كالتفكير فى اللّه أو الموت أو القيامه،و عند ما يجلس الإنسان فى مجالس الذكر فيستمع إلى هذه الحقائق أو يقرأ كتابا يذكّره بها فإنّه يخشع قلبه، و يتذكّر القيامه،و لكنّه لا يبقى على هذا الحال طويلا،فبعد فتره تجده و قد أنساه الشيطان تلك الحقائق و عاد إلى الغفله مره أخرى،و هكذا يبقى الإنسان فى جدل مع نفسه،فتاره يتذكر الحقيقه و تاره يبتعد عنها،و لذلك سمّى مكان الصلاه محرابا (بينما المحراب هو موقع الحرب)لأنّه يبقى فى صراع باطن مع الأهواء و الشيطان، و يشبه فى مسيره إلى معرفه اللّه الطائره حين تحلّق فى السماء،فبمجرد أن تعطب المحركات تهبط و ربما تتحطم،و هكذا يسقط البشر فى وحل الرذيله و الشقاء حين يغفل عن اللّه و الحق.

و الآخره باعتبارها مستقبلا و ليس حاضرا،و لكونها مرحله أخرى من حياه الإنسان،فإنّ علمه يصطدم بجدارها،كما يجتمع الماء خلف السد،و هكذا يتجمع علم البشر خلف هذا الجدار فيدرك الواحد الآخر،و لأنّ أمامه حواجز من الشك و الجحود و الكفر بالآخره فإنّ علمه يتوقّف عند حدود الدنيا،أما المؤمن فإنّ علمه ينفذ من الدنيا إلى الآخره،و لعلّنا نفهم حواجز الوصول إلى الحقائق من خلال التدبر فى نهايات الآيات،يقول تعالى فى الآيه(۶۰): بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ و فى الآيه(۶۱): بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ و فى الآيه(۶۲): قَلِيلاً مٰا تَذَكَّرُونَ و فى الآيه(۶۴): قُلْ هٰاتُوا بُرْهٰانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ و فى الآيه(۶۶): بَلِ ادّٰارَكَ

عِلْمُهُمْ فأولى مصيباتهم أنهم يعدلون بغيره،و تختلط عندهم مقاييس الحق و الباطل،بالرغم من أنّ أعظم صفات العقل تمييز الحق عن الباطل،و الخير عن الشر،و النفع عن الضرر،أما المصيبه الثانيه:الجهل و عدم العلم،و جهلهم آت من غفلتهم،و عدم تذكرهم ذلك،و الطريق إلى العلم هو التذكّر،و الإنسان إمّا يحصل عليه عن طريق الآخرين و إمّا عن طريق التجارب،و الذى لا يتذكر لا يستطيع الحصول على العلم لا من الآخرين و لا عبر التجارب،ثم يطالبنا القرآن الكريم بالبرهان،و من لا يملك البرهان لا يتمكّن أن يقول شيئا،و أخيرا يبيّن لنا أنّ علمهم قد توقّف عند حدود الدنيا.

بينات من الآيات:

[۶۵]لو عاد الإنسان إلى وجدانه لرفض الخضوع للأنداد.و من أبرز ما يخشاه البشر المستقبل و ما يخبّئه له من مفاجئات قد لا تكون ساره.

و من الذى يعلم الغيب إلاّ اللّه،و هل يقدر أحد أن يتحكّم فى المستقبل إلاّ اللّه؟! فهل كان كارتر يعلم بأنّ زوبعه سوف تدمّر طائراته فى طبس،و هل المخابرات تعلم أنّ مركبه الفضاء(تشالنجر)سوف تتحطم بعد لحظات من إطلاقها؟!لو كانوا يعلمون لما أقدموا على كل ذلك.

و كلمه أخيره:

إنّ علم الغيب ليس كلّ ما يعلم الإنسان عن المستقبل،بل معرفه الأشياء بصوره ذاتيه،

فقد ذكر الامام أمير المؤمنين أنباء عن المستقبل،فزعم البعض أنّه علم الغيب،فأوضح لهم الفارق بين علم الغيب و معرفه حوادث المستقبل،فقال متحدّثا

لرجل كلبىّ زعم ذلك:

«يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب،و إنّما هو تعلّم من ذى علم،و إنّما علم الغيب علم الساعه،و ما عدّده اللّه سبحانه بقوله: إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ... الآیه فیعلم سبحانه ما فی الأرحام من ذكر أو أنثی، و قبیح أو جمیل،و سخیّ أو بخیل،و شقیّ أو سعید،و من یكون للنار حطبا،و فی الجنان للنبیین مرافقا،فهذا علم الغیب الذی لا یعلمه إلاّ اللّه،و ما سوی ذلك فعلم علّمه اللّه نبیّه فعلّمنیه،و دعا لی أن یعیه صدری،و تضطمّ علیه جوانحی » (1)قُلْ لا یَعْلَمُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَیْبَ إِلاَّ اللّهُ وَ ما یَشْعُرُونَ أَیّانَ یُبْعَثُونَ إنّ هؤلاء لا یشعرون حتی مجرّد شعور متی یكون بعثهم.

[66] بَلِ ادّارَكَ عِلْمُهُمْ فِی الْآخِرَهِ لقد توقف علمهم و انتهی عند حدود الدنیا لنظرتهم المادیه،و كفرهم باللّه تعالی،و المؤمن یسأل اللّه أن یتجاوز علمه و إدراكه الدنیا إلی الآخره،

ففی الدعاء:

«و لا تجعل الدنیا أكبر همّنا و لا مبلغ علمنا » (2)و لا ریب أنّ الذی یفكّر فی الدنیا فقط فإنّ مصیبته ستكون فی دینه.

ص:225

1- 1) نهج البلاغه/خ(128)/ص(186).

2- 2) مفاتیح الجنان/فی أعمال لیله النصف من شعبان.

و السبب من اقتصار علمهم على الدنيا هو شكّهم فى الآخره.

بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِنْهٰا بل أكثر من ذلك:

بَلْ هُمْ مِنْهٰا عَمُونَ فلا يذكرون الآخره،كالأعمى الذى لا يعرف النور و لا اللون.و يبدو أنّ فى السياق تدرجا فى مراحل جهلهم،فقد توقّف علمهم فلا يعرفون أىّ شىء من شؤون الآخره،و هذا وحده سبب كاف لنبذهم من قبل اتباعهم،ثم بيّن ربّنا أنهم أساسا يشكّون فى الآخره،فكيف ينفعون أحدا فى دار يشكّون فى وجودها،ثم بيّن أنّهم فقدوا ما كان يمكنهم معرفه الآخره به و هو عين البصيره،و من لا يملك جهازا للإدراك فهل يتصدّر إدراكه لشىء.

[۶۷] وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَ إِذٰا كُنّٰا تُرٰاباً وَ آبٰاؤُنٰا أَ إِنّٰا لَمُخْرَجُونَ إنّهم يشكون فى البعث و الجزاء لجهلهم باللّه و قدرته،و أيضا لجهلهم بالخلق.

[۶۸] لَقَدْ وُعِدْنٰا هٰذٰا نَحْنُ وَ آبٰاؤُنٰا مِنْ قَبْلُ إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ أَسٰاطِيرُ الْأَوَّلِينَ و الأساطير هى الخرافات التى تشيع داخل المجتمع،و لا واقع لها.و لو أنّ هؤلاء تعمّقوا قليلا لعرفوا أنّ الحكمه تقف وراء كلّ شىء فى هذه الحياه،ثم لعرفوا من خلال ذلك حقيقه المسؤوليه،و أنّ هناك دارا للجزاء هى الآخره،و لعل هذه الآيه تفسر الآيه السابقه و تبيّن أنّ سبب عمه هؤلاء الأنداد،و من يشرك بهم من الجاهلين هو استبعادهم البعث و زعمهم بأنّه لا يكون،لأنّهم لا يعرفون كيف يمكن أن

يكون،و هل يجوز أن تنكر وجود شىء لمجرد أنّك لا تعرف كيف وجد،و ما هى عوامل وجوده أو تفاصيله؟! [۶۹] قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ و ماذا نشاهد حينما نسير فى الأرض و ننظر إلى التاريخ؟ إنّنا نشاهد آثار تلك الحضارات التى بادت بسبب انحراف أهلها،و رفضهم لرسالات اللّه،و بالتالى نشاهد آثار الجزاء الدنيوى الذى يدلنّا على الجزاء فى الآخره.

[۷۰]و أنت الذى تؤمن بالآخره لا تحزن عند ما ترى العاقبه التى حلّت بالمجرمين،و لا تفكّر فيهم:

وَ لاٰ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ و لا تغتّم على المجرمين الذين ينتظرهم نفس المصير.

و لا تخش مكرهم،لأنّ مكرهم عند اللّه،و فى إطار سلطانه سبحانه،و أنّ الذين سبقوهم كانوا أمكر منهم،فلم يغنهم مكرهم شيئا حين قضى اللّه بتدميرهم.

وَ لاٰ تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمّٰا يَمْكُرُونَ و يوحى التعبير القرآنى بأن علينا ألاّ نأبه أبدا بمكرهم،بل حتى لا يؤثر خوف مكرهم فى خططنا الراميه لتبليغ الرساله.

[۷۱] وَ يَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ

ص:۲۲۷

دلیـل هؤلاـء علی عـدم وجود الآخره أنّها قـد تأخّرت،و لکن هل إنّ عـدم وقوع شـیء بالأمس أو الیوم دلیل علی أنّه لن یقع فی المستقبل؟ [۷۲] قُلْ عَسیٰ أَنْ یَکُونَ رَدِفَ لَکُمْ بَعْضُ الَّذِی تَسْتَعْجِلُونَ إنّکم تستبعدون یوم الجزاء،و لکن ما یدریکم ربما یحلّ بکم قریبـا،و کلمه «ردف» تـدلّ علی القرب،إذ لیس ثمّه مسافه بین المترادفین علی دابّه واحـده،ثم إنّ العـذاب الأشـد هو عـذاب القیامه،و من الغباء استعجال مثل هـذا العذاب! [۷۳]و تسأل:لمـاذا یؤخر اللّه العـذاب؟ وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو فَضْلٍ عَلَی النّٰاسِ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لاٰ یَشْکُرُونَ إنّ التـأخیر تفضّـل من اللّه،و لکنّ الناس لا یسـتفیدون من هـذه الفرصه بالتوبه، بل لا یزالون یزدادون کفرا علی کفر حتی یحلّ بهم الأجل، فَإِذٰا جٰاءَ أَجَلُهُمْ لاٰ یَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَهً وَ لاٰ یَسْتَقْدِمُونَ .

ص:۲۲۸

[سوره النمل (٢٧): الآيات ٧۴ الی ٨١]

اشاره

وَ إِنَّ رَبَّکَ لَیَعْلَمُ مٰا تُکِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مٰا یُعْلِنُونَ (٧۴) وَ مٰا مِنْ غٰائِبَةٍ فِی اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ (٧۵) إِنَّ هٰذَا اَلْقُرْآنَ یَقُصُّ عَلیٰ بَنِی إِسْرٰائِیلَ أَکْثَرَ اَلَّذِی هُمْ فِیهِ یَخْتَلِفُونَ (٧۶) وَ إِنَّهُ لَهُدیً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِینَ (٧٧) إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ بِحُکْمِهِ وَ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْعَلِیمُ (٧٨) فَتَوَکَّلْ عَلَی اَللّٰهِ إِنَّکَ عَلَی اَلْحَقِّ اَلْمُبِینِ (٧٩) إِنَّکَ لاٰ تُسْمِعُ اَلْمَوْتیٰ وَ لاٰ تُسْمِعُ اَلصُّمَّ اَلدُّعٰاءَ إِذٰا وَلَّوْا مُدْبِرِینَ (٨٠) وَ مٰا أَنْتَ بِهٰادِی اَلْعُمْیِ عَنْ ضَلاٰلَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاّٰ مَنْ یُؤْمِنُ بِآیٰاتِنٰا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨١)

ص:٢٢٩

وَ إِنَّهُ لَهُدىً وَ رَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِینَ

هدی من الآیات:

فی إطار بیان خصائص الوحی الإلهی،و بعد التذکره باللّه الذی أوحی بالکتاب،و إنّه لا یعلم الغیب فی الخلیقه سواه..یذکّرنا ربّنا بأنّه سبحانه یعلم ما تکنّ صدورهم من هواجس و نیّات،و ما یعلنون من قول،و أنّه ما یغیب عن علمهم من حوادث و ظواهر مکتوبه فی کتاب مبین(اللوح المحفوظ،و القرآن، و علم الأنبیاء و الأئمه منه).

و إنّ القرآن یبیّن لبنی إسرائیل الحق فیما هم فیه یختلفون،مما یشهد بأنّه قد نزل من لدن حکیم علیم.

و القرآن یحمل الهدی و الرحمه إلی من یؤمن به و هذا شاهد صدقه،و یقضی بحکمه العادل و هو العزیز العلیم.

و یأمر الرسول و المؤمنین بالتوکّل علیه،و عدم التردّد لأنهم علی صراط حقّ

ص:۲۳۰

و واضح،و ألاّ يأبهوا بأولئك الجاحدين الذين لم يجعل اللّه لهم نورا.أو يمكن أن تسمع الموتى أو تسمع الصمّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين؟!كذلك أعمى القلب لا يهتدى عن ضلالته،إنّما يهتدى من يسلم وجهه للّه.

و إذا ذكرنا الربّ تعالى بيوم الجزاء،فلا بد أن يذكّرنا بالرساله التى هى إعداد للإنسان ليوم الحساب.و هكذا لا نجد جانبا من العقائد الاسلاميه فى القرآن مبتورا عن سائر الجوانب،لأنّها كلّها تدور حول محور واحد هو الايمان باللّه،فبعمق الإيمان و بسعته،و بالتالى بمعرفه اللّه عبر أسمائه الحسنى،نتعرّف على سائر أبعاد العقائد الاسلاميه.

لماذا جاءت الرساله الالهيه؟ و الجواب:جاءت الرساله لتحقيق الأهداف التاليه:

۱-رفع الاختلاف.إذ وفّر اللّه سبحانه فرصه الوحده بين الناس عبر الرساله،أمّا إذا لم يروا الاستفاده منها لرفع الخلاف بينهم فهذا شأنهم.

۲-الهدايه.و لها مرحلتان:

أ)حلّ الالغاز.و أدنى قدر من الهدايه أن يعرف الإنسان الإجابه على الأسئله الحائره فى ذهنه:من الذى خلق هذا الكون،و لماذا؟و من خلقنى، و لماذا؟و من أين أتيت،و إلى أين أصير؟،حتى لا يتيه البشر،و يقول كما قال إيليا أبو ماضى فى قصيدته المعروفه الطلاسم:

جئت لا أعلم من أين و لكنّى أتيت و لقد أبصرت قدّامى طريقا فمشيت

و سأبقى سائرا إن شئت هذا أو أبيت كيف جئت؟كيف أبصرت طريقى؟

لست أدرى

ص:۲۳۱

و من دون بعث الرساله تبقی کثیرا من الألغاز حائره،یدور الإنسان حول الکون و لکنه لا یصل الی مفتاح حلّ الالغاز،و فی النهایه یمسک القلم لیکتب «الإنسان ذلک المجهول»فاللّغز یبقی کما هو من دون الإیمان باللّه،و تظلّ المعادله ناقصه.

و الذین یتحوّلون من الکفر إلی الإیمان یشبهون التائه فی الصحراء،و الذی یأتیه شخص ما لیرشده علی الطریق فیجد السکون و الاطمئنان،و تذهب عنه الحیره،إن هذا هو الهدی.

ب)مرحله التکامل.و هی مرحله العروج بروح الإنسان فی مدارج کمالات المعرفه،حتی یبلغ به الأمر أن یقول:

«لو کشف لی الغطاء ما ازددت یقینا » أو إلی أن یقول له اللّه: «إِنِّی أَنَا رَبُّکَ فَاخْلَعْ نَعْلَیْکَ إِنَّکَ بِالْوٰادِ الْمُقَدَّسِ طُویً» (1)من مظاهر رحمه اللّه بالإنسان ان ربنا و فر فرصه الکمال فی الهدایه للبشر.

٣-الرحمه.و هی هدف بعث الرسل،و نعنی بها انّه ینبغی للناس أن یعیشوا فی هذه الدنیا مطمئنین،و مرحومین لا محرومین،و قد وفّر اللّه فرصه الرحمه للإنسان إن شاء استفاد منها.

بینات من الآیات:

[٧۴] وَ إِنَّ رَبَّکَ لَیَعْلَمُ مٰا تُکِنُّ صُدُورُهُمْ

ص:٢٣٢

١- ١) سوره طه/(١٢).

من نوايا و توجيهات و أفكار.

وَ مٰا يُعْلِنُونَ و هو أولى بالنسبه لمن يحيط بالسرّ،و لعل الآيه تشير إلى مخالفه قولهم لنياتهم.

[۷۵] وَ مٰا مِنْ غٰائِبَهٍ فِى السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ إِلاّٰ فِى كِتٰابٍ مُبِينٍ ما من شىء يغيب عن أنظارنا أو علمنا و خيالنا إلاّ و يحيط به كتاب ربّنا،و هو القرآن الذى أودعه اللّه مفاتيح الغيب و اسمه الأعظم،و معارف الحياه،و لكنّه خصّ بعلم تأويله الراسخين فى العلم فقال: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتٰابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا» و كان الرسول و أئمه الهدى من أهل بيته هم الذين اصطفاهم و ارتضاهم الرّب سبحانه،و بذلك جاءت نصوص عديده (1)[۷۶] إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلىٰ بَنِى إِسْرٰائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ [۷۷]كما أنّ القرآن يحمل فى طياته الهدى و البصيره.

وَ إِنَّهُ لَهُدىً وَ رَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِينَ و الهدى هنا بمعنيين:الأوّل:هو المرحله التى تعنى مجرد فكّ اللغز،و الثانى:

هو أن تصل الى ما تريد الوصول اليه من المعارف المعنويه،و من بناء الذات و العروج بالروح الى سماء الإيمان.

فالقرآن سعاده و فلاح-و لكن بشرط أن يفهمه المؤمنون-برنامج عمل،

۱- ۲) راجع تفسير نور الثقلين/ج(۴)ص(۹۶).

و منهاج حیاه،یحصلوا من خلال تطبیقهم له علی السعاده و الرحمه.

[۷۸]و یقضی الربّ سبحانه و تعالی بین الحق و الباطل فی مواقف شتی:

الف:عند المیزان فی یوم الحساب،حیث آخر الموازین القسط لذلک الیوم و هم لا یظلمون.

باء:عند ما یختلف الناس،و یریدون فضّ خلافاتهم علی أساس عادل یجدون القرآن الکریم الذی هو القضاء الفصل،کما یجدون الإمام العادل الذی یفقه الکتاب و یحکم به و قد استحفظ کتاب ربه.

جیم:عند ما یقضی بهلاک الباطل و نصره الحق.و لا راد لقضائه سبحانه.

إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ بِحُکْمِهِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْعَلِیمُ [۷۹]و ما دام الأمر کذلک،فلا تخشی أحدا:

فَتَوَکَّلْ عَلَی اللّهِ إِنَّکَ عَلَی الْحَقِّ الْمُبِینِ ما دام الحق ینصر،و أنت علی الحق،فتوکل علی اللّه،وثق بالنصر و الغلبه.

[۸۰]و لا تأبه بجحود المعاندین،و ما علیک الا البلاغ.

إِنَّکَ لاٰ تُسْمِعُ الْمَوْتیٰ وَ لاٰ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعٰاءَ إِذٰا وَلَّوْا مُدْبِرِینَ یستحیل أن یسمع الإنسان میتا النداء،لیس لإشکال فیه بل لأنّ المیت فاقد لجهاز الاستقبال،و قد قال الشاعر:

لقد أسمعت لو نادیت حیّا و لکن لا حیاه لمن تنادی

ص:۲۳۴

أمّا الأصم الذى لا يسمع فانه قد يفهمك من خلال حاسه البصر،عبر الإشارات و بعض حركات الفم،أما إذا أدبر فكيف يفهم ما تقول له؟! [۸۱]و هؤلاء الذين لا يستقبلون كلامك-أيّها الرسالى-ينبغى أن لا يؤثّروا عليك،فتصاب بردّه فعل أو تشكك فى خطّك و رسالتك،لأنّ الإشكال الحقيقى فيهم،حيث أنّهم لا يملكون جهاز استقبال.

وَ مٰا أَنْتَ بِهٰادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلاٰلَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاّٰ مَنْ يُؤْمِنُ بِآيٰاتِنٰا فَهُمْ مُسْلِمُونَ الذى أسلم نفسه للحق،و هيّأها لاستقبال الهدايه يمكن أن يستمع إليك،لا الذين عميت بصائرهم،و ماتت قلوبهم.

ص:۲۳۵

[سوره النمل (۲۷): الآیات ۸۲ الی ۹۳]

اشاره

وَ إِذٰا وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنٰا لَهُمْ دٰابَّةً مِنَ اَلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ اَلنّٰاسَ كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا لاٰ يُوقِنُونَ (۸۲) وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيٰاتِنٰا فَهُمْ يُوزَعُونَ (۸۳) حَتّٰى إِذٰا جٰاؤُ قٰالَ أَ كَذَّبْتُمْ بِآيٰاتِي وَ لَمْ تُحِيطُوا بِهٰا عِلْماً أَمّٰا ذٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۸۴) وَ وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمٰا ظَلَمُوا فَهُمْ لاٰ يَنْطِقُونَ (۸۵) أَ لَمْ يَرَوْا أَنّٰا جَعَلْنَا اَللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَ اَلنَّهٰارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۸۶) وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي اَلصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِي اَلْأَرْضِ إِلاّٰ مَنْ شٰاءَ اَللّٰهُ وَ كُلٌّ أَتَوْهُ دٰاخِرِينَ (۸۷) وَ تَرَى اَلْجِبٰالَ تَحْسَبُهٰا جٰامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ اَلسَّحٰابِ صُنْعَ اَللّٰهِ اَلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمٰا تَفْعَلُونَ (۸۸) مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهٰا وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (۸۹) وَ مَنْ جٰاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي اَلنّٰارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۹۰) إِنَّمٰا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هٰذِهِ اَلْبَلْدَةِ اَلَّذِي حَرَّمَهٰا وَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ (۹۱) وَ أَنْ أَتْلُوَا اَلْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدىٰ فَإِنَّمٰا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمٰا أَنَا مِنَ اَلْمُنْذِرِينَ (۹۲) وَ قُلِ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ سَيُرِيكُمْ آيٰاتِهِ فَتَعْرِفُونَهٰا وَ مٰا رَبُّكَ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ (۹۳)

اللغه

۸۲[دابه]:أی حیوان،من دبّ أی سعی علی سطح الأرض.

۸۳[یوزعون]:أی یدفعون،و قیل:یحبسون و هو الأقرب.

۸۷[داخرین]:أذلاء صاغرین،من دخر بمعنی ذل.

ص:۲۳۶

وَ كُلٌّ أَتَوْهُ دٰاخِرِينَ

هدى من الآيات:

ربما تلخّص لنا الآيه الاخيره من هذا الدرس مفهوم السوره كلّها،فهى من جهه تعرّفنا باللّه سبحانه،و بأسمائه الحسنى،مما يثير فينا الإحساس بالحمد،فتجرى على ألستنا كلمه الحمد عفويّا و دونما تكلّف،و نحن لا نستطيع إلاّ ذم أنفسنا التى اختارت الشقاء،أما ربّنا فإنّه يستحق الحمد بكل تأكيد،فقد خلق الكون برحمته، و أجرى فيه سننه،كما أجرى فى قلوبنا تيارا من العقل و العلم و الإراده لكى نستفيد مما فى الحياه من سنن.

و لكن تبقى مشكلتنا نحن الذين لا نستفيد من تلك السنن،و لا من هذا التيّار الخيّر،و لذلك فإنّ سنه إلهيّه أخرى سوف تقضى علينا و هى سنه الجزاء التى يؤكّدها هذا الدرس.

و حينما يفسد الناس فلا يبقى فيهم من بركات الرسالات الإلهيه شيء،فينتشر

الفساد فى الأرض،و لا يبقى إلاّ لكع أبن لكع،كما قال الرسول صلى الله عليه و آله آنئذ يحين موعد الساعه،و تقوم القيامه،و التى من علاماتها و أشراطها خروج دابّه من الأرض تكلّم الناس،الذين يحشرون يومها على صوره مجاميع،طيّبين و خبيثين،فنشهد على الخبيثين بأنّهم معرضون عن آيات اللّه كما يشهدون على أنفسهم،فيبدأ الحساب ثم الجزاء.

و يلاحظ أنّ القرآن يذكّرنا بحكمه اللّه عند ما يتعرّض لذكر القيامه و يوم البعث،فما هى العلاقه بين ذكر الآخره،و التذكره بحكمه اللّه؟ إنّنا عن طريق الإيمان بحكمه اللّه لما نراه من آثارها فى كلّ أجزاء الكون،نؤمن بالآخره،فما دام لكلّ شىء غايه ينتهى إليها،إذن فلا بد أن يكون خلق الإنسان لهدف مّا،و لو فكّرنا لوجدنا أنه البعث من بعد الموت.

ثم يحدّثنا ربنا عن بعض آثار الحكمه فى الخلق،فلو نظرنا الى الجبال لظننّا أنها ساكنه لا تتحرك بينما هى تمر فى حركتها كالسحاب،و الذى يخلق عالما بهذه الدقه المتناهيه،هل خلقه بعلم أم بجهل؟! بالطبع خلقه بعلم،فهو يعلم أيضا ما نعمله نحن البشر.

ثم تستعرض الآيات بعض مشاهد يوم القيامه،و تشير إلى جزاء المحسنين الذين يؤمنهم اللّه من فزع ذلك اليوم-الذى لا يستثنى أحدا غيرهم-أما الكفّار فإنّهم يلقون على وجوههم فى جهنم خالدين.

و يخبرهم الرسول صلى الله عليه و آله بأنّ اللّه أمره بأن يعبده و هو ربّ مكه الذى حرّمها و له كلّ شىء،و أن يتلو القرآن(الذى كفاه هاديا)فمن اهتدى فلنفسه،و من ضلّ فعليها،و ليس الرسول صلى الله عليه و آله و كيلا عنه،إنّما هو نذير،و الحمد للّه أبدا.

ص:٢٣٩

و يختم السوره بإنذارهم بالآيات التى سيريهم،و يبدو أنّها آيات العذاب.

بينات من الآيات:

[۸۲] وَ إِذٰا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أى انتهى أجلهم،و صار يوم الجزاء.

أَخْرَجْنٰا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النّٰاسَ كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا لاٰ يُوقِنُونَ و لأنّهم لم يؤمنوا تمّ القضاء عليهم قضاء مبرما،و هذا هو بيان المحكمه الإلهيه الذى تقرأه الدابه.

و لقد أختلف المفسرون فى معنى الدابه على قولين:

الأوّل:إنّ الدابّه التى تكلّم الناس حيوان يختلف عن سائر الدواب،كأن يكون رأسها رأس فيل،و جسدها جسد وحيد القرن.

الثانى:إنّ الدابه إنسان،فكل ما يدبّ على الأرض يسمى دابّه فى اللغه، و كلامها مع الناس يؤكد هذا المعنى،إذ لا يتكلّم من الدوابّ غير الإنسان،و قد أكد اللّه سبحانه فى كتابه هذا المعنى فى موضعين،إذ قال-عز من قائل-: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّٰهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاٰ يَعْقِلُونَ» و قال تعالى: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّٰهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ (۱)

و نقل بعض المفسرين روايه مأثوره عن عمار بن ياسر(رض): أن المراد بهذه الدابه هو الامام على عليه السلام الذى يخرجه اللّه حيّا من

۱- ۱) الأنفال/(۲۲-۵۵).

بعـد استشـهاده،فيقرأ على النـاس بيان انتهاء الـدنيا،و بـدايه عهـد الآخره،و أنّ وعـد اللّه حق،إلاّ أنّ أكثر الناس لا يؤمنون،إلاّ بعد فوات الأوان.

قال أبو بصير،قال أبو عبد اللّه عليه السلام :

«انتهى رسـول اللّـه صـلى الله عليـه و آله إلى أمير المـؤمنين عليه السـلام و هـو قـائم فى المسـجد،قـد جمـع رملاـ و وضـع رأسـه عليه،فحركه برجله،ثم قال:قم يا دابّه الأرض،فقال رجل من أصـحابه:يا رسول اللّه أ يسمّى بعضنا بعضا بهذا الاسم؟!فقال:لا و اللّه مـا هو إلاّـ له خـاصه،و هو الـدابه الـذى ذكره اللّه فى كتـابه،فقـال عزّ و جـلّ: وَ إِذٰا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنٰا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النّٰاسَ كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا لاٰ يُوقِنُونَ ثم قال:يا على إذا كان آخر الزمان أخرجك اللّه فى أحسن صوره،معك ميسم تسم به أعـداءك » (۱)و على هـذا فهـذه الآـيه تشـير إلى الرجعه،حيث تتظـافر أحـاديث آل البيت أنّ هنـاك قيـامه صـغرى قبـل القيامه الكبرى،و فى ذلك اليوم يبعث بعض المجرمين و بعض الصالحين،و على هذا فالآيه التاليه تشير أيضا الى هذا اليوم.

[۸۳]و إذا قامت القيامه الصـغرى حشر اللّه من كلّ أمّه فوجا من مجرميها، يخرجهم إلى الدنيا قبل غيرهم،ليشهدوا على أنفسهم،و يشاهدوا جرائمهم، و تكذيبهم بآيات اللّه.

وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيٰاتِنٰا فَهُمْ يُوزَعُونَ [۸۴]و هناك تجرى محاكمتهم:

ص:۲۴۱

۱- ۲) نور الثقلين ج(۴)ص(۹۸).

حَتّٰی إِذٰا جٰاؤُ قٰالَ أَ کَذَّبْتُمْ بِآیٰاتِی وَ لَمْ تُحِیطُوا بِهٰا عِلْماً أَمّٰا ذٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ من الأخطاء التی یقع فیها البشر،هو تکذیبهم بالحقائق لأنهم لم یحیطوا علما بجوانبها المختلفه،کالذی لا یؤمن بوجود منطقه فی العالم اسمها أمریکا اللاتینیه، لأنه لم یعرف تفاصیل الوضع هناک،هذا هو حال الکفّار الذین کذبوا بالآخره لعدم إحاطتهم بجوانبها المختلفه،و معنی الآیه:أکذبتم بآیاتی دون أن تحیطوا بها علما،أم کنتم تعملون عملا آخر غیر التکذیب؟!کلا..إنّکم کنتم مشغولین بالتکذیب حتی صار شغلکم الشاغل،و الآیه بهذا المعنی تتشابه و قوله سبحانه:

بَلْ کَذَّبُوا بِمٰا لَمْ یُحِیطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمّٰا یَأْتِهِمْ تَأْوِیلُهُ (1) [۸۵]و جری قضاء اللّه سبحانه فیهم بالعذاب بسبب ظلمهم،و لم یحتّجوا علی ذلک لعدم وجود حجه بالغه لهم.

وَ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَیْهِمْ بِمٰا ظَلَمُوا فَهُمْ لاٰ یَنْطِقُونَ إذ لا یجدون عذرا و لا منطقا یخلّصهم من المسؤولیه،لأنّ اللّه محیط بکلّ شیء، و له الحجه البالغه،حیث تشهد أیدیهم و جوارحهم علیهم،و إذا کان الإنسان یستطیع المراوغه و التکذیب فی محاکم الدنیا فهو لا یستطیع ذلک فی الآخره.

[۸۶]و من احتجاجات اللّه علیهم أنه یقول لهم:هل کانت الآیات و الدلالات علی الإیمان قلیله أو غامضه حتی کفرتم؟! أَ لَمْ یَرَوْا أَنّٰا جَعَلْنَا اللَّیْلَ لِیَسْکُنُوا فِیهِ وَ النَّهٰارَ مُبْصِراً

۱- ۳) یونس/(۳۹).

و كل ذلك من آثار حكمه اللّه التى تـدلّنا على الآخره،و تبعث فينا الإيمان بها لو كنّا نريـد الإيمان،فلو كانت الحياه كلّها ليلا أو العكس لاستحالت الحياه.

إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إنّ فى اختلاف الليـل و النهـار،و مـا يحملانه من تغيّرات هائله فى الطبيعه،و تـدبير تصـريفهما بتلك الدقه المتناهيه،إنّ فى ذلك علامات تشهد على الحقيقه،إلاّ أنّ القلوب القاسيه لا تستفيد منها شيئا.

[۸۷]و مع أنّ الآيـات واضـحه و تكفى دلالـه للإنسـان على الآخره و البعث،إلاّ أنّ أكثر النـاس يـأتى إيمـانهم متـأخرا حين تقع القيـامه،و هـل ينفع ذلـك الإيمـان إذا ضـيّعنا فرصه العمـل فى الـدنيا؟! وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ و يبقى المؤمنون مطمئنه قلوبهم،فلما ذا يخافون و قـد عملوا بمرضـاه اللّه،و استعدوا لهـذا اليوم؟!إنّهم على العكس من ذلك ينتظرون ساعه الجزاء،و دخول الجنه، و لقاء اللّه.

إِلاّٰ مَنْ شٰاءَ اللّٰهُ وَ كُلٌّ أَتَوْهُ دٰاخِرِينَ خاشعين،مطأطئين رؤوسهم.

[۸۸]لقد بيّن اللّه لنا آيه من واقع الليل و النهار تدلّنا على حكمته،و الآن يضـرب لنا من حركه الأرض آيه على أنّه خبير بما يعمله العباد.

و هذه من آيات القرآن الحكيم انه يبيّن لنا حركه الأرض من قبل أن يكتشفها

البشر،و ضرب مثلا رائعا لها حين شبّهها بحركه السحاب التى قد لا يحسّ بها البشر أيضا.

وَ تَرَى الْجِبٰالَ تَحْسَبُهٰا جٰامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحٰابِ فى حركتها،و لكننا لا نشعر بذلك.

صُنْعَ اللّٰهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ فهو يؤدّى وظيفته على أكمل وجه،و بلا أىّ خلل.

إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمٰا تَفْعَلُونَ [٨٩]الإتقان المتجلّى فى الخلق يدلّنا على حكمه الصانع،و أنّ للإنسان هدفا يحاسب عليه،فإمّا ينتهى إلى الجنه أو إلى النار.

مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهٰا وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ المؤمنون الذين تكون مجمل أعمالهم حسنه يحسّون بالاطمئنان يوم الفزع،و ذلك بسبب طاعتهم للّه-الذى تطمئن القلوب بذكره-و أوّل ما يخرج المؤمن من قبره يوم البعث يجد على يمينه و شماله ملكين يسلّمان عليه،و يفرغان السكينه فى روعه، كما أن اللّه يجعل للمؤمن نورا فى جبهته من نور أعماله الخيّره،يضىء له فى المحشر.

[٩٠]و فى المقابل نجد الكافر و المنافق يتخبّطان فى الظلمات فلا يبصران الطريق.

وَ مَنْ جٰاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النّٰارِ

ص:٢۴۴

و هذا المصير ليس بظلم من اللّه-حاشاه-بل هو نتيجه أعمالهم،لذلك يأتيهم النداء و هم يتجرعون العذاب مؤكدا على أنه جزاء عادل لأعمالهم.

هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [۹۱]ثم إنّ ربّنا سبحانه ذكرهم بالنعمه التى كانوا يرفلون فيها،و أنّه هو الذى أسبغها عليهم،و هى نعمه الأمن فى الحرم المكى،فقال:

إِنَّمٰا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هٰذِهِ الْبَلْدَهِ الَّذِی حَرَّمَهٰا و ليس الأصنام التى وضعت فيها.

وَ لَهُ كُلُّ شَیْءٍ فهو ليس ربّ البلده وحدها،بل ربّ كلّ شیء.

وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِینَ إنّ من علامات الرسول و آياته كما من أهم واجباته أنه يطبّق القيم التى جاء بها على نفسه،ثم يأمر الناس بذلك.

[۹۲]كما أنّ من مسئوليات الرسول تبليغ الرساله إلى الناس على أكمل وجه،أمّا ماذا يكون بعدها أ يهتدى الناس أو يتمادون فى الضلاله فذلك ليس من شأنه.

وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدىٰ فَإِنَّمٰا يَهْتَدِی لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمٰا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِینَ

[۹۳] وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ و حینما نحمده فإنّما نعکس نظرتنا إلی الحیاه بأنّها قائمه علی أساس الخیر، أمّا الشر فهو من أنفسنا،ذلک أنّ الحمد تنزیه للّه بأنّ خلقه کان حمیدا و صالحا.

سَیُرِیکُمْ آیٰاتِهِ فَتَعْرِفُونَهٰا آیات اللّه تتجلّی فی کلّ شیء من حولنا و فی أنفسنا،بینما أکثر الناس لا یرونها،و لکنّ اللّه سیعرّف الجاحدین آیاته الخارقه بحیث یرونها،و لکن یومئذ تنتهی فرصتهم،و تحین ساعه الجزاء.

وَ مٰا رَبُّکَ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ

ص:۲۴۶

سوره القصص

اشاره

ص:۲۴۷

الإطار العام

اشاره

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الاسم:

جاءت كلمه(القصص)اسما لهذه السوره التى احتوت على مجموعه متناثره من القصص القصيره ذات العبره المشتركه.

الإطار العام:

ظاهره حكم و باطنه علم،هكذا وصفت الروايات كتاب ربنا العزيز،و انک إذا نظرت الى ظاهر سوره القصص استفدت الكثير من الأحكام،و لكنها فى باطنها بصائر علميه تهدينا الى مجموعه متكامله من الحقائق،أبرزها:

ان ظاهر الدنيا غير واقعها،فهى تغرّ بزبرجها،و تضرّ بمخبرها،تبدو لناظرها ان الناس قادرون عليها،الا أنّ يد الغيب هى التى تحرک حوادثها بالنهايه،فعلينا- إذن-عدم الاطمئنان إليها،و على أصحاب الدعوه الاّ يخافوا من أولى القوه و الثروه من أهلها.

ص:۲۴۹

و لكى يهدينا السياق الى هذه الحقيقه،يفصل القول فى مسائل شتى تلتقى بالتالى و تلك الحقيقه:

أ-يبين السياق بتفصيل كيف تمتد يد الغيب لنصره أصحاب الرساله، و كيف تجرى الألطاف الخفيّه لربنا المقتدر الحوادث لتنتهى إلى الغايه المقدره.

فرعون علا فى الأرض،و استضعف طائفه من الناس.هذا ظاهر الحياه الدنيا، أمّا حقيقتها فهى إراده اللّه على وراثه المستضعفين،و التمكين لهم فى الأرض،و ان يذيق فرعون و هامان و جنودهما ما كانوا يحذرون منهم،و بأيدى المستضعفين أنفسهم.

لننظر كيف تتحقق هذه الإراده العليا؟ فرعون يقتل أولاد بنى إسرائيل الذكور،و لكن اللّه يأمر أمّ موسى بوضع وليدها فى التابوت،و قذفه فى النيل.

يتلقط زبانيه فرعون التابوت فيهّم بقتله،و لكن يد الغيب لا تدعه.إذ يوحى الى زوجه ان تمنعه من ذلك،لينمو عدوه و ماده حزنه فى بيته.

أم موسى تكاد تبوح بالسّر جزعا على وليدها،و اللّه يربط على قلبها.

ثم يبحثون له عن مرضعه من غير بنى إسرائيل،بيد ان اللّه يحرّم عليه المراضع حتى يرده إلى أمّه كى تقر عينها و لا تحزن.

يذيع الرجل سر القياده بعد مقتل القبطى،و القائد-بدوره-يشتبه(على قول) فى المبادره بقتل القبطى،فيطلب من اللّه ان يستره،فيفعل.

ص:٢٥٠

يتآمر فرعون و ملأه بقتله،فيبعث اللّه اليه رجلا مؤمنا ليخبره بذلك،و يهيئ له الرب أمر الهجره الى مدين،و يقدّر هناك من يستقبله.

هكذا يعلم حمله رسالات رب ان اللّه معهم،و ان هناك حوادث خفيه تجرى رغم الطغاه لمصلحه الرساليين فلا يهنوا و لا يحزنوا.

ب-و لا تعنى الألطاف الخفيه لربنا ان ينام الرساليون على حرير الامانى، بل عليهم ان يكونوا حذرين،و ان يتعالوا على الطغاه بذكاء أحدّ،و انضباط أشدّ، و تضحيات سخيه.كيف؟ يتلو علينا الرب فى سوره القصص-التى نسلتهم منها دروسا عظيمه فى أساليب الحركه الرساليه-قصه زوج فرعون،و مؤمن آله فرعون،اللذين كانا فى الظاهر فى السلطه،و يعملون فى الباطن لصالح الرساله،كما يبيّن كيف كانت الحركه حذره،حيث ان أخت موسى تابعت بحذر شديد تابوت أخيها،(و لعلها لصغر سنها أو لأنها امرأه بكر،لم تكن تثير انتباه أحد).

اما موسى عليه السلام فقد دخل المدينه على حين غفله من أهلها عملا بالتقاه،و أذاع غوىّ من بنى إسرائيل السر،و ورّط الحركه كلها،مما يحذرنا عن مثل ذلك،ثم يبين القرآن كيف كان موسى مترقّبا حين خروجه من المدينه،و كيف اختار مدين فى خطه مرنه،لأنه كان يدعو اللّه أبدا ليهديه سواء السبيل.

و نقرأ فى موضع آخر من السوره آيه(۵۴)ثناء القرآن على أهل الصبر و التقيه، و هم البقيه المؤمنه من أهل الكتاب،الذين اتسموا بصفات الصبر،و درء السيئه بالحسنه،و الإنفاق،و الإعراض عن لغو الجاهلين و جدلياتهم،و هذه الصفات هى برامج أصحاب الرساله فى عصر التقيه و العمل السرى.

و فی سیاق سوره القصص نقرأ عن أخلاقیات المهاجر فی سبیل اللّه،و فی طلیعتها الإحسان الی الناس،و الاحتفاظ بقیم الرساله بالرغم من مشاکل الهجره،و وفاؤه بالحقوق(لقد قضی موسی أبعد الأجلین)و تجذّره فی بلاد الهجره عبر الزواج.

ج-و سوره القصص ترکز-فیما یبدو-علی دور شخصیه القائد و صفاته، فبعد بیان إراده اللّه بإنقاذ المستضعفین نقرأ مباشره قصه ولاده موسی علیه السلام ثم ان موسی علیه السلام تتجلی شخصیته فی صوره قائد مغیّب،ثم یحضر فجأه فی میدان الصراع لینصر واحدا من شیعته،ثم تلاحقه أجهزه النظام فیها،و تبقی صفه الإحسان أبرز صفاته قبل ابتعاثه رسولا،و یؤکد السیاق انها وراء اصطفائه بالعلم و الحکم «وَ کَذٰلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ» و نجد ذلک عند ما یتجاوز ذاته،و کل علاقته بالدنیا عند ما یتلقی الوحی فی الجانب الغربی عند الشجره:

د-و فی الجهه المعاکسه تبرز شخصیته أمام الکفر(فرعون)و رمز المال الطاغی (قارون)و مثال البیوقراطیه الفاسده(هامان).

ه-و تذکر السوره بتواصل الوحی من موسی-علیه السلام-الی محمد- صلی اللّه علیه و آله و سلم-بهدف التذکره خصوصا لقوم ما أنذروا من قبل، و الرساله هذه التی تشابه رساله موسی علیه السلام حدث غیبی ینذر بها الرب القوم الضالین بین یدی عذاب شدید،و انهم انما یتبعون أهواءهم،لأنهم یطالبون دائما بآیات جدیده فیقولون مثلا:لماذا لا یأتی النبی بآیه شبیهه بما ظهرت علی ید موسی،مع أنهم کفروا بما أنزل علی موسی.

و بعد ان یبین السیاق صفات المؤمنین الصادقین من أهل الکتاب،الذین یسارعون الی الإیمان بالنبی،یبین شبهه أخری یتشبث بها الجاحدون،إذ یقولون:

نخشی ان نفقد لو آمنا السلام الذی ننعم به فی الحرم،و یردها الرب:

ص:۲۵۲

أولا:ان اللّه هو الذى وفّر هذا الأمن لهم.

ثانيا:ان البطر(الفرح بالأمن و الغرور به)أهلك قرونا سالفه،و لكن اللّه لم يهلكهم حتى بعث إليهم رسولا،يتلو عليهم آياته.

ثالثا:ان متاع الدنيا فى الآخره قليل،و ليسوا سواء من متاعه اللّه بالدنيا، و أحضره للحساب و العقاب يوم القيامه،و من وعده اللّه وعدا حسنا فهو لاقيه.

و-فى خواتيم سوره القصص يحذرنا الرب من الشرك به-أندادا-أولى سلطه كانوا أو ذوى ثروه،ففى يوم الحساب يحضرهم جميعا أئمه الغى و من اتبعوهم(و أشركوا باللّه بطاعتهم)فيتبرءون من بعضهم،و تعمى عليهم الأنباء،و لا يتساءلون،و يذكرنا الربّ بأن من يختار لنا القياده هو الرب،تعالى الرب عما يشركون.و بعد ان يذكرنا ربنا بهيمنته على الخليقه،و أنه لو أعدم ضياء النهار،أو اسكن الليل فما ذا كنا نعمل؟! بعد ذلك يعود السياق الى موضوع الشرك،و لكن هذه المره يعالج الشرك بأصحاب الثروه.ابتداء من قصه قارون الذى كان من قوم موسى فبغى عليهم، و انتهى به المطاف الى الهلاك،فخسف اللّه به و بداره الأرض،و ما قدر أحد على نصره.

و فى الدرسين الأخيرين يحدد اللّه الموقف السليم من السلطه و الثروه،و هو موقف التسامى عليها،ذلك لأن الدّار الآخره يجعلها اللّه للذين لا يريدون علوّا فى الأرض و لا فسادا،و العاقبه للمتقين.

و يرغبنا الذكر فى فعل الخيرات،لأن من جاء بالحسنه فله خير منها،بينما لا يجزى الذين يعملون السيئات إلّا ما كانوا يعملون.

ص:۲۵۳

و يبشر رسوله بالعوده الى معاده،و يبيّن ان الكتاب رحمه من الرب،و عليه أن يجاهد به الكفار،و يواجه ضغوطهم.

ص:۲۵۴

[سوره القصص (۲۸): الآيات ۱ الى ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . طسم (۱) تِلْکَ آيٰاتُ اَلْکِتٰابِ اَلْمُبِينِ (۲) نَتْلُوا عَلَيْکَ مِنْ نَبَإِ مُوسىٰ وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۳)
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاٰ فِي اَلْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهٰا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طٰائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنٰاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسٰاءَهُمْ إِنَّهُ کٰانَ مِنَ اَلْمُفْسِدِينَ (۴)
وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى اَلَّذِينَ اُسْتُضْعِفُوا فِي اَلْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ اَلْوٰارِثِينَ (۵) وَ نُمَکِّنَ لَهُمْ فِي اَلْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ
هٰامٰانَ وَ جُنُودَهُمٰا مِنْهُمْ مٰا کٰانُوا يَحْذَرُونَ (۶) وَ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ أُمِّ مُوسىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذٰا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اَلْيَمِّ وَ لاٰ تَخٰافِي وَ لاٰ
تَحْزَنِي إِنّٰا رَادُّوهُ إِلَيْکِ وَ جٰاعِلُوهُ مِنَ اَلْمُرْسَلِينَ (۷) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَکُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هٰامٰانَ وَ جُنُودَهُمٰا
کٰانُوا خٰاطِئِينَ (۸) وَ قٰالَتِ اِمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَکَ لاٰ تَقْتُلُوهُ عَسىٰ أَنْ يَنْفَعَنٰا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ (۹)

اللغه

۴[شيعا]:أى طوائف جمع شيعه و هى الطائفه التى تتبع مسلکا خاصا.

ص:۲۵۵

هدى من الآيات:

تـدور آيـات السوره كما يبـدو من فاتحتها حول السـلطات الفاسـده،و كيفيه القضاء عليها،كما تبحث موضوع الحركات الرساليه التى عن طريقها يبدل اللّه- سـبحانه و تعالى-حاكما ظالما بآخر عادل،و سـلطه فاسده بأخرى صالحه،و نسـتطيع أن نستوحى هذه الحقيقه و بصوره واضـحه من الصـراع الرسالى الذى قاده موسـى عليه السلام مع بنى إسرائيل ضد فرعون بجاهليته،و المستكبرين من ملئه.

و قبل كل شـىء يبيّن القرآن لنا أن للصـراع أداه إيديولوجيه،و عوامل ثقافيه،و ان أبرز أدوات الصـراع الرسالى الجاهلى،و أوسع قنواته،و أفضل عوامله المؤثره فى انتصار جبهه الحق هو القرآن الحكيم،لـذلك تبـدأ هذه السوره بإشاره مبينه الى القرآن ذاته، و بعدئـذ يبين القرآن أسـباب الصـراع،و لمـاذا ينهض الرساليون،و يفجرون الثورات ضـد السـلطات الجاهليه عبر التاريـخ؟ و يجيب القرآن بأن المسؤول الاول عن الصراع هو امام الجاهليه،و النظام الذى

يجسده،فلأنّ فرعون خرج عن سنه اللّه،و علا فی الأرض،و عاث فيها الفساد بشتى ألوانه و صوره،و استضعف طائفه من المجتمع فسلب حقوقهم،لذلک کلّه فإنه هو المسؤول عن الصراع و آثاره،و ليست الحرکه الرساليه.إذ لا يمکن للناس ان يسکتوا عن سلطه تضيع فی ظلها حقوقهم و حرياتهم،و الذی يزرع بذور الثوره بظلمه و فساده لا يحق له بعد ذلک ان يتهم الرساليين بالإرهاب و الشغب،و هکذا تبدأ السوره بالإشاره إلى سبب الصراع و هو فرعون.

ثم يمضی السياق يبيّن سنتين فی هذه الحياه:سنه يرعاها قضاء اللّه،و سنه يجريها قدره سبحانه،فقدر اللّه فی الحياه ان السلطه التی تتمسک بأسباب القوه، و الاستمرار الماديه و هی الإرهاب و الإغراء و التضليل فانها تبقی و تستمر،و لکن فوق هذه السنه سنه و قانون أعلى و هو قضاء اللّه،فالعداله الإلهيه تأبى ان تستمر سلطه جائره تعتمد على هذا الثالوث،فيأبى اللّه ذلک و هو العزيز الرحيم،الذی أجرى الأشياء بالحق،و خلقه کل شیء لحکمه و هدف.يا ترى هل يدع الناس و هم عياله يسحقون تحت أقدام الجبابره؟!کلا..

ان هناک اراده عليا يعبر عنها القرآن الحکيم فی هذه السوره بصوره واضحه حين يقول: «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ» و لکن کيف تتم هذه الاراده؟فهل إراده انتصار الحق على الباطل تتحقق بحرکه کونيه تنطلق من النجوم؟أو بإشاعه مرض قاتل فی صفوف المستکبرين؟ ربما يتحقق ذلک عن هذا الطريق،و لکن الأکثر أن إراده انتصار الحق على الباطل التی هی اراده اللّه لا تتحقق من خلال العوامل الغيبيه فقط،و إنما على أيدی المؤمنين أنفسهم،و قبلهم قيادتهم و أمامهم،لذلک نجد السياق القرآنی فور ما يحدثنا عن إراده اللّه العليا فی الإنتصار،يبين لنا أن هذه الإراده لا تتحقق إلاّ بتربيه قائد

رسالى فيقول: «وَ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ أَمِّ مُوسىٰ» .

حينما أراد ربّنا إنقاذ بنى إسرائيل من هيمنه فرعون خلق قائدا رساليّا،و رعاه منذ الطفوله،و تدرجت مراحل النصر بعد أن أمر اللّه أم موسى بأن اقذفيه فى اليم، ليحمله الماء الى ساحل قصر فرعون،فجعل اللّه تربيته هناك رغم إصرار فرعون على ذبح كلّ طفل ذكر،و هكذا تجرى سنن اللّه إلى أن يقضى اللّه على فرعون و نظامه.

ان موسى عليه السلام تجلّ كريم لإراده اللّه،و كان مركز تحقق القضاء الإلهى فى ذلك المجتمع،و إرادته لتحقيق العداله الإلهيه الغيبيه،و تؤكد هذه السوره كما الكثير من سور القرآن على ان هذا القضاء يتحقق بأمرين:أحدهما عمل الناس،و الآخر إراده اللّه،فمن جهه نجد موسى يقبض زمام المبادره ليتحول إلى إمام للثائرين ضد فرعون و جلاوزته، و يخوض الصراع ببنى إسرائيل و المؤمنين من حوله،و من جهه أخرى تحوطه العنايه الإلهيه و ترعاه،و يمكن لنا القول بأن سنه القدر يجريها اللّه سبحانه و تعالى،بينما يرعى سنه القضاء،و لكنها قد تجرى على أيدى الناس أنفسهم.

و هكذا جرى قضاء اللّه،بنصر موسى عليه السلام و من اتبعه بإحسان.

بينات من الآيات:

وَ نَجْعَلَهُمُ الْوٰارِثِينَ:

[۲-۱] طسم* تِلْكَ آيٰاتُ الْكِتٰابِ الْمُبِينِ ان هذه المقطعات اشاره الى القرآن،بل هى جوهره،و بتعبير أفضل هى الماده الأوليه التى يتألف منها القرآن الحكيم،و تكتب بها كلماته،و هى تحمل فى طياتها النور و الهدى،و هو رموز و إشارات يعرفها أولياء اللّه،و لعلها مفاتيح علوم

ص:۲۵۹

السوره.

[۳]و هذا الکتاب سوف یکون،أداه لنقل التجربه العظمی لکم أیها البشر، و لک أنت یا من تخوض صراع الحق ضد الباطل.

نَتْلُوا عَلَیْکَ مِنْ نَبَإِ مُوسیٰ وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ فالحیاه قائمه علی الحق،و یجری الحق علی کل اجزائها،و لکن من الذی یستفید من هذه القصص؟ انهم المؤمنون،فلو لم تکن استجابه للحق من قبل الناس،فإنهم لا یستفیدون من القرآن الکریم،حتی و لو قرءوه الف مره،أو حفظوا آیاته حروفا و کلمات.

اذن حتی تستفید من القرآن یجب ان تؤمن و تسلم له،و ما دام هذه القصص حقّا فلا یجد لها انعکاسا إلاّ فی قلوب المؤمنین الذین یملکون قابلیه فهم الحق.

[۴]ثم یبدأ القرآن بالحدیث عن فرعون رمز الفساد و الباطل:

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاٰ فِی الْأَرْضِ لقد استعلی فرعون و سیطر علی الناس،و لکن لم یستفد من السلطه فی خیر شعبه و لا نفسه،و فی آیه قرآنیه تأتی فی آخر هذه السوره یقول ربنا: «تِلْکَ الدّٰارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُهٰا لِلَّذِینَ لاٰ یُرِیدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لاٰ فَسٰاداً وَ الْعٰاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ» .

ان الذی یحب الرئاسه و السیطره،و یتحول الحکم عنده من وسیله إلی هدف، فإنّه ینشر الفساد،و کم من الجرائم وقعت فی التاریخ،و لا زالت علی مذبح حب الرئاسه.

و من طرائف التاريخ:ان الامام موسى الكاظم-عليه السّلام-دخل يوما على الرشيد،فأجلّه و احترمه بصوره أدهشت الجالسين حوله،و لما أراد الإمام أن يقوم من مجلسه،قام الرشيد و أقبل على الأمين و المأمون قال:يا محمد و يا إبراهيم!سيروا بين يدى عمكم،و سيدكم،و خذوا بركابه و سووا عليه ثيابه.

فاستغرب المأمون من أبيه هذا الصنيع، فسأله عن سبب هذا الاحترام و التقدير،فقال الرشيد:يا بنى انه صاحب الحق،فقال له المأمون:إذا كنت تعلم ذلك فرد عليه حقه،فنظر اليه والده و قال:الملك عقيم،و اللّه لو نازعتنى الذى انا فيه لأخذت الذى فيه عيناك.

و هذه صوره من التاريخ عن الإنسان حينما يضحى الحكم عنده هدفا،فهو يتشبث به حتى لو خالف العقل و الشرع فى وسائله للوصول اليه،و فرق كبير بين الذى يريد الحق و الآخر الذى يريد العلو و التسلط.

و فرعون كان يريد العلو،لذلك أفسد فى الأرض،و أعظم إفساده التمييز الطائفى،حيث جعل فريقا من الناس متسلطا على الفريق الاخر،و يبدو أن هذه طريقه كل نظام فاسد و هو تقسيم الناس إلى فريقين،فريق يحكم و فريق يستضعف،و قد يكون هذا التقسيم على أساس طائفى،أو عنصرى،أو حزبى أو غيرها،حيث تتعدد الصور و لا يختلف الجوهر،و هو صنع أداه للسلطه الفاسده يتحكم بها الطاغوت على الناس.

وَ جَعَلَ أَهْلَهٰا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طٰائِفَةً مِنْهُمْ إذا كانت الأمه متحده،فان الطاغوت لا يستطيع التسلطه عليها،لذلك سعى فرعون لتفريق بنى إسرائيل أحزابا،عملا بالقاعده الجهنميه(فرق تسد)التى هى

أداه السلاطين فى جرائمهم،إلاّ أنّ فرعون لم يكتف بالتفرقه وحدها، و انما أضاف لها سياسه أخرى هى الإرهاب.

يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ لو كان فرعون يذبح الأطفال الرضع الذين عاده ما تكون عواطف البشر مركزه فيهم.فى هذا البرعم الصغير،و فى هذه البراءه النقيه.

لكن الذى يريد السلطه،تتبلد مشاعره و يموت فيه الضمير.

وَ يَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ اى يبقيهن أحياء للخدمه فى البيوت.

إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ هذا هو الفساد و الذى يلخصه القرآن فى ثلاثه أمور:

١-التفرقه،و بالتالى تحطيم الكيان الاجتماعى الموحد.

٢-القضاء على النفوس البريئه.

٣-الاستثمار الطاقات البشريه بطريقه غير مشروعه.

و هذه سنه القدر،أن يأتى فرعون،و يستخدم هذه الوسائل المنكره فى تدعيم نظامه و هى:إفساد المجتمع بعدم وحدته،و الإخلال بالأمن،و تحطيم أسس الإقتصاد.

[۵] وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ

ص:۲۶۲

أَئِمَّةً ان يشافی بسبب الطبيب مريض أمر معروف،أما أن يدعی بأنه سوف يجعل هذا المريض الذی يرتجف من مرضه أقوی رجل فی العالم،فذلك أمر مستبعد، و القرآن يقول إن إراده اللّه لا ترفع عن المستضعفين استضعافهم و حسب،بل تجعلهم أئمه و قاده للبشر،و هذا هو الهدف الأسمی لحركه التاريخ.

انهم سوف يغنمون كلّ ما لدی المستكبرين من نعم،و رياش،و أمتعه.

وَ نَجْعَلَهُمُ الْوٰارِثِينَ [۶]و حينما يصل المستضعفون الی السلطه فإنّهم يتمكنون فی الأرض، و يثبتون سلطتهم،و ذلك حينما يقتلعون جذور الفساد،و ينبذون المستكبرين فی العراء كما فعل اللّه بفرعون و ملئه.

و من حقائق التاريخ:أن الأقباط الذين تحكمّوا فی بنی إسرائيل،ظلّوا محكومين إلی يومنا هذا،و لم ترجع السلطه مره أخری إليهم أبدا.

وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هٰامٰانَ وَ جُنُودَهُمٰا و سائر المستكبرين علی مر العصور.

مِنْهُمْ ای من المستضعفين.

مٰا كٰانُوا يَحْذَرُونَ

حینما یصل المستضعفون إلی السلطه فسیذیقون المستکبرین العذاب الشدید، و سیرون منهم کل ما کانوا یحذرونه.

إِنّٰا رَادُّوهُ إِلَیْکِ وَ جٰاعِلُوهُ مِنَ اَلْمُرْسَلِینَ:

[۷]و لکن کیف یتم ذلک؟ یتم عند ما یوجد إمام و قائد رسالی،یتحمل المسؤولیه،و یفجر الثوره فی الجماهیر،لننظر کیف أنبت اللّه شجره هذا القائد الکریم فی ارض صالحه.

وَ أَوْحَیْنٰا إِلیٰ أُمِّ مُوسیٰ أَنْ أَرْضِعِیهِ فَإِذٰا خِفْتِ عَلَیْهِ فَأَلْقِیهِ فِی اَلْیَمِّ وَ لاٰ تَخٰافِی وَ لاٰ تَحْزَنِی إِنّٰا رَادُّوهُ إِلَیْکِ وَ جٰاعِلُوهُ مِنَ اَلْمُرْسَلِینَ
لقد سبق الذکر بأن قضاء اللّه بغلبه المستضعفین،و اندحار المستکبرین یتحقق غیبیّا و بشریّا،أما غیبیا:فان اللّه لم یرسل رجلا من وزراء فرعون لیقوم بانقلاب عسکری،مع انه ممکن عند اللّه،بل أرسل طفلا من بنی إسرائیل،فی ظروف کان فرعون یذبح الأبناء فیها.و کیف أرسله؟ أوحی اللّه إلی أمّه أن تلقیه فی الیّم،لیتربی فی قصر فرعون،و انتهی هذا الأمر بانتصار بنی إسرائیل علی فرعون بسببه،و أساسا کلمه(موسی)فی اللغه العبریه تعنی ابن الماء و الشجر(فمو):تعنی الماء(و شی):تعنی الشجر.

ان هذا الولد الذی لا یملک شیئا هو الذی یحطم سلطه الطاغوت.

و أما بشریا:فاللّه لم یرسل الملائکه،و لا الریاح لتقضی علی فرعون،بل أرسل بشرا قائدا هو موسی علیه السلام .

[۸]و بالفعل استجابت أمّ موسى الى وحى اللّه،كما و ألقت بابنها فى اليم الذى حمله الى سواحل قصر فرعون.

فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ فى المستقبل:

عَدُوًّا ينهض ضدهم و يقود المعارضه،و إنما يكون عدوّا لهم لأنه يحمل قيم الحق التى تتناقض و نهجهم الباطل و المنحرف.

وَ حَزَناً يسبب لهم القلق الشديد،و سوف يأخذهم الأسف على قرارهم بعدم ذبحه، و هكذا نجد الأمور تسير كما يشاء اللّه-بإرادته-لا حسب ما يريد الفراعنه،فهم التقطوا موسى ليكون لهم ولدا،بينما أراد اللّه أن يجعله عدوّا،و أرادوه ان يدخل السرور على فرعون الذى ربما كان يقلقه عقمه،فجعله اللّه حزنا و مصدرا للقلق بالنسبه إليهم.

و نجد لهذه الإراده صورا هنا و هناك حينما نقلب صفحات التاريخ على الحقائق.

إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هٰامٰانَ وَ جُنُودَهُمٰا كٰانُوا خٰاطِئِينَ الظلم خطأ لا تقتصر آثاره على المحرومين و حسب،بل تطال الظالم نفسه.

[۹]فلقد أحضروا موسى إلى فرعون،فلما عرف انه من بنى إسرائيل-إذ

كانت ملامحهم واضحه-قال:خذوه و اقتلوه.

وَ قٰالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ الحق يتجسد مره فى امرأه هى أم موسى عليه السلام و مره أخرى فى امرأه فرعون(آسيه بنت مزاحم)حيث أصرّت على فرعون الاّ يقتله،و استجاب لها فعلا:

لاٰ تَقْتُلُوهُ عَسىٰ أَنْ يَنْفَعَنٰا عند ما يكبر.

أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً فقد كان فرعون عقيما،ليس له ولد.

وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ و لا يحسون بقدر اللّه و قضائه فى مستقبل هذا الطفل،الذى يريدونه ولدا لهم.

هم يخططون لهدف،بينما يجعله اللّه أماما يزيل سلطانهم على يديه،و أيدى المؤمنين تحت قيادته.

ص:۲۶۶

[سوره القصص (۲۸): الآيات ۱۰ الى ۱۷]

اشاره

وَ أَصْبَحَ فُؤٰادُ أُمِّ مُوسىٰ فٰارِغاً إِنْ كٰادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لاٰ أَنْ رَبَطْنٰا عَلىٰ قَلْبِهٰا لِتَكُونَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۱۰) وَ قٰالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ (۱۱) وَ حَرَّمْنٰا عَلَيْهِ اَلْمَرٰاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقٰالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ نٰاصِحُونَ (۱۲) فَرَدَدْنٰاهُ إِلىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهٰا وَ لاٰ تَحْزَنَ وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اَللّٰهِ حَقٌّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ (۱۳) وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوىٰ آتَيْنٰاهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي اَلْمُحْسِنِينَ (۱۴) وَ دَخَلَ اَلْمَدِينَةَ عَلىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهٰا فَوَجَدَ فِيهٰا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاٰنِ هٰذٰا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هٰذٰا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغٰاثَهُ اَلَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى اَلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسىٰ فَقَضىٰ عَلَيْهِ قٰالَ هٰذٰا مِنْ عَمَلِ اَلشَّيْطٰانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (۱۵) قٰالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ اَلْغَفُورُ اَلرَّحِيمُ (۱۶) قٰالَ رَبِّ بِمٰا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (۱۷)

اللغه

۱۵[وكزه]:الوكز الدفع و قيل اللكم بجمع الكف.

ص:۲۶۷

فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ

هدی من الآیات:

یـذکرنا هـذا الـدرس بجـانب مهم من سـیره الأنبیاء علیه السـلام حیث الصـراع المسـتمر بین الرساله الإلهیه و اتباعها من طرف،و الجـاهلیه المـادیه و مؤیـدیها من طرف آخر، و الـذی تحسـمه الإـراده الا ـلهیه لصالـح جبهه الحق،الا ـ أن ذلک لا یعنی ان الغیب یحرک مراحل الصـراع مباشـره،بل انه قـد یمضـی سـننه عبر إراده الإنسان و نشاطه، و من هـذا المنطلق یتعرض السیاق فی هـذه الآیات لدور الإنسان،المرأه و الرجل.

و الـدور الهـام الـذی قـامت به أم موسـی علیه السـلام یؤکـد دور المرأه فی الصـراع الرسـالی الجاهلی،کأم،و کزوجه،و کشـحنه عاطفیه،و هذه قضیه أساسیه و هامه.

فمن جهه نقرأ عمـا قـامت به أم موسـی فی تأسـیس هـذا الصـراع و انطلاقه،و ما قامت به أخته من تتبع مصـیره،و من جهه أخری تحدثنا الآیات عما قامت به زوجه فرعون من عمل حافظت به علی حیاه هذا القائد.إذ أشارت علی زوجها بالإبقاء

على موسى عليه السلام حيّا،و بالرغم من اختلاف الأدوار،إلّا أنها تلتقى فى نقطه واحده هى مساهمه المرأه فى الصراع.

و هـذه المسـاهمه لا تقتصـر على الأدوار الجانبيه،بل نجـدها فى صـميم المسؤوليات الخطيره،فأم موسـى عليه السـلام و ان كانت مؤمنه و ملتزمه بالأمر الإلهى إلا أنها كأم كانت لها عواطف الأمومه،فكيف تقبل ان تلقى بولدها-الذى عملت المسـتحيل حتى لا تصل اليه يد السـلطه-فى اليم لتبتلعه أمواجه الغاضـبه،خاصه و ان المرأه مهيأه نفسـيّا و جسديّا للاهتمام برضيعها بعد الولاده،فكل اهتماماتها الفطريه و جوانب تفكيرها مركزه نحو ذلك الوليد! و فى البين يذكرنا الذكر بأحد العوامل الأساسيه لانتصار الحركات الرساليه فى الصراع،و هو عامل الكتمان و السريه فى العمل الرسالى و الذى يبدو بعض الأحيان الأهم فى العمل،فلو أن أمّ موسى أبدت عواطفها و باحت بسرها،لتسببت فى القضاء على الحضاره التى أسسها وليدها المبارك،و لهذا

قال الامام الصادق عليه السلام :

«كتمـان سـرنا جهـاد فى سبيل اللّه » (1)ثم تـذكر الآيـات بـدور عامـل آخر فى الانتصار،و هو عامل البحث و التحقيق، و حسـب التعبير الحديث التجسـس،فالحركه الاسلاميه و ان كانت حركه إلهيه إلّا أن عليها التسلح بكل العوامل المشروعه التى تقرب إليها النصر،كعامل التجسس لمعرفه خطط النظام الفاسد و الواقع المحيط،ثم تستفيد من ذلك فى تحركها،و من هذا المنطلق أمرت أم موسـى عليه السـلام أخته ان تقص أثره،و تتعرف على مصـيره،فمشت خلفه حـتى رسـى على مقربه من قصـر فرعون،فـالتقطه آل فرعون،و اجتمعوا حوله

۱- ۱) بحار الأنوار/ج(۷۵)/ص(۷۰).

يتشاورون،و هنا تدخل الغيب لإنقاذ موسى عليه السلام و لكن بعد أن هيأت أمه الظروف المناسبه،و بذلت قصارى جهدها.إذ استجابت لنداء الوحى،و صبرت على فراق وليدها،كما أرسلت أخته خلفه،فأعاده اللّه إليها،و لكن كيف؟ لما حرم اللّه على موسى المراضع،و ألقى محبته فى قلبى فرعون و زوجه،و جعلهم يستجيبون لاقتراح أخته بان تدلهم على مرضعه يقبلها هى أمّه.

و فعلا-تحركت أخته لتخبر أمها بالأمر،و جاءت أم موسى عليه السلام صابره متجلده، و ملتزمه بكامل السريه،فارتضع موسى منها،و عاد إليها سالما كما وعد اللّه، و الدرس الذى نستفيده من هذا الحدث هو:ان الرساليين لو صبروا و التزموا بالمنهج السليم،الذى يرسمه لهم اللّه عبر آياته و وحيه،و هدى عقولهم فان اللّه سينصرهم كما وعد،و من أصدق من اللّه قيلا؟! و فى آخر الدرس نجد صوره من الصراع بين المستضعفين و المستكبرين.

بينات من الآيات:

فَرَدَدْناهُ إِلىٰ أُمِّهِ:

[۱۰] وَ أَصْبَحَ فُؤٰادُ أُمِّ مُوسىٰ فٰارِغاً أفرغته من كل اهتمام و انصب تفكيرها على مصير ولدها الصغير،و هكذا يكون الإنسان حينما يواجه مشكله أو أمر هام فى حياته،و يقال:فارغا اى مهموما و حزينا،و ربما فسرت الآيه «فَإِذٰا فَرَغْتَ فَانْصَبْ» اى إذا حزنت و غممت،و هذا التفسير يتناسب و موضوع سوره الإنشراح.

إِنْ كٰادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لاٰ أَنْ رَبَطْنٰا عَلىٰ قَلْبِهٰا

أی أعطیناها الصبر و المقدره علی کتمان السر.

لِتَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ و القرآن یبیّن فی هـذا المقطع من الآـیه أهمیه الکتمـان فی انتصار الثورات، و کیف أنه شـرط الإیمان.إذ لو أبدت أمّ موسی مشاعرها تجاه ولدها اذن لما کانت من المؤمنین.

و فی الحدیث عن الرسول صلی الله علیه و آله :

«استعینوا علی أمورکم بالصبر و الکتمان » [۱۱]و بعد أن القت أم موسـی علیه السلام بولیدها لم تترک الأمر هکذا تنتظر ولیدها حتی یعود إلیها،بل أمرت أخته أن تلحق بالتابوت،و لکن بسریه تامه.

وَ قٰالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّیهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لاٰ یَشْعُرُونَ حتی لا تکون العلاقات بینهما و بینه واضحه،فلا یقبل منها اقتراحها بأن تدلهم علی من یرضعه مثلا،لو عرفوا أنها أخته،و ربما یقتلونه.

[۱۲]و هکـذا عملت أم موسـی کل ما فی وسـعها،فکان ذلک تهیئه لتـدخل الإراده الإلهیه فی الأمر،أما لو کانت تنتظر کل شـیء یأتی من عنـد اللّه،دون أن تقوم هی بـدور معین،فلربما لم یرجع لها ولیدها،لأن سـنه اللّه فی الحیاه قائمه-فی التغییر-علی السـعی من جهه الإنسان نفسه اولا «إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یُغَیِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰی یُغَیِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ». (۱)

ص:۲۷۲

۱- ۲) الرعد/(۱۱).

وَ حَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ ناصِحُونَ و كلمه «يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ» تدل على أن أخت موسى حاولت جهدها أن تخفى علاقتها به أمام الآخرين، فلم تقل أنه أخوها،بل ملّكته فرعون بكلمه«لكم»كما نستفيد من الآيه الشريفه أهميه المتابعه للأعمال و القرارات الرساليه حتى لا تموت فى الأثناء،بل تظل يد الرساليين ترعاها.لحظه بلحظه إلى أن تصل الى نهايتها.

ان موسى الذى حرم اللّه عليه المراضع ربما كان يموت جوعا و عطشا لو لم تتدارك أخته الأمر بالمتابعه،و على أحسن الأحوال يصبح مصيره مجهولا عندهم.

[۱۳]فى آيه سابقه قال تعالى:

«وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي إِنّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» و فى هذه الآيه يقول:

فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ تطمئن،و يذهب عنها الخوف و الوجل.

وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ الآيه الاولى تبيّن أن هناك وعدا من قبل اللّه،أما الثانيه فهى تشير الى تحقق هذا الوعد و هنا نستفيد أمرين:

۱-صحيح ان اللّه يعد المؤمنين بالنصر و لكنه يطالبهم بالعمل لا ان يكون

وعده لهم مدعاه للكسل،و التوقف عن العطاء و السعی،بل منطلقا للسعی الحثیث و الجهاد.

ان أم موسی أعطت من جهدها المادی و المعنوی حتی تکون أهلا لوعد اللّه.

٢-حینما یعد اللّه بشیء ما یجب ان نطمئن الی وعده،فهو تعالی ان یخلف وعده،و لماذا یخلف وعده و هو القوی العزیز،الحکیم القاهر؟!فلا یعجزه شیء، و هو الصادق،و من أصدق من اللّه قیلا؟! لو کان الناس یعلمون بان وعد اللّه حق،و یتحسسون بأمل الانتصار لما تسلط علیهم الطغاه أمثال فرعون،لکن مشکلتنا هو ضعف اعتقادنا باللّه،فاذا بأحدنا یقول:و ماذا أستطیع ان أعمل،و أغیّر مقابل هذا الإرهاب،و النظام القائم،و أنا شخص واحد؟بلی..اللّه یؤیدک و یسدد خطاک.

ان الثقه بنصر اللّه،و التوکل علیه هو وقود الحرکه،و الذی یفقده یفقد کل شیء.

وَ کَذٰلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ:

[١۴]لقد عاد موسی کما وعد اللّه الی أمه،و ترعرع فی حجرها.

وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ صار بالغا من الناحیه الشرعیه بتکامله العضوی.

وَ اسْتَویٰ تکامل عقله.

ص:٢٧۴

آتَيْنٰاهُ حُكْماً وَ عِلْماً حيث صار نبيا،و ليس رسولا.

وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ليس هناك قرابه بين اللّه و موسى حين أعطاه النبوه، و انما استحقها موسى بعمله و إحسانه و كل إنسان يعمل من أجل الآخرين يجازيه اللّه خيرا،و هذه الحقيقه نجدها فى التاريخ و بالذات فى تاريخ الأنبياء،بل و فى حياتنا اليوميّه أيضا،كما أن أفضل ما يتعبد به الإنسان ربّه،و يستدر به رحمته هو الإحسان للناس.

و هذه الآيه نجدها فى أكثر من موضع من القرآن الحكيم،ففى سوره يوسف يقول تعالى: وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنٰاهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ و نحن يمكننا أن نجرب هذه الحقيقه:لنحسن الى الناس،ثم لننظر كيف يعاملنا اللّه.إن الصدقه تزيد فى العمر،و تدفع البلاء،و تزيد فى المال حتى لو كانت الصدقه هى إماطه الأذى عن الطريق،أو مساعده الأعمى و الطفل على عبور الشارع،إذ ليس شرطا ان تكون الصدقه مالا.

انّ اى خدمه يقوم بها الإنسان للآخرين يجد جزاءها سريعا فكيف إذا كرّس حياته من أجل خير الناس و صلاحهم.ان الأنبياء لا يفكرون فى مصالحهم الشخصيه فى الدنيا،و انما يفكرون فى خير الناس و مصلحه الرساله التى يحملونها،و نقرأ

فى سيره نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه و آله : أنه عند ما حضرته الوفاه،و جاءه ملك الموت ليقبض روحه سأل ملك الموت:و هل تلقى أمتى أذى فى مثل هذا الأمر فأجابه:بلى و لكن اللّه أمرنى ان اقبض روحك بأسهل ما يكون فيه قبض الروح،قال له رسول اللّه صلى الله عليه و آله :

«شدد عليّ و خفف على أمتى » و هذه سنه الأنبياء،كما يجب ان يكون هذا ديدن من يسير على خطّهم فى الحياه.

[۱۵]و من علامات إحسان موسى عليه السلام ان كان يبحث عن الخير،و لا يبالى بعدها بما يمكن أن يجرّه ذلك عليه من أذى إذا كان يرضى اللّه،لقد كان يبحث عن المحرومين حتى ينتصر لهم.

وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلىٰ حِينِ غَفْلَهٍ مِنْ أَهْلِهٰا و الذى يحمل قضيه رساليه حينما يدخل بلدا يسيطر عليها الطاغوت بالخصوص.

إذا كان يريد القيام بعمل كعمليه عسكريه،أو توزيع منشور،أو عمليه استطلاع و تجسس يجب ان لا يكون ساذجا بل حذرا نبها،و يختار الوقت الأنسب الذى يعينه فى إخفاء نفسه،و كتمان أمره،و ربما كان دخول موسى للمدينه ليلا أو فى أول الصبح،و ربما كان فى مناسبه انشغل بها أزلام النظام عن الوضع.

فَوَجَدَ فِيهٰا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاٰنِ هٰذٰا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هٰذٰا مِنْ عَدُوِّهِ بسبب ما قامت به الحركه الرساليه من أعمال سياسيه و ثقافيه،و ربما ميدانيه فى عمليّه الصراع بينها و بين فرعون حينذاك،استطاعت أن توجد فى المجتمع تيّار مناهضا للسلطه،بل و أكثر من ذلك أن ترفع مستوى الصراع بين تيّارها و التيار الآخر الى حد المواجهه المباشره،و من أهم مسئوليات و واجبات الحركه الرساليه حين تصعد بمستوى جماهيرها فى الصراع ان تسيطر على الساحه حتى لا يكون للصراع مردود سلبى على خططها و تحركها.

ص:۲۷۶

و يبدو من الآيه الكريمه:ان موسى عليه السلام منذ البدايه كوّن الحركه الرساليه، فكان له حزب و شيعه،حيث استطاع ان يجمع شمل بنى إسرائيل تحت لوائه، و يتصدى للنظام الطاغوتى.

و ربما يكون معنى يقتتلان يتضاربان،و لكن ظاهر الأمر يدلّ على أن أحدهما يريد قتل الآخر.

فَاسْتَغٰاثَهُ الَّذِی مِنْ شِیعَتِهِ عَلَی الَّذِی مِنْ عَدُوِّهِ و أمام هذه الإستغاثه وجد موسى عليه السلام نفسه مضطرّا للدفاع عن الذى من شيعته.

لهذا بادر لدفع ضرر القبطى.

فَوَكَزَهُ مُوسىٰ فَقَضىٰ عَلَيْهِ قٰالَ هٰذٰا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطٰانِ الفرد الرسالى يريد الخير لحركته و شيعته،و لكن لا يعنى ذلك أنه يريد الانتقام من الناس،و قد يصل الأمر أن يقوم الرساليون بحرب فدائيه و لكن عن اضطرار و ليس بهدف التخريب أو الإرهاب ذاته،بل لإزاله العوائق التى تعترض طريقهم.

لهذا قال موسى عليه السلام حينما وقع القبطى ميتا: «هٰذٰا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطٰانِ» .

يقصد بذلك العمل الذى دعا هذين(الاسرائيلى و القبطى)للاقتتال،و إذ ضربته فانما للدفاع عن المظلوم و المستضعف،و قد قال بعض المفسرين:ان سبب الاقتتال هو محاوله القبطى تسخير الإسرائيلى ليحتمل شيء بلا أجر.

و عند ما قتل موسى القبطى و لم يكن يريد قتله،بل ردعه قال:

إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ

[۱۶]لقد انتصر موسی علی عدوه الا أنّ ذلک لم یدعه للاغترار بهذا النصر،بل أراد أن یقتل الغرور الذی عاده ما یصیب المنتصرین،و ذلک عبر الاستغفار،و اتهام النفس بالتقصیر،و ربما لذلک أمر اللّه رسوله محمد صلی الله علیه و آله بالاستغفار بعد النصر.إذ قال: «إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اللّٰهِ وَ الْفَتْحُ* وَ رَأَیْتَ النّٰاسَ یَدْخُلُونَ فِی دِینِ اللّٰهِ أَفْوٰاجاً* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ کٰانَ تَوّٰاباً» .

و هنا نجد نبی اللّه موسی علیه السلام یستغفر اللّه بعد انتصاره علی عدو اللّه و عدوه.

قٰالَ رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی فَاغْفِرْ لِی فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ و جاء فی التفاسیر:ان موسی علیه السلام قد اخطأ فعلا بدخوله المدینه،حیث کان لا یزال فی طور الاختفاء،لأن فرعون کان قد علم بأنه یخالفه،و قد اجتمع الیه شیعته من بنی إسرائیل فهّم بقتله،فلما دخل المدینه علی حین غفله کان ذلک خطأ منه استغفر اللّه منه،و معنی المغفره هنا ان یستر علیه اللّه سبحانه.

و قد روی مثل هذا التفسیر عن الامام الرضا علیه السلام (۱)و نستوحی من هذا التفسیر مدی أهمیه الکتمان فی العمل الرسالی.

[۱۷]ثم عاهد اللّه ان لا یستخدم القوه و العلم و الحکمه التی وهبها الا من أجل الخیر و فی سبیل اللّه و الدفاع عن المستضعفین.

قٰالَ رَبِّ بِمٰا أَنْعَمْتَ عَلَیَّ فَلَنْ أَکُونَ ظَهِیراً لِلْمُجْرِمِینَ و کانت هذه الحادثه بالإضافه إلی مواقف أخری سبقتها،أدّت بموسی الی الهجره عن بلده،لتبدأ الحرکه الرسالیه مرحله جدیده من الصراع و الجهاد.

۱- ۳) راجع نور الثقلین ج(۴)ص(۱۱۹).

[سوره القصص (۲۸): الآيات ۱۸ الى ۲۴]

اشاره

فَأَصْبَحَ فِي اَلْمَدِينَهِ خائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا اَلَّذِي اِسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قالَ لَهُ مُوسى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (۱۸) فَلَمّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُما قالَ يا مُوسى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلاّ أَنْ تَكُونَ جَبّاراً فِي اَلْأَرْضِ وَ ما تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ اَلْمُصْلِحِينَ (۱۹) وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى اَلْمَدِينَهِ يَسْعى قالَ يا مُوسى إِنَّ اَلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ اَلنّاصِحِينَ (۲۰) فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ اَلْقَوْمِ اَلظّالِمِينَ (۲۱) وَ لَمّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ اَلسَّبِيلِ (۲۲) وَ لَمّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّهً مِنَ اَلنّاسِ يَسْقُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ اِمْرَأَتَيْنِ تَذُودانِ قالَ ما خَطْبُكُما قالَتا لا نَسْقِي حَتّى يُصْدِرَ اَلرِّعاءُ وَ أَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ (۲۳) فَسَقى لَهُما ثُمَّ تَوَلّى إِلَى اَلظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (۲۴)

اللغه

۲۱[يترقب]:الترقب الانتظار.

۲۳[تذودان]:ذاد بمعنی منع و تذودان أی تمنعان أغنامهما عن الورود علی الحوض.

[یصدر الرعاء]:من أصدر إذا رجع عن الماء ماشیته.

ص:۲۸۰

رَبِّ نَجِّنِی مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِینَ

هدی من الآیات:

تحـدثنا آیات هـذا الدرس عن صـفات القائد الرسالی الذی یصـنع الثوره،و یقاوم الجاهلیه المادیه بالرّساله الإلهیه،و موسـی علیه السـلام الـذی قرر ان لا ـ یکـون ظهیرا للمجرمین،بـل یکـون الی جـانب الحق-لم تکن حرکته نـابعه من عواطف مؤقته، و لا ـ من شهوات سـلبیه،أو ردود فعل مرتجله تجاه الأحـداث،و انما کان ینطلق من مبادئ ثابته،و یتحرک عبر مسـیره واضـحه المعالم،فهو یرید أن یحقق العداله فی المجتمع،بادئا بنفسه أولا.

فبعد أن قتل موسـی علیه السلام القبطی،صار مطلوبا عند السلطه،فکان ینبغی أن یکون حذرا فی مدینه تطالها سیطره فرعون،و قد أشار القرآن لهذا الأمر فی حدیثه عن موسی علیه السلام و هو یدخل المدینه تاره و یخرج منها تاره أخری،أو یمشی فیها فقال:

«وَ دَخَلَ الْمَدِینَهَ عَلیٰ حِینِ غَفْلَهٍ مِنْ أَهْلِها» «فَأَصْبَحَ فِی الْمَدِینَهِ خائِفاً یَتَرَقَّبُ» «فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً یَتَرَقَّبُ» .

ص:۲۸۱

و هكذا ينبغى للرسالى أن لا يأخذ الأمور بسذاجه عند ما يدخل بلاد الطغاه لأداء مهمه ما.ان موسى دخل المدينه،و خرج منها،و عاش فيها حذرا،و بالتالى مستعدّا و مخطّطا لتصرفاته فى شتى الظروف و الاحتمالات.

و بينما كان موسى يمشى فى المدينه،و فى هذه الظروف الصعبه،فإذا بالذى استغاثه بالأمس يستصرخه اليوم،يريد منه ان يعينه على رجل قبطى آخر،لكنه هذه المره تفجر غضبا على الإثنين،على الاسرائيلى باعتباره يورط الحركه الرساليه فى صراعات غير مخطط لها،قد تنعكس سلبيّا على خطط الحركه فى التغيير،و يبدو أن الرجل كان ممن تثيره عداواته الشخصيه،فتجره الى مواقف مرتجله هذا من جهه، و لكن ذلك لم يمنع موسى من نصرته فلقد هم بالبطش بالقبطى باعتباره ظالما من جهه أخرى.

ان خطأ الإسرائيلى الذى استحق عليه اللوم لا يكمن فى استراتيجيته،فهو مظلوم يتعرض للإهانه،و ربما للقتل و من حقه الدفاع عن نفسه و كرامته،انما يكمن خطأه فى أسلوبه،إذ فجر الصراع فى ظرف و وقت غير مناسبين،و هنا لا بد أن نعرف ان من أسباب فشل أيّ حركه هو اللاانضباط الذى من صوره و شواهده دخول أفراد الحركه فى صراعات غير مخططه و بعيده عن قرار القياده.

لهذا نهر موسى عليه السلام الاسرائيلى و قاله له:

«قاتلت رجلا بالأمس و تقاتل هذا اليوم لأؤدبنك،و أراد ان يبطش به،و هو من شيعته» (1)فزعم ان موسى عليه السلام يريد قتله،فاتهم النبى عليه السلام بأنه لا يصلح للقياده،و أنّ

ص:282

1- 1) نور الثقلين-ج(4)/ص(119).

هـدفه ليس إلا الإفساد فى الأرض،و التجبّر،و فى البين فضـح سـرّا من أسـرار الحركه حين أعلن أمام الناس،ان الـذى قتل القبطى بالأمس هو موسى عليه السلام فانتشر الخبر فى المجتمع،و قررت السلطه ان تنتقم منه عليه السلام و تجعله عبره للآخرين.

و يبدو ان الحركه الرساليه كانت ناضـجه،مما جعلها تخترق خاصه فرعون، و تتعرف على خطط السـلطه،و هذا من أسباب النجاح فى العمـل،إذ يمكّن الاختراق الحركات من اتخاذ خطط وقائيه و مضاده لخطط الحكومات،و كانت الخطوه الوقائيه لموسـى عليه السلام هو قرار الهجره فى سبيل اللّه.

و هكذا دخلت الحركه الرّساليه مرحله جديده،و أسـلوبا آخر فى العمل الرسالى، و الهجره مرحله أساسيه لدى الحركات الرساليه عبر التاريخ،و هى ذات معطيات هامه على مسـتوى الفرد و الحركه،فهى مثلا تزكّى الفرد من جهه و تحفظ القياده و التحرك من جهه أخرى.

و لم تكن الهجره بالنسـبه الى موسـى عليه السـلام تعنى الهروب من ساحه الصراع و العمل فى سبيل اللّه،بل كانت فرصه للإعداد الأفضل للصراع و العمل،حيث كان مستضعفا و محروما،فكان يبحث هنا و هناك عن مستضعف ليعينه،كما لم ينقطع عن التفكير فى جماهيره المغلوب على أمرها.

لهـذا نجـد القرآن أول مـا يحـدثنا عن موسـى عليه السـلام فى دار الهجره يشـير الى انه أول مـا قام به هناك هو خـدمه الناس،و الإحسان إليهم.انه لم يقل:يجب أولا ان انتصـر على الطاغوت،ثم أفكر بعـدها فى خـدمه المستضـعفين،كلا..فأنت أيّها المؤمن، و أنت فى مسـيره بنـاء الـدوله الاسـلاميه عليك ان تسـعى بما أتاك اللّه من قوه لخـدمه الناس،لأن ذلك يربى الإنسان،و ينمى فيه المواهب الخيّره،و بالتالى يجعله أهلا لتحمل المسؤوليه الرساليه.

و فی الآیه الأخیره نجد صوره نموذجیه لأسلوب الفرد المؤمن فی الدعاء.

بینات من الآیات:

فاذا الذی استنصره یستصرخه:

[۱۸] فَأَصْبَحَ فِی الْمَدِینَهِ خٰائِفاً یَتَرَقَّبُ لقد کان موسی علیه السلام مطلوبا عند السلطه باعتباره معارضا لها،فکیف و قد قتل شخصا منهم؟! ان الخوف الـذی تشیر له الآیه الکریمه هـو الخوف الإیجابی الـذی یـدعو صـاحبه للتفکیر فی العمـل ضـمن الظروف الصـعبه،لا الخوف السلبی الذی یدعو للتوقف عن التحرک و الخنوع،و فرق بین الأول الذی ینعکس علی أسلوب العمل،و الآخر الذی ینعکس علی ذات العمل.

ان موسـی علیه السـلام لم یتوقف لحظه عن الجهاد فی سبیل اللّه،و لکنه صار یتحرک بحـذر،و الترقب:من المراقبه،و توقع ردّات فعل السلطه.الأمر الذی یدعو للإعداد الوقائی لأیّه رده فعل من قبلها.

و عنـد مـا تـدخل الحرکه الرسـالیه فی ظروف العمـل السـری یتوجب علیها ان تحسب الف حساب لتحرکاتها،و ان تختار الوقت المناسب لتوجیه أیّه ضـربه للنظام،و أن لا تفجر الصـراع بشـکل شامل و معلن الا بعد نضـجها و نضج الساحه الجماهیریه،و ضمن خطه مدروسه آنفا،و إلاّ فإن مصیرها سیکون الفشل.

و مجموع هـذه الحسابـات هی التی دعت موسـی علیه السـلام للغضب علی الاسـرائیلی لمـا تقاتل مع القبطی الآخر،و لو لم یکن یستنجد بموسی،و بالتالی یکشفه أمام الناس،

ربما لم يتخذ منه هذا الموقف.

فَإِذَا الَّذِی اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ یَسْتَصْرِخُهُ و قد عبر القرآن عن المره الثانیه بالاستصراخ،و لم یقل یستنصره-کما کان فی حدیثه عن الأمس-و ربما ذلک لیبین ان موقف الإسرائیلی کان فاضحا،و لعل هذا کان مما دعا موسی علیه السلام للغضب علیه.

قٰالَ لَهُ مُوسیٰ إِنَّکَ لَغَوِیٌّ مُبِینٌ انک تعرف الطریق الصحیح،و انه من غیر المناسب تفجیر الصراع فی مثل هذه الظروف،و لکنک تتنکب عن الطریق بشکل بیّن و واضح،و ذلک ان موسی علیه السلام - کما یبدو-کان قد بین له فی المره الأولی الخطأ «قٰالَ هٰذٰا مِنْ عَمَلِ الشَّیْطٰانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِینٌ» (۱)لکنه خالف القیاده فاستحق العتاب بل التأدیب کما فی الروایه التی مر ذکرها.

و مع کل ذلک صمم موسی علیه السلام علی البطش بالقبطی،لأنه أخذ علی نفسه عهدا بان لا یکون ظهیرا للمجرمین.

[۱۹] فَلَمّٰا أَنْ أَرٰادَ أَنْ یَبْطِشَ بِالَّذِی هُوَ عَدُوٌّ لَهُمٰا هو و الاسرائیلی-بعد ان لام الذی من شیعته علی خطئه-و حیث ان کلمات موسی کانت قد أثّرت أثرها فی نفس الاسرائیلی،فأراد الثأر لنفسه:

قٰالَ یٰا مُوسیٰ أَ تُرِیدُ أَنْ تَقْتُلَنِی کَمٰا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِیدُ إِلاّٰ أَنْ تَکُونَ جَبّٰاراً فِی الْأَرْضِ وَ مٰا تُرِیدُ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْمُصْلِحِینَ

۱- ۲) القصص/(۱۵).

هكذا تبيّن ان الرجل كان غويّا مبينا،و ان صراعه مع الأقباط كان مجردا عن المضمون الرسالى.إذ بمجرد خشيته من غضبه قائده و منقذه انقلب عليه،و اتهمه بأنه يريد ان يتجبر فى الأرض-يتسلط على الناس بغير الحق-و ان ادعاءه بالسعى وراء الإصلاح ليس بصحيح،و لعله كان من نمط المارقين الذين خرجوا على الامام على- عليه السّلام-و هذا النمط من الثوريين هم المتطرّفون،المعجبون بأنفسهم،ضعاف الولاء لقيادتهم،و مهما يكن نمط هذا الشخص فقد أذاع سرّا هاما من أسرار الحركه.

و يلاحظ فى أحاديث أهل البيت عليه السلام أنهم اعتبروا إفشاء السر أو اذاعه الأمر- حسب التعبير الاسلامى-من أعظم المحرمات،

قال الامام الصادق عليه السلام :

«يا ابن النعمان!انى لأحدّث الرجل منكم بحديث فيتحدث به عنى، فاستحل بذلك لعنته و البراءه منه،يا ابن النعمان!إنّ المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هم أعظم وزرا،بل هو أعظم وزرا،بل هو أعظم وزرا » (۱)

قال عليه السلام :

«و اللّه ما الناصب لنا حربا بأشد علينا مؤنه من الناطق علينا بما نكره » (۲)

و قال عليه السلام :

«من أذاع علينا شيئا من أمرنا فهو كمن قتلنا عمدا و لم يقتلنا خطأ » (۳)و عند ما نقارن بين موقف موسى عليه السلام من الاسرائيلى فى المرتين،نجد التالى:

۱- ۳) بحار الأنوار ج(۷۸)/(۲۸۷).

۲- ۴) المصدر ج(۷۵)/ص(۷۴).

۳- ۵) المصدر/ص(۸۷).

۱-انه فی المره الاولی قتل القبطی،ثم بیّن له الخطأ: «فَوَكَزَهُ مُوسىٰ فَقَضىٰ عَلَيْهِ قٰالَ هٰذٰا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطٰانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ» أما فی المره الثانيه،فانه تكلم ضد الإسرائيلی أولا: «قٰالَ لَهُ مُوسىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ» ثم توجه للبطش بالقبطی:

«فَلَمّٰا أَنْ أَرٰادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِی هُوَ عَدُوٌّ لَهُمٰا...» و لعل ذلک ليبين لنا القرآن حقيقه طالما أكد عليها أئمه الهدی فی أحاديثهم و هی:ان الاسرائيلی فی المره الثانيه حيث خالف أمن الحركه كان أحق باللوم و التأديب،فموسی بدأ بالقبطی تلک المره لأن تأديبه هو الأهم،بينما بدأ بالاسرائيلی هذه المره لأن ردعه عن تصرفاته الخاطئه هذه أهم بالنسبه للحركه الرساليه من قتل القبطی.بل ان بعض الروايات قالت:ان موسی أراد ان يبطش بالإسرائيلی لا بالقبطی،

قال الامام الرضا عليه السلام فی تفسير الآيه:

«فَإِذَا الَّذِی اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ» علی آخر «قٰالَ لَهُ مُوسىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ» قاتلت رجلا بالأمس و تقاتل هذا اليوم لأؤدبنک و أراد ان يبطش به «فَلَمّٰا أَنْ أَرٰادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِی هُوَ عَدُوٌّ لَهُمٰا» و هو من شيعته «قٰالَ يٰا مُوسىٰ أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِی.. الآيه » (1)۲-فی المره الاولی قال القرآن عن لسان موسی و هو يخاطب الاسرائيلی لدخوله فی الصراع مع القبطی: «قٰالَ هٰذٰا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطٰانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ» و قد نسب العداوه و الضلال المبين للشيطان،بينما قال فی المره الثانيه: «قٰالَ لَهُ مُوسىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ» ناسبا الغوايه الواضحه و المتعمده للإسرائيلی،و بالمقارنه نصل الی هذه النتيجه:ان الاسرائيلی وقع فی حبائل الشيطان،و صار عدوا لموسی من حيث لا يشعر،و هكذا كل من يخالف أوامر قيادته الرساليه،لتصوراته و مواقفه الشخصيه.

۱- ۶) نور ج(۴)/ص(۱۱۹).

فَاخْرُجْ إِنِّی لَکَ مِنَ النّٰاصِحِینَ:

[۲۰]و کما ان عدم الانضباط من أسباب فشل الحرکات و ضعفها،فان اختراقها لأجهزه النظام من أسباب قوتها و نجاحها،و لربما کانت حرکه موسی تفشل لو لم تکن تملک نقطه القوه هذه،فربما کانت تنتهی لو قبض علی قائدها أو قتل.

وَ جٰاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَی الْمَدِینَهِ یَسْعیٰ

ورد فی الروایات:

...و بلغ فرعون خبر قتل موسی الرجل،فطلبه لیقتله،فبعث المؤمن الی موسی: «إِنَّ الْمَلَأَ یَأْتَمِرُونَ بِکَ لِیَقْتُلُوکَ فَاخْرُجْ إِنِّی لَکَ مِنَ النّٰاصِحِینَ» (۱)و هو الذی قال عنه تعالی فی موضع من القرآن: «وَ قٰالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ یَکْتُمُ إِیمٰانَهُ» لقد کان هذا الرجل یتظاهر بالکفر،و یخفی الایمان،و ذلک لینفع به حرکته الرسالیه،و أن یعیش الرجل بشخصیتین متناقضتین أمر صعب،و یحتاج إلی شخص بمستوی رفیع من التقوی و الجهاد و الاراده،فلا یذوب أمام اغراءات الدنیا فینقلب علی عقبیه،و لا یعجز عن أداء هذا الدور،و جاء فی بعض الروایات عن أصحاب الکهف:

قال الامام الصادق علیه السلام :

«إنّ أصحاب الکهف أسرّوا الإیمان و أظهروا الکفر،و کانوا علی إجهار الکفر أعظم أجرا منهم علی إسرار الإیمان » (۲)

ص:۲۸۸

۱- ۷) نور الثقلین/ج(۴)/ص(۱۲۰).

۲- ۸) وسائل الشیعه/ج(۱۱)/ص(۴۸۰).

و من طريف ما يحكى عن مؤمن آل فرعون و كتمان ايمانه و رساليته،و ايمانه بموسى عليه السلام

عن الامام الصادق عليه السلام انه قال:

و لقد كان لخربيل المؤمن مع قوم فرعون الّذين وشوا به الى فرعون مثل هذه التوريه.كان خربيل يدعوهم إلى توحيد اللّه و نبوّه موسى...و من البراءه من ربوبيّه فرعون،فوشى به الواشون إلى فرعون،و قالوا:إنّ خربيل يدعو إلى مخالفتك،و يعين أعداءك على مضادّتك،فقال لهم فرعون:ابن عميّ و خليفتي على ملكي و وليّ عهدي؟إن فعل ما قلتم فقد استحقّ العذاب على كفره لنعمتي،و إن كنتم عليه كاذبين قد استحققتم أشدّ العقاب لإيثاركم الدخول في مساءته،فجاء بخربيل و جاء بهم فكاشفوه و قالوا:أنت تكفر ربوبيّه فرعون الملك و تكفر نعماءه؟فقال خربيل:أيّها الملك هل جرّبت عليّ كذبا قطّ؟ قال:لا،قال:فسلهم من ربّهم؟قالوا:فرعون قال لهم:و من خالقكم؟قالوا:

فرعون هذا،قال:و من رازقكم،الكافل لمعايشكم،و الدافع عنكم مكارهكم؟ قالوا:فرعون هذا،قال خربيل:أيّها الملك فأشهدك و من حضرك أنّ ربّهم هو ربّي،و خالقهم هو خالقي،و رازقهم هو رازقي،و مصلح معايشهم هو مصلح معايشي،لا ربّ لي و لا خالق و لا رازق غير ربّهم و خالقهم و رازقهم،و أشهدك و من حضرك أنّ كلّ ربّ و خالق و رازق سوى ربّهم و خالقهم و رازقهم فأنا بريء منه و من ربوبيّته،و كافر بإلهيّته.

يقول خربيل هذا و هو يعني أنّ ربّهم هو اللّه ربّي،و لم يقل إنّ الّذي قالوا هم أنّه ربّهم هو ربّي،و خفي هذا المعنى على فرعون و من حضره و توهّموا أنّه يقول:فرعون ربّي و خالقي و رازقي،فقال لهم:يا رجال السوء و يا طلّاب الفساد في ملكي و مريدي الفتنه بيني و بين ابن عمّي و هو عضدي أنتم المستحقّون لعذابي لإرادتكم فساد أمري،و إهلاك ابن عمّي،و الفتّ في عضدي ثمّ أمر بالأوتاد فجعل في ساق كلّ واحد منهم وتد،و في صدره وتد،و أمر أصحاب

أمشاط الحديد فشقّوا بها لحمهم من أبدانهم، فذلك ما قال اللّه: «فَوَقَاهُ اللّهُ» يعنى خربيل «سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا» لما وشوا إلى فرعون ليهلكوه «وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ» و هم الّذين وشوا لخربيل إليه لمّا أوتد فيهم الأوتاد و مشط عن أبدانهم لحومهم بالأمشاط (۱)و قد تقتضى المصلحه أحيانا ان لا يعيش الفرد الرسالى مع المحرومين فى مكان واحد،بل يبحث له عن بيت سعيد،يميل إلى الرفاه من أجل إخفاء شخصه،و لكن لا ينبغى ان ينعكس ذلك على إيمانه و شخصيته الحقيقيه أبدا.

و الرسالى الذى يمارس هذا الدور يجب ان لا يظهر ارتباطه بالحركه أو القياده الرساليه حتى لا يفتضح أمره،و القرآن يعبر عن مجىء الرجل من أقصى المدينه بالسعى،و هو الإسراع،و قد جاء مسرعا و ذلك حتى يتدارك الأمر قبل ان يقع موسى فى يد السلطه من جهه،و حتى يسبق جلاوزه النظام للمكان،و بالتالى لا يرى و هو يؤدّى واجبه الرسالى،حيث لا يقول ربنا سبحانه:يركض أو يسرع.هذا من جهه،و من جهه أخرى لم تكن سرعته بالشكل الذى يلفت انتباه الآخرين،إذ من الخطأ عند ما يكون عند الفرد الرسالى أمر هام أن يظهر فى صوره غير عادّيه أمام الآخرين.

و هنا لا ننسى أيضا أثر الوقت فى كثير من المهامّ،فقد يستدعى الأمر أحيانا أن يرسل الواحد للآخر إشاره فقط،أو لا أقل يختصر الكلام ليكون الوقت فى صالحه بشرط ان يكون الاختصار نافعا.

قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ

۱- ۹) بحار الأنوار/ج(۷۵)/ص(۴۰۲).

بهذه العباره المختصره التی تتضمن الخبر و التحلیل اکتفی هذا الرجل.

[۲۱]کما ان موسی علیه السلام لم یفوت علی نفسه لحظه واحده،إذ کان یملک القرار الحازم،بالاضافه الی البصیره النافذه،و یعبّر عن مجموع هاتین الصفتین بسرعه البدیهه،و کم من المجاهدین وقعوا فی ید الأنظمه لأنهم لا بدیهه لهم،فتراهم عند ما یسمعون بأن شیئا غیر عادی یحوط بهم.تراهم یترددون فی اتخاذ القرار المناسب ربما لصعوبته علیهم،کقرار الاختفاء،أو الهجره،أو التصدی،فیقعون فی محذورات أکبر.

فَخَرَجَ مِنْهٰا خٰائِفاً یَتَرَقَّبُ قٰالَ رَبِّ نَجِّنِی مِنَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِینَ و کان یحمل معه فی هجرته زاد التوکل و هو أعظم زاد.

[۲۲]لقد کان موسی مهاجرا بالمعنی المعنوی،عند ما هجر سلوکیات المجتمع المنحرفه،أما الآن فانه بدأ الهجره العملیه بمضمونها المادی أیضا،و للهجره فی سبیل اللّٰه فوائد عظیمه.من أهمها تزکیه نفس الإنسان،فأول ما یقوم به المهاجر فی سبیل اللّٰه هو تزکیه نفسه.ذلک ان وعثاء السفر،و الغربه،و الابتعاد عن المجتمع الفاسد،و مواجهه التحدیات،و المشاکل الجدیده،و..و..کل هذه الأمور بوتقه لصیاغه شخصیه الإنسان باتجاه التکامل،و هکذا کانت الهجره تعنی بالنسبه لموسی علیه السلام فقد کان یبحث عن الهدی،و لم تکن هجرته للهروب عن المصاعب و المشاکل.کلا..فهو لا یزال یفکر فی قومه.

ان قسما من الناس حینما یهاجرون عن شعوبهم،و یجدون الرخاء و الأمن فی البلد الآخر،ینسون بلادهم و شعبهم، و کل الدموع و الدماء و المآسی التی لا یزال شعبهم یعانی منها،و هذا خطأ کبیر،و انحراف بالغ،لأنک حینما تهاجر فلکی

تکسب المزید من الوعی و القوه،فتعود لبلدک لتفجر الثوره.

و هکذا نجد موسی علیه السلام فی مسیره الی مدین یسأل اللّه سبحانه ان یهدیه سواء السبیل:

وَ لَمّٰا تَوَجَّهَ تِلْقٰاءَ مَدْیَنَ قٰالَ عَسیٰ رَبِّی أَنْ یَهْدِیَنِی سَوٰاءَ السَّبِیلِ و قد انطلق موسی-علیه السّلام-فی الصحراء وحده،و کانت قصه هجرته أروع ما عرفه التاریخ من هجرات البشر.دعنا نقرأ جانبا منها:

[۲۳]لقد هاجر علیه السلام الی مدین،و کانت مدین مدینه یکثر فیها الرعاه،و تحوطها الآبار.

وَ لَمّٰا وَرَدَ مٰاءَ مَدْیَنَ وَجَدَ عَلَیْهِ أُمَّهً مِنَ النّٰاسِ یَسْقُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ ای بعیدا عنهم.

اِمْرَأَتَیْنِ تَذُودٰانِ تمنعان اغنامهما عن الورود علی الحوض،لأنهما کرهتا الاختلاط مع الرجال، فکانتا تنتظران نهایه السقایه.

قٰالَ مٰا خَطْبُکُمٰا ما الأمر؟لماذا لا تسقیان؟و کان-علیه السّلام-یبحث عن مستضعف یعینه،و هکذا تکون حیاه الرسالیین أینما کانوا کلها فی خدمه الرساله و الناس،

ص:۲۹۲

و هم يبحثون عن أى فرصه للعمل الصالح دون ان ينتظروا من الناس ان يسألوهم العون.و قد قال القرآن فى حق عيسى عليه السلام : «وَ جَعَلَنِى مُبٰارَكاً أَيْنَ مٰا كُنْتُ» اى أينما حللت،فالمؤمنون مبارك مقدمهم على مجتمع فى دار الهجره.

و لعلنا نستفيد من قيام موسى بهذا العمل ضروره بناء علاقات اجتماعيه تثبت التحرك الرسالى فى مجتمع الهجره،كما يستفيد من خلالها فى خدمه قضيته.

قٰالَتٰا لاٰ نَسْقِى حَتّٰى يُصْدِرَ الرِّعٰاءُ وَ أَبُونٰا شَيْخٌ كَبِيرٌ لا يستطيع ان يسقى الأغنام،اما نحن ننتظر سائر الرعاه حتى ينتهوا فنسقى أغنامنا.

[۲۴] فَسَقىٰ لَهُمٰا اننا نجد قسما من الثائرين يسقطون خدمه الناس من حسابهم،بحجه ان العمل للقضيه أهم من كل شىء.

أما موسى فانه يرى خدمه المستضعفين من أهم أهدافه،لذلك سقى للامرأتين، و كان فتى قويّا،عركته صعوبات الحياه و تحدياتها،و قد سقى لهما بدلو لا يطيق حمله الا عشره رجال.

و الواقع:إن من أهمّ صفات الأنبياء الإحسان الى الناس،و بأمثال هذه الصفه اصطفاهم اللّه للرساله،فعند ما يتحدث القرآن عن اختيار اللّه للأنبياء كثيرا ما يقول: «وَ كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ» .

ثُمَّ تَوَلّٰى إِلَى الظِّلِّ فَقٰالَ رَبِّ إِنِّى لِمٰا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ

لقـد كان موسـى يتضور جوعا،و يعانى من الغربه،و لا يعرف الى اين ينتهى به الأمر،و لكنه لم يشك الى اللّه ذلك،بل ذكر نعمه السابقه،و قال اننى افتقر الى ذلك الخير.و هذا من أفضل أساليب الدعاء،إذ يتضمن كنايه أبلغ من التشبيه، و نظره ايجابيه.فبدل ان يقول أحـدنا:ان عينى تؤلمنى فشافهـا يا رب،ليقل ان عينى كانت سـليمه سابقا،و انى اليوم لفى حاجه لان أكون مثل الماضـى.إذ من آداب الدعاء أن يبدأه العبد بحمد اللّه،و الثناء عليه-كما فى الأحاديث-.

و أهميه هـذا الأدب المحافظه على الروح الايجابيه عنـد الإنسان الـذى يسـعى الشـيطان لإغوائه أبـدا عن نعم اللّه،و وضع نظارات سوداء على عينه كلما ألمت به مصيبه،أو فقد نعمه،حتى لا يرى سائر النعم الباقيه و هى بالتأكيد أكثر مما فقدها و من لا يرى نعم اللّه عليه لا يمكنه من الانتفاع بها.

و فى تفسير آخر للآيه:

ان أبا بصير قال: قلت لأبى عبد الله-عليه السّلام-:

هل للشكر حدّ إذا فعله العبد كان شاكرا؟قال:نعم،قلت:ما هو؟قال:

يحمـد اللّه على كـلّ نعمه عليه فى أهـل و مـال،و إن كـان فيما أنعم اللّه عليه فى ماله حقّ أدّاه،و منه قول اللّه عزّ و جل: «سُـبْحانَ الَّذِى سَـخَّرَ لَنا هـٰذا وَ ما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ» و منه قول اللّه عزّ و جل: «رَبِّ إِنِّى لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ...» و ربما ربط الامام عليه السـلام بين حـدود الشـكر و بين هـذه الآـيه ليبيّن حقيقه هـامه و هى:ان قول موسـى هـذا انمـا هو شـكر،لأـنه بعـد مـا سـقى الى الاـمرأتين،و تـولى الى الظلّ.قـال: «رَبِّ إِنِّى لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِـنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» لأـنى مـا عملته قليـل،و انـا محتـاج الى عمـل أكـثر و أكبر،حتى يرتفع رصيدى عندك.

ص:۲۹۴

[سوره القصص (۲۸): الآيات ۲۵ الى ۳۰]

اشاره

فَجٰاءَتْهُ إِحْدٰاهُمٰا تَمْشِي عَلَى اِسْتِحْيٰاءٍ قٰالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مٰا سَقَيْتَ لَنٰا فَلَمّٰا جٰاءَهُ وَ قَصَّ عَلَيْهِ اَلْقَصَصَ قٰالَ لاٰ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ اَلْقَوْمِ اَلظّٰالِمِينَ (۲۵) قٰالَتْ إِحْدٰاهُمٰا يٰا أَبَتِ اِسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اِسْتَأْجَرْتَ اَلْقَوِيُّ اَلْأَمِينُ (۲۶) قٰالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى اِبْنَتَيَّ هٰاتَيْنِ عَلىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمٰانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَ مٰا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شٰاءَ اَللّٰهُ مِنَ اَلصّٰالِحِينَ (۲۷) قٰالَ ذٰلِكَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ أَيَّمَا اَلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاٰ عُدْوٰانَ عَلَيَّ وَ اَللّٰهُ عَلىٰ مٰا نَقُولُ وَكِيلٌ (۲۸) فَلَمّٰا قَضىٰ مُوسَى اَلْأَجَلَ وَ سٰارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جٰانِبِ اَلطُّورِ نٰاراً قٰالَ لِأَهْلِهِ اُمْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نٰاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهٰا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ اَلنّٰارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (۲۹) فَلَمّٰا أَتٰاهٰا نُودِيَ مِنْ شٰاطِئِ اَلْوٰادِ اَلْأَيْمَنِ فِي اَلْبُقْعَةِ اَلْمُبٰارَكَةِ مِنَ اَلشَّجَرَةِ أَنْ يٰا مُوسىٰ إِنِّي أَنَا اَللّٰهُ رَبُّ اَلْعٰالَمِينَ (۳۰)

اللغه

۲۷[أشق عليك]أى أتعبك.

ص:۲۹۵

۲۹[جذوه]:القطعه الغليظه من الحطب فيها النار و جمعها جذى.

ص:۲۹۶

آنَسَ مِنْ جٰانِبِ الطُّورِ نٰاراً

هدی من الآیات:

الهجره مرحله ضروریه لکل الرسالات و الحرکات الرسالیه السائره علی خطأها عبر الزمن،فهی تنفع الإنسان تزکیه لنفسه،و بلوره لشخصیته،و استقامه علی الحق بما فیها من ساعات صعبه حبلی بالمشاکل و الألم،فالمهاجر یقتلع نفسه من مجتمعه، و یعیش غریبا،مجهول المصیر،و لعل تلک الساعه التی آوی فیها موسی الی ظل الشجره کانت من تلک الساعات،فهو الآن جائع و متعب من وعثاء السفر،فی بلد لا یعرف فیه أحدا،بالإضافه الی هموم شعبه المستضعف، و ربما کان خوف فرعون لا یزال یلاحقه،و لم یتخلص منه نهائیا إلا بعد أن أخبره شعیب بأنه قد نجی- فعلا-من القوم الظالمین.

أما الوجه الآخر للهجره،فهی رحمه اللّه التی ترعی المجاهدین،و فی هذه الآیات الکریمه نجد حدیثا عن أبواب الرحمه و البرکه التی فتحها الی نبیه موسی علیه السلام فقد

جاءته احدى الامرأتين اللتين سقى لهما،و هى تدعوه الى بيتهم حتى يجزيه أبوها أجر السقايه،و تتابعت عليه بركات الرب،حيث أضحى واحدا من هذا البيت بعد ان كان غريبا فى مدين،و مستقرّا بعد ان كان من دون مأوى،و نقرأ بين السطور دروسا إلهيّه مهمّه حول أخلاقيات المهاجر الرسالى.

و تتجلى الرحمه الإلهيه مره أخرى و بصوره أعظم حينما يرجع موسى بأهله الى وطنه و المشاكل تحوطه من كل جانب،فالليل حالك الظلمه،و البرد قارص، و زوجته حامل،و هم يسيرون فى مفازه شاسعه،دون معرفه بمعالم الطريق،و فى الأثناء تموت مواشيه،و هو لا يعرف إذا يصنع،و إذا بيد الغيب تمتد اليه لا لكى تستنقذ موسى فقط،و انما لكى تستنقذ معه بنى إسرائيل أيضا.

فى بادئ الأمر لما رأى موسى النار لم يكن فى خلده سوى الاستفاده من جذوتها للتدفئه،و ممن حولها الاهتداء الى الطريق،و لكن ما إن بلغها حتى سمع النداء:

«فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوٰادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً» و حينها انسلخ من كل الانتماءات الماديه، و نسى كل الهموم و الآلام،و توجه الى ربه بكل عقله و عواطفه، و هنا تتجلى عظمه الأنبياء،فاذا بموسى عليه السلام لا يخلع نعليه و حسب،بل يخلع كل انتماءات الأرض و التراب عن نفسه،و يأتيه الوحى من طور سيناء،دون ان يلتفت الى زوجته الحامل،و لا مواشيه التى هلكت و التى كانت حصيله عشر سنوات من العمل.

بينات من الآيات:

اخلاقيات المهاجر:

[۲۵]المهاجر باعتباره غريبا عن بلد الهجره،يجب ان يكون متساميا فى الأدب،لأنه لا يعرف البلد،و لا يعرف خصائصه الاجتماعيه،و ربما يوجد فيه من

يعتقد بأنه ثقيل الظل،فيحاول الضغط عليه،و من هنا يجب على المهاجر تفجير طاقاته المعنويه و الماديه ليستوعبه أهل المدينه،و أول عمل قام به موسى عليه السلام أنه أعان العائله الفقيره،و هكذا نجد حياه الأنبياء و الرساليين عبر التاريخ،فرسول اللّه صلى الله عليه و آله دخل المدينه مهاجرا من مكه،و دخلت معه البركات إليها بسبب نشاطه و قيمه الرساليه،و أول ما وصل إليها بنى مسجدا فيها و هو مسجد(قباء)و ردم الحفر و المستنقعات التى انتشرت حولها-حسب بعض التواريخ-و التى كانت باعثا على الأمراض،ثم إنه صلى الله عليه و آله لم يكن كلاّ على أهلها،بل كان يعمل بنفسه،و يكد من عرق جبينه،أو ربما دفع الامام على للقيام بهذا الدور،و مثل هذا السلوك يجعل المهاجر محبوبا فى المجتمع،و هذا ما حدث فعلا لموسى-عليه السّلام-إذ بعث اليه شعيب-عليه السّلام-لما أنبأته ابنتاه بأنه قوىّ أمين،و قد أحسن إليهما بالسقى لمواشيهما.

فَجٰاءَتْهُ إِحْدٰاهُمٰا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيٰاءٍ قٰالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مٰا سَقَيْتَ لَنٰا و هنا اشاره الى ان الأديان الإلهيه عموما لا تعارض دخول المرأه الى الواقع الاجتماعى،و تعاملها مع الآخرين،و لكن بشرط ان يكون تعاملها محاطا بالأدب و الحياء،فهذه ابنه شعيب و هو أحد الأنبياء بعثها أبوها فى أمر يجده ضروريّا،و حين لبّت كانت متسربله بالعفه و الحياء.

و استجاب موسى عليه السلام لهذه الدعوه لا ليأخذ أجر السقايه،و انما ليجد له موقعا فى هذا البلد الغريب.إذ ينبغى للمهاجر الرسالى ان يبنى شبكه من العلاقات الاجتماعيه بمختلف الأسباب المشروعه،و لمختلف الجهات فى المجتمع حتى يستفيد منها فى سبيل أهدافه الحق،و حينما مشى موسى مع امرأه غريبه مشى بأدب

و حشمه،فقد أمرها ان تسير خلفه و تدله على الطريق بحصاه ترميها يمينا أو يسارا، لأنه ربما يرى شكلها و هى تسير أمامه.

و فى الحديث:

«فقام موسى معها و مشت أمامه،فسفقتها الريّاح فبان عجزها،فقال لها موسى:تأخرى و دلينى على الطريق بحصاه تلقينها أمامى اتبعها،فانا من قوم لا ينظرون فى ادبار النساء » (١)فَلَمّا جاءَهُ وَ قَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ روى له ما جرى عليه فى بلاده التى يسيطر عليها فرعون و جلاوزته.

قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ و أول ما دخل عليه موسى أمر له بطعام،فرفض أن يأكله و هو جائع،فلما سأله شعيب عن السبب،قال نحن من أهل بيت لا نأخذ أجرا على خدمتنا للآخرين لأنه لوجه اللّه،و بقى مصرا على ذلك،حتى أوضح له شعيب ان هذا ما نقدمه لكل ضيف يحل علينا.

و يبين لنا هذا الموقف احدى صفات المهاجرين الرساليين و خلقياتهم،إذ يجب على المهاجر ان يحصّن نفسه ضد الذله،و يحافظ على قيمه التى جاء بها للمهاجر، فالكثير من المهاجرين،سواء كانوا عمّالا أو مجاهدين حينما ينتقلون الى بلاد الشرق أو الغرب تنمحى قيمهم من أذهانهم،و تنعكس على شخصيّاتهم قيم و سلوكيات مجتمع المهجر،لأن المجتمع قوىّ،و هم لا يجدون ما يحصنهم أمام تياراته،فيذوبون

١- ١) نور الثقلين/ج(۴)/ص(١٢٢).

فيه.

و على المهاجر ان يفكر فى الحفاظ على قيمه،و تحصين شخصيّته قبل التفكير فى توفير مأكله و مشربه،فقد رفض موسى عليه السلام ان يأكل الا بعد ما تأكد من ان هذا الطعام لا تستتبعه ذله و لا انتماء معينا.

[۲۶]قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ و هذا الاقتراح يكشف لنا عن أمرين:

الاول:إحساس المرأه بالحاجه الى رجل يقوم بمهام البيت،و ان ما يشبع طموح المرأه فى الرجل ان يكون قويا يجبر ضعفها،و أمينا تطمئن للعيش فى كنفه.هذا من الناحيه الخاصه-بالنظر الى المرأه كامرأه-أما من الناحيه العامه حيث الظروف المحيطه ببيت شعيب فهاتان الصفتان مهمتان،فمن الضرورى ان يكون قويّا حتى يؤدى المهام و الأعمال بشكل أفضل،و أمينا حفظا لعرض البيت.

قال الامام على عليه السلام :

«لما قالت المرأه هذا،قال شعيب عليه السلام :و ما علمك بأمانته و قوته؟قالت:أما قوته فانه رفع الحجر الذى لا يرفعه كذا بكذا،و أمّا أمانته فانه قال لى:امشى خلفى فأنا أكره أن تصيب الريح ثيابك،فتصف لى جسدك » (۱)الثانى:ربما يكشف هذا الاقتراح عن رغبتها فى الزواج منه،فقد ورد فى الروايات أن التى تزوّجها موسى هى صاحبه الاقتراح،بل و إنها هى التى أشارت

ص:۳۰۱

۱- ۲) المصدر/ص(۱۲۳).

علی أبیها بالزواج منه،و الذی یدل علی هذا الأمر الآیه اللاحقه،حیث یطرح فیها شعیب موضوع الزواج علی موسی علیه السلام لقاء عمله معه ثمان أو عشر سنوات،مما یدل علی وجود بحث مسبق،فی هذا الموضوع بینه و بین أبنته،و لا ریب انها کانت تعرف بأن أجور عمله هو الزواج.

[۲۷]و قبل شعیب باقتراح ابنته فاقبل علی موسی(علیه السّلام).

قٰالَ إِنِّی أُرِیدُ أَنْ أُنْکِحَکَ إِحْدَی ابْنَتَیَّ هٰاتَیْنِ و اشترط علیه العمل ثمانی سنین.

عَلیٰ أَنْ تَأْجُرَنِی ثَمٰانِیَ حِجَجٍ إلزاما،و خیّره فی سنتین إذا أراد هو.

فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِکَ باختیارک و أرادتک،و إحسانا منک.

وَ مٰا أُرِیدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَیْکَ سَتَجِدُنِی إِنْ شٰاءَ اللّٰهُ مِنَ الصّٰالِحِینَ [۲۸]فأجابه موسی:

قٰالَ ذٰلِکَ بَیْنِی وَ بَیْنَکَ أَیَّمَا الْأَجَلَیْنِ قَضَیْتُ فَلاٰ عُدْوٰانَ عَلَیَّ وَ اللّٰهُ عَلیٰ مٰا نَقُولُ وَکِیلٌ و بقی موسی علیه السلام یعمل عند شعیب علیه السلام و قد جعل اللّه ذلک کرامه لنبیه شعیب لما هو علیه من التقوی و الزهد.

قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله :

«بکی شعیب علیه السلام من حب اللّه عز و جل حتی عمی،فرد اللّه عز و جل علیه بصره،ثم بکی حتی عمی،فرد اللّه علیه بصره،ثم بکی حتی عمی فرد اللّه علیه بصره،فلما کانت الرابعه أوحی اللّه الیه:یا شعیب!الی متی یکون هذا أبدا منک؟إن یکن هذا خوفا من النار فقد أجرتک،و ان یکن شوقا الی الجنه فقد أبحتک، فقال:إلهی و سیّدی أنت تعلم أنی ما بکیت خوفا من نارک،و لا شوقا إلی جنتک،و لکن عقد حبک علی قلبی فلست أصبر أو أراک،فأوحی اللّه جل جلاله إلیه:أما إذا کان هذا هکذا فمن أجل هذا سأخدمک کلیمی موسی ابن عمران » (1)و هکذا کان حیث زوج شعیب ابنته لموسی لقاء العمل عنده لمده ثمان سنوات أو عشر،و علی هامش هذا الزواج هناک حقائق نشیر إلیها:

الاولی:من الممکن ان تختار المرأه الزوج المناسب لها،لأن الزواج قضیه مصیریّه،ذات أثر عمیق علی حیاه المرأه و مستقبلها،و لکن هذا الإختیار یجب ان یکون بطریقه لائقه،تتناسب مع حشمه المرأه،و القیم الإلهیه،فهذه بنت شعیب انما اختارت موسی لما وجدت فیه من الصفات و المؤهلات،من قوه و امانه،و التزام بمفاهیم الرساله،ثم عرضت اختیارها بأدب علی أبیها.

الثانیه:قبل ان یتقدم موسی علیه السلام بطلب الزواج،بادر شعیب الی ذلک،حیث وجده کفؤا،و وجد فی زواجه من ابنته ضمانا لمستقبلها،و سعاده لها فی الحیاه، و هذا خلاف ما نجده الآن فی المجتمعات التی صار فیها عرض الأب بناته للزواج ممن یجده أهلا لها عیبا کبیرا.

۱- ۳) المصدر/ص(۱۲۴).

الثالثه:ان البنت الصغری هی التی تزوجت و لیست الکبری.علی عکس بعض التقالید الخاطئه التی تری ضروره زواج الکبری أوّلا.

[۲۹]و بقی موسی عند نبی اللّه شعیب علیه السلام عشر سنوات،و هی أقصی الأجلین قبل ان یقرر العوده من جدید.

فَلَمّٰا قَضیٰ مُوسَی الْأَجَلَ وَ سٰارَ بِأَهْلِهِ و کان هذا إیذانا بدخول الحرکه الرسالیه مرحله جدیده،هی مرحله العوده للتحریر،و قد سبق أن أشرنا بأن الهجره عند الرسالیین لا-تعنی الهروب من الواقع و تحمل المسؤولیه،إنما تعنی الإعداد الأفضل لخوض الصراع الحاسم،و لا ریب ان موسی کان یفکر فی مستقبل شعبه،و یخطط للمعرکه القادمه و هو فی طریق العوده.

کان الوقت لیلا،و الفصل شتاء،و المسیر فی صحراء مترامیه الأطراف،و لم تکن هذه الطریق معهوده عند موسی،فضاع و ماتت مواشیه،فصار یلتمس عونا له علی هذه الظروف،و فی هذه الأثناء:

آنَسَ مِنْ جٰانِبِ الطُّورِ و هو الجبل.

نٰاراً قٰالَ لِأَهْلِهِ امْکُثُوا إِنِّی آنَسْتُ نٰاراً و آنس من الاستئناس،و بالفعل أعطت هذه الشعله شیئا من الأمل للنبی موسی و هو یعانی تلک الظروف القاسیه،فأمر أهله بالبقاء،حیث أبقاهم فی مکانهم ریثما یعود،و کانت أصعبها علیه الضیاع،و بقاء أهله فی البرد،کذلک قال:

ص:۳۰۴

لَعَلِّی آتِیکُمْ مِنْهٰا بِخَبَرٍ کان یتصور علیه السلام ان بجانب النار جماعه ما،یسألهم عن الطریق،و یعود لأهله بخبر مفید.

أَوْ جَذْوَهٍ مِنَ النّٰارِ لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ و الاصطلاء:هو التدفؤ.

[۳۰]کان هـذا أبعد ما ذهب الیه موسـی حینما رأی النار،و لکنه کان یحمل فی داخله همّا أکبر من ذلک کله،هم تحریر شـعبه و سوقه نحو توحید اللّه و عبادته، بعیدا عن العبودیات المزیفه،و لو وصل فی هذا المضـمار الی نتیجه لا بد انه کان ینسی کل شیء سوی ذلک الهم.

فَلَمّٰا أَتٰاهٰا نُودِیَ مِنْ شٰاطِئِ الْوٰادِ الْأَیْمَنِ فِی الْبُقْعَهِ الْمُبٰارَکَهِ مِنَ الشَّجَرَهِ أَنْ یٰا مُوسیٰ إِنِّی أَنَا اللّٰهُ رَبُّ الْعٰالَمِینَ و فی غمره هـذا القرب الالهی امره اللّه ان یقطع عنه کل علاقاته الأخری، و ینسی أهله و ضیاعه،و هلاک مواشیه،لأنه وجد ربه،و هنا التفاته مهمه تعنی المجاهدین أکثر من غیرهم و هی:ان علیهم الاطمئنان الی نصـر اللّه و عونه،و ان ذلک کله لا یتأتی لأحد إلاّ بعد السـعی و الجهاد: «وَ الَّذِینَ جٰاهَدُوا فِینٰا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنٰا وَ إِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِینَ» (۱)و ثمّه فکره نجدها فی تفسیر الامام الصادق علیه السلام لهذه الآیه.إذ

یقول:

ص:۳۰۵

۱- ۴) العنکبوت/(۶۹).

«کن لما لا ترجوا أرجی منک لما ترجو،فان موسی ابن عمران ذهب یقتبس نارا لأهله، فانصرف إلیهم و هو نبیّ مرسل » (۱)

ص:۳۰۶

۱- ۵) نور الثقلین ج(۴)/ص(۱۲۷).

[سوره القصص (٢٨): الآيات ٣١ الى ٣٧]

اشاره

وَ أَنْ أَلْقِ عَصٰاكَ فَلَمّٰا رَآهٰا تَهْتَزُّ كَأَنَّهٰا جَانٌّ وَلّٰى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ يٰا مُوسىٰ أَقْبِلْ وَ لاٰ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ اَلْآمِنِينَ (٣١) اُسْلُكْ يَدَكَ
فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضٰاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَ اُضْمُمْ إِلَيْكَ جَنٰاحَكَ مِنَ اَلرَّهْبِ فَذٰانِكَ بُرْهٰانٰانِ مِنْ رَبِّكَ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ إِنَّهُمْ
كٰانُوا قَوْماً فٰاسِقِينَ (٣٢) قٰالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخٰافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٣٣) وَ أَخِي هٰارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسٰاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي
رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخٰافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (٣۴) قٰالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُمٰا سُلْطٰاناً فَلاٰ يَصِلُونَ إِلَيْكُمٰا بِآيٰاتِنٰا أَنْتُمٰا وَ
مَنِ اِتَّبَعَكُمَا اَلْغٰالِبُونَ (٣۵) فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ مُوسىٰ بِآيٰاتِنٰا بَيِّنٰاتٍ قٰالُوا مٰا هٰذٰا إِلاّٰ سِحْرٌ مُفْتَرىً وَ مٰا سَمِعْنٰا بِهٰذٰا فِي آبٰائِنَا اَلْأَوَّلِينَ (٣۶) وَ
قٰالَ مُوسىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جٰاءَ بِالْهُدىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عٰاقِبَةُ اَلدّٰارِ إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ اَلظّٰالِمُونَ (٣٧)

اللغه

٣٢[أسلك]:أدخل.

[جناحك]:يدك.

[الرهب]:الخوف.

٣۴[ردء]:أى معينا.

ص:٣٠٧

بِآيٰاتِنٰا أَنْتُمٰا وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰالِبُونَ

هدى من الآيات:

لحظه الوحی هی لحظه حساسه فی تاریخ البشریه،لأنها لحظه الاتصال الخارق للعاده،بین رب السماء و الأرض عبر مشکاه طاهره تتجسد فی قلوب الرسل الذین یستقبلون الوحی،ثم یبلّغونه للناس دون زیاره أو نقصان،و هذه اللحظه لا تتکرر کثیرا فی حیاه البشر،إلا وفق حکمه اللّه البالغه،و قد تحققت لأمه بنی إسرائیل عند ما کلم اللّه نبیه موسی علیه السلام فی طور سیناء،کما تحققت للأمه الاسلامیه فی لیله القدر،حینما نزل القرآن کلّه علی قلب النبی محمد صلی الله علیه و آله و لعظمه هذه اللحظه کانت لیله القدر خیرا من الف شهر.

لقد کلّم اللّه نبیه موسی تکلیما،و لکنه أجلّ من ان یکون له لسان،انما یخلق الصوت خلقا و بذلک تغیرت صفحه الحیاه،و بدأت المسیره الحقیقیّه لبناء الأمه المؤمنه.

و لقد زود اللّه نبيه موسى عليه السلام بآيتين عظيمتين هما العصا،و يده التى تصير بيضاء حينما يضمها الى جيبه، ثم أمره بالتوجه إلى رأس الفساد و الانحراف فى المجتمع و هو الطاغوت،ذلك أنّ من خصائص الرسالات الإلهيه عبر التاريخ أنها شجاعه مقدامه،لهذا نجد موسى عليه السلام حينما يأمره اللّه بالتوجه إلى قلب الكفر يفعل ذلك و يترك العمل السرى دون ان يخشى من فرعون،و لماذا يهاب أحدا و قد اتصل بالوحى و بخالق الكون كله؟! و فى مقابل موسى يقف فرعون و هو تركيز لشتّى أنواع الفساد،إنسان ظالم، تحوطه الأهواء و الشهوات و الكبرياء المزيفه،و بالطبع لا يمكن أن يتخلّى عن ذلك كله فى لحظه واحده،و يتجه الى عباده اللّه،و يسلم لقياده رسوله،إلاّ أنّ موسى يبقى ثابتا أمام ذلك،واثقا من «إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ الظّٰالِمُونَ» و انهم مهما فعلوا،و مهما استمروا،و تشبثوا بأسباب القوه فان عاقبتهم الخسران.

ان العبر التى نستوحيها من هذا الدرس كثيره،و تنفعنا فى حياتنا و نحن ندعوا الى اللّه،و لكن أبرزها ان يعرف الفرد الرسالى بان النقطه المحوريه لتحركه هو تقربه من اللّه،فليدع و ليعمل و ليعارض و لكن انطلاقا من هذه النقطه و انتهاء إليها.

هل رأيت المحارب ينطلق من خندقه،ثم يعود اليه ليغير سلاحه،و يحكم خطته،ثم يهجم مره أخرى؟كذلك المؤمن يواجه السلبيات و المشاكل و التحديات،فيضعف سلاحه،و ينفذ زاده،و تتعب نفسه فيعود الى خندقه ليجبر ضعفه،و يحمل زاده،و يستعيد نشاطه،و لكنه اين هو خندق المؤمن؟انه المحراب يقف فيه للصلاه،و القرآن يستوحى منه خطط العمل و التحرك،و الصوم يشد به أزره،و التبتل يستفيد منه العزم و الإراده و الإصرار عبر اتصاله باللّه.

ص:۳۱۰

انّا لو فصلنا الحركه الرساليه عن الروحيات(الصلاه،و الصوم،تلاوه القرآن، الايمان بالغيب و..و)فانها تصبح كأيّه حركه ماديه أخرى لاـ قيمه لها،كما الإنسان لو أخذنا منه عقله،أو الحيوان نسلب روحه.انه يتحول الى كتله لحم تتعفن بمرور الأيام،فالحركه الرساليه يجب ان تكون من اللّه،و الى اللّه،و باللّه، و فى سبيل اللّه،و ليس من اللّه الى غيره،أو من غيره تعالى اليه.

و حينما تتخلى أمّـه عن الوحى تضحى كبنى إسرائيل كانوا حركه رساليه، فتحولوا الى حركه ماديه بحته أفرزت دويله إسرائيل(فلسطين اليوم)أما المسلمون فقد تقدموا لما اتصلوا بالرساله،و لما تركوا الرساله سلب منهم كل شيء.

بينات من الآيات:

اِذْهَبا إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغىٰ:

[۳۱]لقد زود ربنا سبحانه،نبيه موسى بآيتين عظيمتين هما أولاـ:العصا التى إذا ألقاها صارت حيّه تسعى،و إذا أخرج يده من جيبه،فإذا هى بيضاء للناظرين:

وَ أَنْ أَلْقِ عَصٰاكَ فَلَمّٰا رَآهٰا تَهْتَزُّ كَأَنَّهٰا جَانٌّ وَلّٰى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ لان موسى لا زال يحتفظ بخاصيته البشريه،فهو لا يزال و سيبقى بشرا،يملك من العواطف و المشاعر ما يملكه الآخرون،و هذا دليل على أن الأنبياء لا يتحولون بالوحى إلى آلهه،و أنّ الوحى ليس من عند أنفسهم،بل هو مسئوليه الهيه الى من يختاره اللّه.

و کثیرا ما یوحی اللّه الی أنبیائه لیقولوا هذه الحقیقه للناس صراحه،کما قال سبحانه: «قُلْ إِنَّمٰا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُکَمْ یُوحیٰ إِلَیَّ أَنَّمٰا إِلٰهُکُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ» . (۱)

لذلک ولّی موسی فرارا،و لم یلتفت خلفه لما رأی الجان و هو-کما یقول البعض-الحیّه الصغیره المتحرکه.

و لعل العصا صارت جانّا فی تلک المره،أما فی المرات التالیه فقد صارت ثعبانا مبینا.

یٰا مُوسیٰ أَقْبِلْ أنت الذی یراد لک ان تحمل رساله اللّه،یجب ان تکون مقداما لا تخاف.

وَ لاٰ تَخَفْ إِنَّکَ مِنَ الْآمِنِینَ فهذا هو أول الطریق،و أمامک صعوبات و مشاکل،فسکن قلب موسی من هذا النداء الربانی،و تشجع فأخذ الحیه فاذا هی عصا کما کانت.

[۳۲]و تواصل النداء الإلهی:

اُسْلُکْ یَدَکَ فِی جَیْبِکَ تَخْرُجْ بَیْضٰاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ فالبیاض لم یکن بسبب مرض البرص مثلا،و إنما کان آیه إلهیّه لموسی.

وَ اضْمُمْ إِلَیْکَ جَنٰاحَکَ مِنَ الرَّهْبِ فَذٰانِکَ بُرْهٰانٰانِ مِنْ رَبِّکَ إِلیٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ إِنَّهُمْ کٰانُوا قَوْماً فٰاسِقِینَ

۱- ۱) الکهف/(۱۱۰).

و الفسق هو الخروج عن الخط الصحيح نحو الانحراف.

[۳۳]هکذا جاءت الرساله تأمر موسی بمقاومه الانحراف و رأسه فرعون.

قٰالَ رَبِّ إِنِّی قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخٰافُ أَنْ یَقْتُلُونِ و ربما کان موسی یعنی ذلک القبطی الذی وکزه فقضی علیه.

[۳۴] وَ أَخِی هٰارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِسٰاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً یُصَدِّقُنِی إِنِّی أَخٰافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ و نستفید من هاتین الآیتین التالیتین أمران:

۱-ان خوف موسی علیه السلام لم یکن علی نفسه،فقد باعها برضوان ربه و الجنه، و لم یعد من مدین الا لیجاهد الطاغوت،و لکن خوفه کان علی الرساله،لأن قتله یعنی عدم وصولها إلی بنی إسرائیل،کما تکذیبه یعنی فشله فی تبلیغها أو لا أقل تأثیره علیهم بها.

۲ انه عند ما طرح هذه المشاکل أو العقبات التی تعترضه،لم یکن هدفه التبریر و التملص من تحمل المسؤولیه،و انما البحث عن الحل.

و هکذا ینبغی للإنسان الرسالی حینما یبعث الی مهمه ما،فی أیّ بلد ان یستعرض العقبات و المشاکل بحثا عن الحل لا التبریر.

[۳۵] قٰالَ سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِیکَ ای سنقوّی کیانک بهارون.

ص:۳۱۳

وَ نَجْعَلُ لَكُمٰا سُلْطٰاناً فَلاٰ يَصِلُونَ إِلَيْكُمٰا قد يقول البعض ان ذلك نبى اللّه،أما نحن فكيف يكون لنا هذا السلطان و نحن لا نملك عصا موسى عليه السلام ؟! بلى..و لكن اللّه يقول:

بِآيٰاتِنٰا أَنْتُمٰا وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰالِبُونَ ان الذى يلتزم بالرساله هو الذى ينتصر،و ما دام المسلمون يتبعون آيات اللّه فإنهم الغالبون،كما انتصر موسى و هارون و من اتبعهما من بنى إسرائيل،عند ما التزموا برساله موسى عليه السلام .

[۳۶] فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ مُوسىٰ بِآيٰاتِنٰا بَيِّنٰاتٍ لا تقبل التشكيك،و لا تشبه السحر.

قٰالُوا مٰا هٰذٰا إِلاّٰ سِحْرٌ مُفْتَرىً وَ مٰا سَمِعْنٰا بِهٰذٰا فِي آبٰائِنَا الْأَوَّلِينَ ان مشكله هؤلاء هى النفس البشريه التى تعوّدت على عادات معينه،و تريد الاستمرار عليها،و بالتالى ترفض كل جديد لأنه جديد،و فى مطلع سوره الشعراء نجد اشاره الى هذه الكلمه: «وَ مٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إِلاّٰ كٰانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ» . (۱)

[۳۷]و لكن امام هذا الاعراض ماذا كان موقف موسى عليه السلام ؟

ص:۳۱۴

۱- ۲) الشعراء/(۵).

ان الأنبياء و الأولياء،و كل من يسير فى خطّهم يتوكلون على اللّه،و يرجعون كل شيء إليه،فلا يقول أحدهم أنا،بل يقول:اللّه،فتراه كلما عرضت له مشكله أو مصيبه قال:لا حول و لا قوه إلّا باللّه العليّ العظيم. إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ .

انهم يجعلون اللّه شاهدا على الواقع.

وَ قالَ مُوسى رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدى مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَهُ الدّارِ ما دمت أيها الرسالى تعلم بأنك تعمل فى سبيل اللّه،و تعلم ان هذا السبيل ينتهى بك الى الجنه فما يضيرك من حديث الآخرين و من ضغوطهم.

إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ الفلاح هو الوصول الى الهدف،و الرساله هى الطريق اليه،و الظالم أو الفاسق الذى انحرف عن الرساله لا يفلح فى دنياه لأنه لا يملك الهدى لا فى دنياه و لا فى آخرته،لأن عاقبته ستكون النار.

ان الذى يصلح التربه،و يزرع الأرض-و هذا هو السبيل السليم-يحصد القمح فى نهايه الموسم،أما الذى يعيش على الاحتيال و السرقه-و هذا هو السبيل الخطأ-فانه لا يصل الى هدفه،فقد لا يقدر على السرقه،و إذا سرق قد لا يستطيع ان يبيع ما سرقه،و إذا باعه لن يتوفق بأمواله، و النتيجه انه بسبب من الأسباب لا يفلح فى هذه الحياه.

ان حقوق الآخرين حقائق واقعيه،لا يمكن تجاوزها دون جزاء،أو إزالتها من

خريطه الحياه بمجرد الادعاء بأنها غير موجوده،فلا يستطيع الجائع ان ينفى الجوع عن نفسه بمجرد إنكاره له،و الظالم لا يستطيع ان ينكر حق الفقير فى الشبع،فهو حق ثابت أجريت سنن الحياه على أساسه،فعقل الفقير و حاجته و تطلعاته،مضافا الى تركيبه الحياه،و سنن اللّه فيها سوف تجعل من ظلمه ماده لإدانه الظالم و هلاكه.

ص:۳۱۶

[سوره القصص (٢٨): الآيات ٣٨ الی ۴٢]

اشاره

وَ قٰالَ فِرْعَوْنُ يٰا أَيُّهَا اَلْمَلَأُ مٰا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِی فَأَوْقِدْ لِی يٰا هٰامٰانُ عَلَی اَلطِّينِ فَاجْعَلْ لِی صَرْحاً لَعَلِّی أَطَّلِعُ إِلیٰ إِلٰهِ مُوسیٰ وَ إِنِّی لَأَظُنُّهُ مِنَ اَلْكٰاذِبِينَ (٣٨) وَ اِسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِی اَلْأَرْضِ بِغَيْرِ اَلْحَقِّ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنٰا لاٰ يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنٰاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنٰاهُمْ فِی اَلْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ اَلظّٰالِمِينَ (۴٠) وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَی اَلنّٰارِ وَ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ لاٰ يُنْصَرُونَ (۴١) وَ أَتْبَعْنٰاهُمْ فِی هٰذِهِ اَلدُّنْيٰا لَعْنَةً وَ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ هُمْ مِنَ اَلْمَقْبُوحِينَ (۴٢)

اللغه

٣٨[صرحا]:الصرح هو القصر الواسع.

۴٠[نبذناهم]:النبذ هو الإلقاء و الطرح.

[اليم]:البحر و قد تطلق علی النهر الواسع.

۴٢[المقبوحين]:القبح الابعاد و قبّحه اللّه أی أبعده.

ص:٣١٧

إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ الظّٰالِمُونَ

هدى من الآيات:

انتهت آيات الدرس السابق بالحديث عن الظلم،و أنه يسبب الخسران لصاحبه،و فى هذه الآيات نجد مثالا واقعيّا على هذا الفكره القرآنيه التى تلخص سنه إلهيه فى الحياه،مستمده من قصه فرعون،حيث أغرقه اللّه و جنوده فى اليمّ.

ربما يستطيع الإنسان أن يغيّر سنّه الحياه لفتره من الزمن-بما أعطاه الرب من حريه فى ذلك-و لكن ليس للأبد،لأن طاقاته محدوده،بينما الحياه مستمره، و سننها تجريها إراده اللّه المطلقه.إن فرعون حكم الناس،و سيطر على البلاد و العباد،و تكبر حتى بلغ الأمر به أن ادّعى الألوهيه،و أعتقد بأنه قادر على مقاومه الحق،و أنّ الحياه لا يحكمها قانون،لكن الواقع كان خلاف ذلك،فقد اصطدم بالواقع،إذ تبين له ان فيها سننا،و ان هناك من يجرى هذه السنن.

ص:۳۱۸

بينات من الآيات:

أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى:

[۳۸]يبدو ان موسى عليه السلام صعق الملأ بكلامه،فاهتزت قناعاتهم بفرعون، و اضطره الى الدفاع عن خرافاته بأساليب جديده،حيث قال:

أولا:انه يريد مصلحه الملأ،و انه لم يجد إلها غيره يحققها،و تظاهر ثانيا:بأنه سوف يبحث عن ذلك الإله الذى يدعو اليه موسى.

وَ قالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِى فما دام هو لا يعلم من اله غيره،فالآخرين لا يعلمون أيضا،بل يجب أن لا يعلموا،و هو يقول:«لكم»لإيهامهم أنّه ينفعهم،و هو يخاطب الملأ،لأنه كان قد سلطهم على الناس،و أعطاهم امتيازات كثيره.

فَأَوْقِدْ لِى يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِى صَرْحاً قال:«لى»و ليس للشعب،أو من أجل القيم،و الصرح هو العرش أو القصر المرتفع،الذى كان قديما يبنى من الآجر،و هذا بدوره يصنع من الطين بعد تعريضه للنار،و ما هو هدفه من بناء هذا الصرح؟ لَعَلِّى أَطَّلِعُ إِلىٰ إِلٰهِ مُوسىٰ وَ إِنِّى لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكاذِبِينَ الهدف الأول:إظهار القوه،فلكما شعرت السلطات الفاسده،عبر التاريخ، بأنها ضعيفه،و انها سوف تنهار،سعت للبحث عن مظهر من مظاهر القوه،حتى و لو كان هذا المظهر هو بناء العمارات أو الجسور،التى تشملها عمليات ما يسمى

بالتحديث.

و لا ريب ان قسما من الناس السذج يعجبون بمثل هذه الأعمال،فيتصورون الطاغوت بقوتها و ضخامتها،و فرعون عند ما يبنى هذا الصرح أو تلك الأهرامات فلكى يغطى بها الاهتزاز الذى أصاب كيانه الجاهلى بسبب رساله موسى عليه السلام .

و اليوم نجد كثيرا من الانظمه الفاسده تكدس الأسلحه،و تعقد الصفقات الواحده بعد الاخرى لتتظاهر أمام شعبها بالقوه،و لعل الآيه توحى بنظريه فى علم الاجتماع تقول:ان التضخم المادى ينبأ بخلل داخلى يعانى منه المجتمع أو النظام السائد فيه،و كما المتكبر يستعلى عند ما يحس بعقده الضعه فى نفسه،كذلك المجتمع المغرور داخليا يهتم بمظاهر الأبهّه كبناء القصور الضخمه،أو المعابد الكبيره،أو ما أشبه لتأخير حاله الانهيار.

الهدف الثانى:الهاء الناس،و سدّ فراغهم بقضايا هامشيّه،فترى الحكومات عند ما تشعر بالفشل،و انها أقل من طموحات الشعب تشجع لعب الكره،و فى الارجنتين حينما حدث الانقلاب العسكرى،و خرجت الناس الى الشوارع مطالبه بالحكم المدنى استدعت الحكومه العسكريه الدوره العالميه لكره القدم،و من خطط ال(سى.آى.أ)التى عملت الانقلاب،ان جعلت الكأس للارجنتين.و كأنهم يريدون القول للشعب:إذا فشلنا فى بناء دوله ديمقراطيه حره،و اقتصاد وطنى،فقد جلبنا لكم كأس العالم.

ان الشعب الذى يكون أكبر طموحاته اللعب بالكره،و أفضل رموزه لاعبيها،لا يفكر فى الثوره على طواغيته.

أئمه النار:

[۳۹]و الطاغوت حينما ينبى القصور،أو يجمع المال و السلاح،يتصور أنه صار

ص:۳۲۰

عظیما،و هذا الشعور هو الذی یصنع بینه و بین الحقیقه حجابا.

وَ اسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ لم یکن العجز فی رساله موسی-حاشا للّه-فهی آیات بینات،و لکنهم أعرضوا عنها،و زعموا أنهم أولوا کبریاء،و لم یکونوا علی حقّ،و سبب الاستکبار هو عدم اعتقادهم بالبعث.

وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَیْنا لا یُرْجَعُونَ [۴۰]و کان جزاء هذا الاستکبار هو الاهانه،لکی یعرفوا أنفسهم علی حقیقتها.

فَأَخَذْنٰاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنٰاهُمْ فِی الْیَمِّ و هذه العاقبه،حذّر منها نبی اللّه موسی علیه السلام من أول یوم،و جاء علیها بالبراهین و الآیات،و کان ینبغی لفرعون و جنوده ان یعقلوها،و هذا هو الهدف السامی من نعمه العقل:ان یتعرف به الإنسان علی سنن اللّه،و عواقب الأمور،و یعمل علی هدی الوحی و العقل،لکن هؤلاء استکبروا علی الحقیقه.

فَانْظُرْ كَیْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الظّٰالِمِینَ لقد أکد نبی اللّه علیه السلام إِنَّهُ لاٰ یُفْلِحُ الظّٰالِمُونَ و جاء القرآن بالواقع العملی لهذه السنه الإلهیه من خلال قصّه فرعون و جنوده،حتی أن السیاق القرآنی و صفهم بالاستکبار و لیس بالظلم،إلا انه قال: «فَانْظُرْ كَیْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الظّٰالِمِینَ» حتی تجد أنت أیها القارئ الترابط بین الآیتین،و ان هذه شاهد علی تلک.

و ليست هذه الحقيقه بعيده عن واقعنا،فاللّه يقول:«فانظر»لكى لا تتصور أنت أيها الذى تقرأ القرآن،بأنك بعيد عن هذه السنن،أو أنها تختص بذلك الزمان،و هذه من مميزات الأسلوب القرآنى فى التربيه.إذ يشد الإنسان اليه، و يحمّله مسئوليه النظر،و التفكر،و البحث المنهجىّ.

[۴۱]و يؤكد القرآن الحقيقه الآنفه إذ يقول:

وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّٰارِ وَ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ لاٰ يُنْصَرُونَ المسأله اذن ليست مسأله شخص فرعون،بل هو خط فى الحياه،و فى آيه قرآنيه أخرى يقول تعالى: وَ جَعَلْنٰا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا لَمّٰا صَبَرُوا وَ كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا يُوقِنُونَ (۱) و ذلك حتى نعرف بأن فى الحياه خطين هما:خط الحق المتمثل فى رسالات الأنبياء و أئمه الهدى،و خط الباطل المتمثل فى الثقافه الجاهليه و الطواغيت،و انا الذى اقرأ القرآن أو الذى أعيش فى هذا العصر يمكننى أن أكون من الظالمين أو معهم، فيكون مصيرى كمصير فرعون و جنده،و يمكننى أن أكون مع المؤمنين و منهم،فتكون لى عاقبه الدار.

و هذه السلطات الفاسده اليوم هى الامتداد الفعلى لخط فرعون،بينما تمثل الحركات الرساليه و العلماء الربانيون الامتداد المبارك لخط الأنبياء عليه السلام .

[۴۲]و الطغاه ليس ينالون جزاءهم فى الآخره و حسب،بل يتحولون الى لعنه على ألسن الناس فى الدنيا،و يبعدون عن رحمه اللّه.

وَ أَتْبَعْنٰاهُمْ فِى هٰذِهِ الدُّنْيٰا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ

۱- ۱) الأنبياء/(۷۳).

انهم يحشـرون بوجوه قبيحه،لأـن الجزاء من جنس العمل،فهـذه الوجوه طالما دأبوا على تلميعها،و تجميلها عبر وسائل الاعلام فى الدنيا،فجزاهم اللّه بتقبيحها فى الآخره.

ص:۳۲۳

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۴۳ الی ۴۹]

اشاره

وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی اَلْکِتابَ مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَکْنَا اَلْقُرُونَ اَلْأُولیٰ بَصائِرَ لِلنّاسِ وَ هُدیً وَ رَحْمَهً لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ (۴۳) وَ ما کُنْتَ بِجانِبِ اَلْغَرْبِیِّ إِذْ قَضَیْنا إِلیٰ مُوسَی اَلْأَمْرَ وَ ما کُنْتَ مِنَ اَلشّاهِدِینَ (۴۴) وَ لٰکِنّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَیْهِمُ اَلْعُمُرُ وَ ما کُنْتَ ثاوِیاً فِی أَهْلِ مَدْیَنَ تَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِنا وَ لٰکِنّا کُنّا مُرْسِلِینَ (۴۵) وَ ما کُنْتَ بِجانِبِ اَلطُّورِ إِذْ نادَیْنا وَ لٰکِنْ رَحْمَهً مِنْ رَبِّکَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِیرٍ مِنْ قَبْلِکَ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ (۴۶) وَ لَوْ لاٰ أَنْ تُصِیبَهُمْ مُصِیبَهٌ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ فَیَقُولُوا رَبَّنا لَوْ لاٰ أَرْسَلْتَ إِلَیْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آیاتِکَ وَ نَکُونَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِینَ (۴۷) فَلَمّا جاءَهُمُ اَلْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا لَوْ لاٰ أُوتِیَ مِثْلَ ما أُوتِیَ مُوسیٰ أَ وَ لَمْ یَکْفُرُوا بِما أُوتِیَ مُوسیٰ مِنْ قَبْلُ قالُوا سِحْرانِ تَظاهَرا وَ قالُوا إِنّا بِکُلٍّ کافِرُونَ (۴۸) قُلْ فَأْتُوا بِکِتابٍ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ هُوَ أَهْدیٰ مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (۴۹)

اللغه

۴۴[بجانب الغربی]:أی فی جانب الجبل الغربی-(جبل طور) الواقع فی الغرب.

۴۵[ثاویا]:مقیما.

هدی من الآیات:

تؤکد هذه الآیات علی الجانب الغیبی للرسالات الإلهیه،فهی لیست قمه فی تکامل بشری تدریجی طبیعی کالشهاده التی یحصلها الطالب عند ما ینتهی من الجامعه مثلا،انما هی قضاء إلهی مفاجئ،یأتی لتصحیح مسیره البشر بصوره غیبیه.

و الرساله کما فی الآیه(۴۳)أداه لرؤیه الحقائق و توضیحها،و منهج لمعرفه العلوم،و هی فی نفس الوقت علم و معرفه و هدی،کما أن الرساله تأتی لإتمام الحجّه علی الناس لکی لا یقولوا غدا:لو لا أرسلت إلینا رسولا!فقد اقتضت حکمه اللّه أن یکون الإنسان حرّا فی حیاته،و یمنح فرصه الهدایه من قبل اللّه،و لم یشأ ربنا العزیز إکراه الناس علی الهدی بالرسل جبرا،فالهدایه ذاتها هی مسئولیتهم،کالذی یعطیک الکتاب و لا یمنحک العلم،و انما یوفر لک فرصته،و هکذا الرساله بالنسبه

للنـاس،و يوم القيـامه تكون الحجه البـالغه للّه علينـا،ثم ان السـياق يعتبر صـله بين عبر الأـمم الغابره،و سـنن الرسل السابقين،و بين رساله النبی محمد صلی الله علیه و آله .

بينات من الآيات:

كتاب موسى:

[۴۳] وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَکْنَا الْقُرُونَ الْأُولی فی هذا الشطر يلخص القرآن الدوره الحضاريه،فهی تبدأ برساله إلهيه و شـخص أو جيل رسالیّ،ثم تنتهی بثقافه جاهليه،و جيل منحرف ينـذره الرب،فإن لم ينتفع بالنّذر أهلكه،و لا ريب ان هذه الدوره ليست حتميّه،فلو قدّر ان تمسك الناس برسالات اللّه لما أهلكهم اللّه،كما قدر لقوم يونس ذلك.

ثم يقول ربنا عن الكتاب الذی أنزل مع موسى:

بَصائِرَ لِلنّاسِ وَ هُدیً وَ رَحْمَةً فی الوقت الذی تكون رسالات اللّه منهج للرؤيه(البصـيره)فانها بذاتها علم و معرفه توصل البشر الی الحقـائق،فمن جهه تعطی الإنسـان بصـيره فی الحياه تجاه الأشـياء و الاحـداث،لأنها تحتوی علی سـنن اللّه فی الحياه،و تحمل فی طياتها مقاييس و معايير تحدد له الرؤيه النظريه السـليمه،و من جهه أخری تحتوی علی العلم و الهدی اللذين يرسـمان له الموقف العملی الحقّ لو اتبعها.

و قد يكون الفرق بين العلم و الهدی:ان العلم هو مجرد اتصال الإنسان بالحقائق،اما الهدی فهو تفاعله معها،و انتفاعه منها،

و جاء فی الدعاء:

«و أعوذ بك من علم لا ينفع » (۱)يقصد به العلم الذی لا يعمل به.

و عند ما لا يعمل الإنسان بالعلم فإنه يضلّ و يجهل،بل و ينسى العلم نفسه،أما حين يعمل به فسوف تكون النتيجه هی السعاده و اللطف الإلهی(الرحمه)ماديّا و معنويا.

و السؤال ما هو هدف هذه الرساله التی تشتمل على البصائر،و الهدى، و الرحمه؟ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

و ماذا يتذكر الناس؟

يتذكرون ميثاقهم مع اللّه،فيعودون الى فطرتهم،لأن من خصائص الرساله انها ترفع الحجب عن قلب البشر،و نستوحی من هذه الآيه:أن العامل الأخير فی الهدى حركه الإنسان نفسه،فالبصائر و الهدى و الرحمه من عند اللّه،أما التذكر فهو مسئوليه الإنسان نفسه.

[۴۴]ثم يذكرنا السياق بان النبی لم يكن حاضرا الجهه الغربيه التی كان النبی موسى عليه السلام يسير إليها من مدين الى مصر،حين استقبل لأول مرّه الوحی الإلهی،و لم يكن هناك من الشاهدين ليصف تلك الحوادث هذا الوصف الدقيق الرائع،و لكن اللّه سبحانه أوحى بالقرآن يقص على بنی إسرائيل أكثر الذی كانوا فيه يختلفون،و هذا دليل صدق هذه الرساله.

۱- ۱) مفاتيح الجنان/تعقيب صلاه العصر.

وَ مٰا كُنْتَ بِجٰانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنٰا إِلىٰ مُوسَى الْأَمْرَ كلمتان فى القرآن إحداهما تبين الوضع الطبيعى و هى القدر،و الأخرى تبين الوضع الغيبى و هى القضاء،و الفرق أن القدر هو السنن التى أجراها اللّه تعالى فى الخلق،بلا تبديل و لا تحويل،أما القضاء فهو الأوامر الغيبيه التى تصدر من عنده الى الخليقه فتتجاوز الأقدار جميعا،فربما يكون قدر الإنسان ان يموت اليوم،فيدفع صدقه لفقير،أو يدعو اللّه،أو يصل رحمه،أو..أو..فيقضى اللّه ان يتأخر أجله ثلاثين سنه،و قد يكون قدره العيش ثلاثين سنه،فيظلم من لا يجد ناصرا غير اللّه، فيقضى اللّه بوفاته اليوم،و الرّساله الإلهيه نوع من القضاء.إذ ليست ثمه سنّه إلهيه لو عمل بها البشر لصار رسولا،فتحول موسى بن عمران عليه السلام الى رسول،أو محمد بن عبد اللّه صلى الله عليه و آله الى رسول ما جاء بدراسه فى الجامعه،أو قراءه فى الكتب، انما الرساله-و كما تقدم فى الهدى-هى قضاء إلهى،يحصل بموجبه الاتّصال بين الخلق و الخالق،عبر رساله و رسول يجعله اللّه خليفته فى الأرض جعلا-و لا ينفى هذا القول أن اللّه يختار رسله و أنبياءه على أساس صفات و مميزات فيهم.

و فى لحظه القضاء قد يتحقق ما لا يمكن تحقيقه عبر قرون،فالرسول صلى الله عليه و آله دخل الى غار حراء أميّا لا يعرف القراءه و لا الكتابه،و لكنه خرج منه يحمل رساله تقصر البشر عن بلوغ ذراها أبدا.

وَ مٰا كُنْتَ مِنَ الشّٰاهِدِينَ و لعل هذه الآيه تشير الى ان الحقائق التى رويت فى هذه القصه لم تكن واضحه عند أهل الكتاب أيضا،أو كانت مثار جدل عظيم سواء فى تفاصيل ما حدث أو فى تفسيرها.

ص:٣٢٩

[۴۵]ثم تبيّن الآيه ما يبـدو أنه إشاره الى الـدورات الحضاريه،حيث أن من عاده البشـر نسـيان رسالات ربه بعد تطاول القرون،مما يجعله محتاجا إلى بعث جديد برساله الهيه.

وَ لٰكِنّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ لقـد بقيت البشـريه تلفها الظلمات قرونا بعد قرون قبل ميلاد الرساله،حيث بدأت الهوّه بين الناس و رساله موسـى عليه السلام تتّسع شيئا فشيئا،حتى نبذوه وراء ظهورهم،و عشعش الجهل فى أوساطهم،لذا كانوا بحاجه الى رساله جديده، تبعث فيهم الوعى و توقظ الضمير.

وَ مٰا كُنْتَ ثٰاوِياً فِي أَهْلِ مَـدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِنٰا إلاّ أن عدم وجودك لا يعنى أنهم لم تصل إليهم الحجه،فالحياه قائمه على هذه السنّه الإلهيه.

وَ لٰكِنّا كُنّا مُرْسِلِينَ لقد أرسلنا إليهم شعيبا،كما أرسلنا رسولا الى العرب.

[۴۶] وَ مٰا كُنْتَ بِجٰانِبِ الطُّورِ إِذْ نٰادَيْنٰا وَ لٰكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لعل هـذه الآيه تؤكد على وحده الرّسالات الإلهيه من خلال وحده أهدافها، و بالتالى فإنّ الإيمان برساله موسى يستلزم الإيمان برساله الإسلام،و إذ يربط السياق القرآنى بين هاتين الرسالتين فذلك لأسباب منها:

۱-أنهما تشكلان خطّا واحدا فى الرسالات الاخيره للحياه، و رساله

عیسی علیه السلام إنّما کانت امتدادا لرساله موسی،و کان هدفه تصحیح مسیره الناس بعده،و لیست هی جدیده بحد ذاتها.

۲-لتشابه تفاصیل الرسالتین،و ان تلک الرساله کوّنت أمه فی حیاه نبیها، کما صنعت رساله الإسلام أمه أیضا.

و للرساله هدفان أساسیان:

أحدهما هدایه الناس،عن طریق التذکره قال تعالی:

لِتُنْذِرَ قَوْماً مٰا أَتٰاهُمْ مِنْ نَذِیرٍ مِنْ قَبْلِکَ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ فکما بعث اللّه موسی رحمه،کذلک یبعث محمد صلی الله علیه و آله رحمه،و فی الآیه حجه علی أولئک الذین آمنوا برسالات اللّه السابقه،و کفروا بالرساله الخاتمه مع وحده الملاک، فکما ان تلک جاءت رحمه من اللّه کذلک هذه،فلما ذا یؤمنون ببعض الکتاب و یکفرون ببعض؟! [۴۷]أما الهدف الآخر فهو اقامه الحجه علی الناس.

وَ لَوْ لاٰ أَنْ تُصِیبَهُمْ مُصِیبَهٌ بِمٰا قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ فَیَقُولُوا رَبَّنٰا لَوْ لاٰ أَرْسَلْتَ إِلَیْنٰا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آیٰاتِکَ وَ نَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ و فی الآیه اشاره الی ان الناس یعلمون بأهمیه الرساله الإلهیه حینما تتیه بهم المذاهب،و یجر علیهم ضلالهم الویلات و الإرهاق.

و لعل السیاق یشیر هنا إلی سنّه إلهیه هی:ان اللّه یصیب هؤلاء الجهله بمصائب دنیویه یحسون بها..من نقص فی الأنفس و الثمرات،و حروب داخلیه تطبخهم،

فیجأرون الی اللّه طالبین الخلاص،فلما یبعث اللّه فیهم الرسول لیخلصهم إذا هم به یکفرون،و لعلهم کانوا یریدون الخلاص بلا عمل یقومون به،أو تحمل لصعوبه الجهاد من أجله،و یذکرنا السیاق-علی هذا التفسیر-بقصه بنی إسرائیل حین طلبوا من نبیهم ملکا،فلما اختار اللّه لهم طالوت ملکا،کفروا به،لأنه لم یکن علی هداهم،و لم یؤت سعه من المال.

[۴۸]ثم یبین القرآن کیف أنهم یکفرون بالحق،لأنه یریدونه وفق أهوائهم و مقترحاتهم.

فَلَمّٰا جٰاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنٰا قٰالُوا لَوْ لاٰ أُوتِیَ مِثْلَ مٰا أُوتِیَ مُوسیٰ من المعاجز کالثعبان،و الید البیضاء،و السبب أنهم لم یکونوا ینظرون إلی جوهر الرّساله و إلاّ لوجدوها کرساله موسی علیه السلام فی أهدافها و خطّها العام،بل إنّ ما جاء به الرسول صلی الله علیه و آله هو أعظم من عصا موسی.أو لیست عصا موسی أیه الهیه؟ فکذا القرآن کله آیات.

و مع ذلک یؤکد القرآن ان المشکله لیست فی عدم وضوح الآیات القرآنیه بل فی نفسیاتهم السلبیه،المعانده للحق،و المصره علی الکفر.لهذا یتساءل القرآن:

أَ وَ لَمْ یَکْفُرُوا بِمٰا أُوتِیَ مُوسیٰ مِنْ قَبْلُ قٰالُوا سِحْرٰانِ تَظٰاهَرٰا وَ قٰالُوا إِنّٰا بِکُلٍّ کٰافِرُونَ و لا ریب ان الذین یخاطبهم القرآن فی هذه الآیه لیسوا هم الذین کانوا مع موسی ثم کفروا به،و لکن السیاق یقول أنهم کفروا بموسی علیه السلام و ربما ذلک لیبین لنا وحده المنهج و التفکیر الذی یوصل الی نفس النتیجه.

[۴۹] قُلْ فَأْتُوا بِكِتٰابٍ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ هُوَ أَهْدىٰ مِنْهُمٰا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ من مميزات منطق الرسل انه موضوعى و عقلانى للغايه،فالرسول على عظمته، وقد هداه اللّه الى الصراط المستقيم تراه لا يعاند،و لا يصرّ مستكبرا فى مقابل الدعوات الأخرى،إنما يقول:إذا كان لديكم كتاب هو أهدى من رسالتى فانى أتبّعه،و هو يعلم يقينا ان لا كتاب أهدى من كتاب اللّه،الذى أنزل على موسى و الذى أنزل عليه مكمّلا و مهيمنا.

ص:۳۳۳

[سوره القصص (۲۸): الآيات ۵۰ الی ۵۶]

اشاره

فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمٰا يَتَّبِعُونَ أَهْوٰاءَهُمْ وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اِتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يَهْدِي اَلْقَوْمَ اَلظّٰالِمِينَ
(۵۰) وَ لَقَدْ وَصَّلْنٰا لَهُمُ اَلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۵۱) اَلَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ اَلْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (۵۲) وَ إِذٰا يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ قٰالُوا آمَنّٰا
بِهِ إِنَّهُ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّنٰا إِنّٰا كُنّٰا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (۵۳) أُولٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمٰا صَبَرُوا وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ اَلسَّيِّئَةَ وَ مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ
يُنْفِقُونَ (۵۴) وَ إِذٰا سَمِعُوا اَللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قٰالُوا لَنٰا أَعْمٰالُنٰا وَ لَكُمْ أَعْمٰالُكُمْ سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ لاٰ نَبْتَغِي اَلْجٰاهِلِينَ (۵۵) إِنَّكَ لاٰ
تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (۵۶)

اللغه

۵۱[وصلنا]:أصل التوصل من وصل الحبال بعضها ببعض.

۵۴[يدرءون]:الدرء هو الدفع و يدرءون أی يدفعون.

۵۵[اللغو]:هو السفه من الناس و القبيح من القول.

ص:۳۳۴

وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوٰاهُ

هدی من الآیات:

کیف نمیز الحق عن الباطل،و الصواب عن الخطأ؟ هناک عده مقاییس تمکننا من ذلک،و من بینها:

أ-مقیاس النتائج:فالمقدمه الصحیحه لا تنتهی الی نتیجه خاطئه،کما ان المقدمه الخاطئه لا تنتهی الی نتیجه صحیحه،فالعمل الصالح کمقدمه یؤدی للحیاه الفاضله کنتیجه،و العکس تماما بالنسبه للعمل السیء.

ب-مقیاس الإجماع:المبادئ التی تجمع علیها عقول الناس المجرده عن العوامل الخارجیه لا تکون خطأ کالحریه،و العداله،و الصدق،و غیر ذلک من القیم التی یجب البحث عنها و تطبیقها،فهی إذن جیده بالإجماع،بینما تحترز عقول البشر عن الرذیله،و الظلم،و الکذب فی کل زمان و مکان.

ج-مقياس الوجدان:ان اى فكره تثبت فى ذهن الإنسان انما هى نتيجه لأحد شيئين:فاما تكون نتيجه للعقل و الوجدان،أو تكون نتيجه للجهل و الشهوه، و هذا أهم و أسهل من كل المقاييس الأخرى.

و القرآن فى هذه الآيات يعالج هذه الحقيقه،ففى البدء يقول اللّه:انكم أيها الناس إذا لم تتبعوا هذه الرساله،فابحثوا عما هو أفضل منها و اتبعوه،و لكنهم لو كانوا يريدون الهدايه لا- تبعوا الرساله لأنهم لا يجدون أفضل منها،و إذ يتركونها فلكى يتبعوا الهوى باعتبارهم يريدون التملص من مسئوليه التعهد و الالتزام بالحق.

فالإنسان اذن أما يتبع العقل أو يتبع الهوى و لا- ثالث،و لكن ما هو العقل؟و ما هو الهوى؟ العقل هو النور الذى يقر بنا الى الحقائق الخارجيه،و يجعلها هى المقياس،أما الهوى فهو القوه الداخليه التى تجرنا الى النفس،و مصدره حب الذات،فالعقل يوجهنا للناس،بينما الهوى يوجهنا لذواتنا.

و كثيرا ما يتميز الحق عن الباطل بوضوح أمام الإنسان،و لكنها قد يختلطان فلا يتميزان فى بعض الأحيان،لذلك

ورد فى الدعاء:

«اللهم أرنى الحقّ حقّا فأتبعه،و الباطل باطلا فاجتنبه،و لا تجعله علىّ متشابها فأتبع هواى » و من الناس من يهتدى للحق فى أعقد الأمور بلحظه تفكير،بينما نجد آخرين على العكس منهم،و السبب هو أن الفريق الأول يستفيد من عقله لذلك ينمو، بينما الفريق الثانى لا يستفيد منه فيخبو،و هذه سنه اللّه فى الحياه،

و قد قال أمير المؤمنين عليه السلام :

ص:۳۳۶

«لا تجعلوا علمكم جهلا،و يقينكم شكّا،إذا علمتم فاعملوا،و إذا تيقنتم فأقدموا » (۱)ثم يشير القرآن الى حقيقه هامه هى:ان قسما من الناس كانوا مسلمين قبل بزوغ فجر الإسلام،و هناك جماعه يسمّون بالحنفيين،لأنهم تركوا عباده الأصنام لعباده اللّه،مثل أبى ذر الغفارى(رض)و جعفر الطيار الذى قال للرسول:«اربع خصال لم أفعلها فى الجاهليه،ما سجدت لصنم قط،و لا كذبت،و لا زنيت،و لا شربت الخمر»و السبب ان الايمان و الفكر حالتان فى نفس البشر،فالذى اعتاد على الانقياد للحق و التسليم له لا يجد صعوبه للايمان بالرساله،و العمل بها،بينما يصعب ذلك على الآخر الذى اعتاد الانهيار أمام الشهوات و الأهواء،لذلك نجد فريقا من الناس بقى منافقا حتى بعد البعثه.

و فى نهايه الدرس يؤكّد القرآن أنّ على الإنسان الاّ ينتظر الهدايه تأتيه رغما على أنفه،بل يجب عليه ان يتحمل المسؤوليه بنفسه،و ليس الرسول سوى مبلغ للرساله.

بينات من الآيات:

[۵۰] فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمٰا يَتَّبِعُونَ أَهْوٰاءَهُمْ ذلك ان الرساله تلتقى مع الجانب الخيّر فى الإنسان و هو عقله،و بالتالى يكون الباعث على مخالفتها هو اتباع الهوى.

وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللّٰهِ الإنسان قاصر فى ذاته،فلا بد ان يعالج هذا النقص باتباع هدى ربه،واسع

۱- ۱) نهج البلاغه/ح(۲۷۴)/ص(۵۲۴)/صبحى الصالح.

العلم و القدره،و لو لم يفعل ذلک فلن یزداد الا بعدا عن الحقیقه.

إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یَهْدِی الْقَوْمَ الظّٰالِمِینَ الهدی سنه عظیمه لا یمنحها اللّٰه للظالمین الذین یعتدون علی حقوق الناس و حقوق اللّٰه،و من لم یجعل اللّٰه له نورا فماله من نور،و الظلم یکرّس حب الذات، و اتباع الهوی فی القلب،مما یشکل حجابا کثیفا عن الحقائق.

[۵۱]و مشکله الذین لم یستجیبوا للرساله،لیست فی غموضها أو قصور شواهدها،بل لأنهم لا یریدون الهدایه و لا التذکره،و الدلیل انهم کانوا یرفضون رسل اللّٰه و رسالاته.

وَ لَقَدْ وَصَّلْنٰا لَهُمُ الْقَوْلَ ای جعلنا أسباب الهدایه متصله لا تنقطع،و فی الروایات ان اللّٰه بعث مائه و اربع و عشرون ألف نبیا غیر الأوصیاء و الدعاه الی اللّٰه من أتباعهم.

لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ و لم تکن الرسالات الإلهیه شیئا غریبا بالنسبه للنفس البشریه،لأنها تتلاقی مع فطره الإنسان و عقله،اللذین أودع اللّٰه فیهما الحقائق،و ما الرساله فی غالبها الا وسیله لاستثاره الذاکره.

[۵۲]و أولئک الذین آمنوا بالکتب،و دربوا أنفسهم علی الانقیاد للحق لا یجدون حرجا فی التسلیم للرساله الجدیده.

اَلَّذِینَ آتَیْنٰاهُمُ الْکِتٰابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ

يعنى بالقرآن الحكيم.

يُؤْمِنُونَ و ذلك لأنهم يجدون هذا الكتاب فى جوهره مطابقا للرساله السابقه،و موافقا للعقل و الفطره،لان المؤمنين بالرسالات السابقه كانوا قد روّضوا أنفسهم بالحق.

و قاوموا جهل قلوبهم و أهوائهم و شهواتهم،و سلّموا-بالتالى-لربهم،فإنهم كانوا مستعدين نفسيا للايمان بالحق.

[۵۳] وَ إِذٰا يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ قٰالُوا آمَنّٰا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنٰا إِنّٰا كُنّٰا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ [۵۴]و يعطى اللّه هؤلاء أجرهم مضاعفا:

أُولٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ مره لايمانهم بهذا الكتاب الذى أكمل اللّه به رسالاته،و مره لأنهم آمنوا بالكتاب الذى أنزل إليهم،و صبروا عليه فلم يحرّفوه كما حرفه علماء السوء منهم، و لم يخضعوا لضغط السلطه و الثروه.

بِمٰا صَبَرُوا على الأذى الذى لا قوه بايمانهم بالكتاب،و لعل أعظم الثواب كان لهم بسبب صبرهم أيام الفتره،حيث سيطر الطغاه،و انحرف الناس،و لم يبق الا بقيه مستضعفه من المؤمنين أمروا بالصبر،و العمل بالتقاه،و ردّ أذى الكفار و المنحرفين بسعه الصدر،و حسن الخلق،و العطاء،و عدم الخوض فى الجدل العقيم مع المنحرفين.

ص:۳۳۹

و على هـذا يكون معنى الصـبر مـا يـبيّنه السـياق لا ـ حقـا،و تكون هـذه الآيـات بيانـا لمنهـاج المؤمنين فى عصـر التقيه،و يتخلص فى:الصبر،و العفو،و الإنفاق، و الاعراض عن لغو الجاهلين.

وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَـنَهِ السَّيِّئَهَ لقد تقدم أن الظالم يتبع هواه على حساب عقله، و بالتالى تتضخم ذاته على حساب الآخرين،أما المؤمن فعكس ذلك:يكبح جماح نفسه و هواه،فينمو عقله، فهو يفكر فى الآخرين،فاذا أخطئوا عليه درأهم بالحسـنات،و إذا احتاجوا سد حاجتهم.

وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ [۵۵]ثم أنهم طوّعوا أنفسـهم،و روّضوا أهواءهم،و حـددوا حب ذاتهم عن طريق الإعراض عن اللغو،و هذا ما ينمى العقل،لأنه يخالف الهوى.

وَ إِذا سَـمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ لان طموحاتهم و أهدافهم أسـمى من الأهواء و الشـهوات،لذلك لم تستفزهم إثارات الجاهلين،و لم يبوحوا بأسرارهم،و لم يخوضوا فى الجدل الذى لم يؤمروا به، بل إذا طالبهم الجاهلون بالحجه-جدلا-أعرضوا عنهم.

وَ قالُوا لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ هـدف هؤلاء ابتغاء رضـوان اللّه،و ليس العلـو فى الأرض،و التظـاهر،و الفخر، و الغرور بما لديهم،لذلك لا يستفزّهم الجاهلون،و لا يثيرهم سبّهم،و طلبهم للبراز فى ميدان الجدل.

سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ لاٰ نَبْتَغِي الْجٰاهِلِينَ هكـذا يقـاوم المؤمنون محاولات التحريف بالاستقامه أمـام الضـغوط،و عـدم التـأثر بـالمحيط الاجتماعی الفاسد،و الی هذا دعا الإسلام أبناءه.

قال الامام علی علیه السلام :

«كـن فی النـاس و لا تكـن معهم » [۵۶]و فی آخر آیه یحـدد اللّه مسـئولیه حامـل الرسـاله و هی التبلیغ،امـا ان یجبر النـاس علی الهدایه،فلیس ذلک من شأنه،لان الهدایه لا تتأتی لأحد الا بسعیه و توفیق اللّه له.

إِنَّكَ لاٰ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

[سوره القصص (۲۸): الآيات ۵۷ الى ۶۱]

اشاره

وَ قَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ اَلْهُدىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنٰا أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبىٰ إِلَيْهِ ثَمَرٰاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنّٰا وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ (۵۷) وَ كَمْ أَهْلَكْنٰا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهٰا فَتِلْكَ مَسٰاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاّٰ قَلِيلاً وَ كُنّٰا نَحْنُ اَلْوٰارِثِينَ (۵۸) وَ مٰا كٰانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ اَلْقُرىٰ حَتّٰى يَبْعَثَ فِي أُمِّهٰا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِنٰا وَ مٰا كُنّٰا مُهْلِكِي اَلْقُرىٰ إِلاّٰ وَ أَهْلُهٰا ظٰالِمُونَ (۵۹) وَ مٰا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتٰاعُ اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا وَ زِينَتُهٰا وَ مٰا عِنْدَ اَللّٰهِ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (۶۰) أَ فَمَنْ وَعَدْنٰاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاٰقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنٰاهُ مَتٰاعَ اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ مِنَ اَلْمُحْضَرِينَ (۶۱)

اللغه

۵۷[نتخطف]:التخطف أخذ الشيء على وجه الاستلاب.

[يجبى]:أى يؤتى اليه و يجلب.

۵۸[بطرت]:هو الطغيان عند النعمه.

۵۹[أمها]:أم القرى مكه و قيل المقصود بها المدن الكبرى.

وَ کَمْ أَهْلَکْنٰا مِنْ قَرْیَهٍ بَطِرَتْ مَعِیشَتَهٰا

هدی من الآیات:

للإنسان موقفان متناقضان تجاه النعمه،فإما الشکر و إما الکفر.

الشکر ان تکون النعمه سبیلا للوصول الی هدفها، فکل شیء فی الحیاه هو وسیله لهدف أسمی منه،فالنشاط وسیله للسعی،و السعی وسیله لعماره الأرض،و عماره الأرض وسیله لرخاء الإنسان و راحته،و الرخاء و الراحه وسیله للکمال الروحی، و هکذا تستهدف من کل نعمه نعمه أخری أعظم منها،فی سلسله متصاعده و یکون المنتهی فیها ما قاله عز و جل: إِنَّ إِلیٰ رَبِّکَ الرُّجْعیٰ .

و الشکر الحقیقی هو الذی یوصل الإنسان،الی التفکیر فی عوامل النعم و أسبابها،و بالتالی المحافظه علیها،لتدوم له النعم،حیث ان بقاءها مرهون ببقاء عواملها،فظاهره الصحه-هذه النعمه-باقیه ما دامت الوقایه،و ما دامت سلامه النفس و الحرکه،هذا من جهه.

ص:۳۴۴

و من جهه أخرى نجد موقف الكفر،و الذى يتلخص فى ثلاثه أمور هى:عدم الاهتمام بعوامل النعمه أولا،و عدم السعى لتحقيق أهدافها ثانيا،و اتخاذ الموقف الخاطئ منها ثالثا.

و فى هذا الدرس نجد معالجه عميقه لهذين الموقفين-الشكر و الكفر-فمع أننا لا نجد هاتين الكلمتين الا ان الآيات-من هذا الدرس حتى قصه قارون-تحدد للإنسان الموقف السليم من النعمه.

إن أهل مكه من العرب كانوا يتصورون ان النعمه التى يتقلبون فيها ناشئه من الواقع القائم،حيث عباده الأصنام،و فرض السيطره على العرب من خلال الموقع الاقتصادى و الاجتماعى،لذلك لم يكونوا يريدون الإيمان بالرسول صلى الله عليه و آله خوفا من تمرد العرب ضدهم،و بالتالى خسران هذه المكتسبات،فأجابهم اللّه:

أولا:انكم لم تعرفوا السبب الحقيقى للنعمه.انه اراده اللّه،و حكمه الذى قضى بحرمه البيت،و هكذا إذا تمسّكوا بسائر أحكام اللّه نزلت عليهم البركات لا تلك القيم الفاسده التى تتصورونها،و بالتالى فان الايمان به و برسوله سوف يزيد هذه النعمه و يحافظ عليها.

ثانيا:ان النعم قد تكون نقمه على صاحبها،و ذلك عند ما تخدعه و تدعوه للغرور،فكم هى القرى التى تصاعدت فى مدارج النعم الماديه الى ان بطرت معيشتها فدمرها اللّه بسبب كفر أهلها،بعد ان أقام اللّه عليهم الحجه ببعث رسله و أنبيائه،و إذ يشير اللّه الى ما آلت اليه تلك القرى،فان فى ذلك إنذارا لأهل مكه.

ثالثا:ثم لو افترضنا جدلا أنها لم تكن من عند اللّه،فان دعوه القرآن لهم ليست من أجل الرخاء المادى فحسب،بل من أجل نعيم الآخره الذى لا يحصى

أیضا،و لو انهم خسروا هذا النعیم المحدود بسبب إیمانهم بالرساله،فان اللّه سیعوّضهم ما هو أفضل منه فی الدار الآخره،فکیف و الحال ان الایمان بها یمنحهم مزیدا من النعیم فی الدنیا،و الثواب فی الآخره؟! و الدرس بمجمله یطهّر القلب من أدران حب الدنیا المانعه من الایمان بالرساله، و ذلک من خلال بیان خطأ موقف أهل مکه الذین لم یبادروا الی الایمان خشیه فقدان مصالحهم العاجله.

بینات من الآیات:

اشاره

[۵۷]تری بعض النظریات ان المدنیه تورث الخوف لأن أهلها یریدون الاحتفاظ بمکتسباتها،فیقدمون التنازلات لدرء الاخطار عن أنفسهم،و لعل أهل مکه کانوا فی هذه المرحله.إذ کانوا یخشون من الاصطدام مع قبائل العرب حتی لا یخسروا مکتسباتهم،و کانت القضیه التی یتوقع انها تثیر العرب ضدهم هی ایمانهم بالرساله الجدیده،فکفروا بها و قالوا:نخشی ان تزول حاله الأمن التی نعیشها لو أننا آمنا،فتطفق العرب باقتحام بلدنا،و اختطافنا من الأرض.

وَ قٰالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدیٰ مَعَکَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنٰا و فی هذا الحدیث اعتراف منهم بان سبب کفرهم بالرساله لیس فی نقص الادله،بل اتباعهم الهوی المتمثل فی مصالحهم الخاصه،و قد رد اللّه علیهم:

/۱ان مصدر هذه النعم هو اللّه،و لیس الناس حتی یتصوروا ان الاختلاف معهم سوف یؤدی الی زوالها،فاللّه هو الذی جعل الکعبه محلّا آمنا،و فرض علی الناس جمیعا و من فیهم العرب-من الناحیه التشریعیه الدینیه-الالتزام بحرمتها و الا لما کانت مکه بلدا آمنا فی عرف قوم شعارهم الخوف،و دثارهم السیف،

و لهجموا عليها،و حطموا الحضاره الناشئه فيها.

و لو كان ثمه قانون يمنعهم من ذلك لمنعهم من التقاتل.ان الـذى يمنعهم هو القانون الإلهى منذ أيّام إبراهيم عليه السـلام بحيث لو التجأ الصيد الى الحرم ما كانوا يصطادونه احتراما للكعبه،حتى قال شاعرهم:

و المؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكه بين العيل و السلم

يعنى قسـما باللّه الـذى أعطى الأمان للطيور التى تسـتعيذ بالحرم،حتى ان القوافل التى تـذهب الى مكه ليمس على ظهرها،و لكن قريش لم يعقلوا هذا العامل الأساسـى،لما يتمتعون به من أمن و رفاه،لذلك لم يشـكروا اللّه،و لم يؤمنوا برساله الإسلام،و لو أنهم فعلوا ذلك لاستزادوا من الأمن و البركه.

أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبىٰ إِلَيْهِ ثَمَرٰاتُ كُلِّ شَيْءٍ ان أهم النعم لـدى أهل مكه كانت هى:الأمن الآتى من حرمه الكعبه، و الرفاه بسبب سيطره أهلها على التجاره،و بسبب توافد الحجاج الى البيت الحرام.

كانوا يحملون معهم خيرات الأرض بالرغم من أنّ مكه كانت بين جبال و عره، و أراض جرداء.

رِزْقاً مِنْ لَدُنّٰا وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ لقد ذكرنا مره ان هناك فرقا بين الرزق و الكسب،فالرزق هو ما يعطيه اللّه للإنسان هبه و عطاء،و ربما بـدون سـعى،بينما الكسب هو ما يعطيه اللّه له بعد السـعى،و الآيه تبيّن ان نعمتى الأمن و الرخاء التى كانت و لا تزال لأهل مكه،لم يسع أهلها من أجلها سعيا،و انما اللّه هو الذى تفضّل عليهم بهما،و عدم إدراكهم

لهـذا العامـل-الـذى جاءت بسـببه هاتان النعمتان-هو الـذى جعلهم يبطرون بالنعمه،و يكفرون بالرساله،بـدل أن يشـكروا اللّه عبر الإيمان برسالته،و طاعه القياده التى فرضها.

و لعل الآيه تشير إلى أهميه التشريعات الرشيده فى بناء الحضارات،و ان القيم الالهيه هى السبب فى بركتى الأمن و الرخاء للناس.

[۵۸]۲/قد تضـحى النعمه نقمه على أصـحابها،و ذلك إذا صارت هدفا بذاتها،بينما ينبغى للإنسان ان يشـكر ربه عليها،و انّ شـكر أهل مكه للّه على نعمتى الأمن و الرخاء يتمثل فى الايمان برسوله،و هـذا هو السبيل الأوحد للحفاظ على النعم و منع تحويلها الى نقمه،و هكذا يبقى الضمان الوحيد لاستمرار الحضارات اتباع رسالات اللّه و رسله،و من أبرز فوائد الرسالات كبح جماح الإنسان من الاسترسـال مع النعم الى حـد البطر و الطغيان و الغرور،حتى ينسـى الحـدود،و يتجاهل الحقوق،و ينـدفع فى اتباع اللـذات الى أبعد مدى.

وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَها و اللّه لاـ يـدمر القرى لمجرد أنّهـا مرفهـه،و كيـف يكـون ذلـك و قـد خلـق البشـر ليرحمهم؟كلا..إنه هو الـذى وفر النعم للناس،و يخطئ أولئك الـذين يصوّرون الدّين بأنه يعارض النعم بذاتها،مفسـرين الآيات و الروايات التى تتناول موضوع الزهد:بان الدين لا يجتمع مع الدنيا،أو السياسه.كلا..إنما دمّرها لأنها بطرت بالنعم،و أصابها الغرور، و لم تصل بالنعم الى اهدافها.

فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاّ قَلِيلاً وَ كُنّا نَحْنُ الْوارِثِينَ

لقد سكنت من بعدهم تلك المساكن و لكن قليلا،لأنّها كانت لا تزال منحوسه،مما جعل ساكنيها الجدد يرحلون عنها سريعا،و لعل الآيه تشير الى سنّه إلهيه هى:ان البلاد المدمّره بالعذاب لا تبقى فيها مقومات الحضاره،و هكذا لا نجد الحضاره قد تجددت فى ذات المواقع التى دمّرت،مما تجعل نتائج البطر بالمعيشه تمتد الى المستقبل البعيد.

[۵۹]ثم يبين اللّه-و خلافا لنظريه الحتميه التاريخيه التى تتصور الدورات الحضاريه مرهونه بالزمن ذاته-ان العامل الاول فى الدورات الحضاريه بعد اراده اللّه هى اراده الإنسان،فلو بقيت أمه تسير فى الخط السليم،فستبقى تتقدم و تتطور أكثر فأكثر،و لن يؤثر فيها الزمن بذاته،و اللّه لا يسلب حضاره قوم أو يهلكهم هلاكا ماديّا،إلا بعد تحقق أمرين:

الاول:اقامه الحجه:

وَ مٰا كٰانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرىٰ حَتّٰى يَبْعَثَ فِي أُمِّهٰا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِنٰا و قال فى آيه أخرى: «وَ مٰا كُنّٰا مُعَذِّبِينَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولاً» و يعلل اللّه عز و جل هذا الأمر فى الآيه(۴۷)من نفس السوره إذ يقول: «وَ لَوْ لاٰ أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنٰا لَوْ لاٰ أَرْسَلْتَ إِلَيْنٰا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيٰاتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و بعث اللّه رسولا فى أم القرى يتناسب مع هدف اقامه الحجه،و قد لا يقصد القرآن من كلمه الام المدينه الأكثر سكانا،بل الأنسب حيث تصل أصداء الرساله منها الى أوسع رقعه من الأرض.

ص:۳۴۹

الثانی:الظلم:

فبالاضافه الی أن سنن اللّه تقتضی زواله،و دمار أهله،فانه یحمل عوامل انهیاره فیه،فالطاغوت الذی یظلم الآخرین،و یسلب حقوقهم لا یسلم من ردّه الفعل ان لم ینزل علیه عذاب مباشر من اللّه کالمرض و الغرق و ما الی ذلک.

وَ مٰا کُنّٰا مُهْلِکِی الْقُریٰ إِلاّٰ وَ أَهْلُهٰا ظٰالِمُونَ و الظلم هو الصوره العملیه لرفض رسالات اللّه،بل لمحاربه اللّه تعالی.

و کلمه أخیره:ان قسما من الناس یتصورون بأن الإیمان باللّه،و الالتزام برسالته،و بما یتضمنه کل ذلک من الالتزامات المالیه،أو التحدیات السیاسیه و ما شابه سوف یسلب منهم النعیم،بینما سنه الحیاه تقضی بالعکس،حیث یهلک اللّه الذین یکذبون برسالاته،و العبره جلیه فی التاریخ،و بالتالی فمن الأولی أن یخشی أهل مکه من عاقبه رفضهم للرساله ان یفقدوا کل شیء لا من ایمانهم بها،أو لیس الشکر هو التفکیر فی عوامل النعمه،و الحفاظ علیها،و بالتالی الحفاظ علی النعمه ذاتها؟! [۶۰]/۳ان الهدف الأسمی الذی یجب ان یسعی الإنسان من أجله هو نعیم الآخره لا حطام الدنیا،و الدنیا یجب ان تکون وسیله تخدم الغایه العظمی للبشر.الا ان الکثیر من الناس یتوقفون عند الوسیله،و تضحی عندهم هدفا،و ذلک لضآله طموحاتهم،و ضیق افقهم:

وَ مٰا أُوتِیتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَمَتٰاعُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا وَ زِینَتُهٰا المتاع هو الوسیله لتحقیق هدف ما،و بتعبیر آخر الضروریات،و متاع المسافر

هو ما يحتاجه لسفره،و الزينه وسيله التجميل اى الكماليات.

وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ من حيث النفع و الإفاده(البعد المادى).

وَ أَبْقىٰ من حيث الدوام(البعد الزمنى).

أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ ان فى الإنسان جانبان،هما العقل و الشهوه،و طبيعه النفس البشريه انها ميّاله للهوى،و اللّه لم يقل:تخلوا عن الدنيا بكاملها،و انّما حمّل الإنسان مسئوليه الإختيار السليم الذى تدعو له رسالات اللّه و عقل الإنسان،و هل يختار عاقل المتاع و الزينه الزائلين على الخير الدائم؟! ان التعقل الذى تدعو له الآيه الكريمه،هو ان يجعل الإنسان الدنيا وسيله للآخره،و لن يتضرر الإنسان لو خسر الدنيا(و تخطف من أرضه)إذا كان ذلك فى سبيل اللّه، و لو أنّنا وقفنا على مفترق الطريق بين زينه الدنيا و نعيم الآخره،فان واجبنا أن نختار الآخره على الدنيا،و هذا ما يحكم به العقل السليم.

[۶۱]و لهذا نجد القرآن يؤكد:

أَ فَمَنْ وَعَدْنٰاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاٰقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنٰاهُ مَتٰاعَ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ من مشاكل النفس البشريه أنها تميل للأشياء الحسّيه الآنيّه،و الإنسان ينساق

وراء الـدنيا لأنها بين يـديه،و يرفض الآخره لأنها مؤجله،و مثل الإنسان الـذى يختار الدنيا على الآخره كالذى يفضّل دينارا واحدا حاضرا،على مليار دينار غائب، تتأخر عنه يوما أو بعض يوم.

ص:۳۵۲

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۶۲ الی ۷۰]

اشاره

وَ یَوْمَ یُنادِیهِمْ فَیَقُولُ أَیْنَ شُرَکائِیَ اَلَّذِینَ کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۶۲) قالَ اَلَّذِینَ حَقَّ عَلَیْهِمُ اَلْقَوْلُ رَبَّنا هؤُلاءِ اَلَّذِینَ أَغْوَیْنا أَغْوَیْناهُمْ کَما غَوَیْنا تَبَرَّأْنا إِلَیْکَ ما کانُوا إِیّانا یَعْبُدُونَ (۶۳) وَ قِیلَ اُدْعُوا شُرَکاءَکُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ یَسْتَجِیبُوا لَهُمْ وَ رَأَوُا اَلْعَذابَ لَوْ أَنَّهُمْ کانُوا یَهْتَدُونَ (۶۴) وَ یَوْمَ یُنادِیهِمْ فَیَقُولُ ما ذا أَجَبْتُمُ اَلْمُرْسَلِینَ (۶۵) فَعَمِیَتْ عَلَیْهِمُ اَلْأَنْباءُ یَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا یَتَساءَلُونَ (۶۶) فَأَمّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَعَسی أَنْ یَکُونَ مِنَ اَلْمُفْلِحِینَ (۶۷) وَ رَبُّکَ یَخْلُقُ ما یَشاءُ وَ یَخْتارُ ما کانَ لَهُمُ اَلْخِیَرَهُ سُبْحانَ اَللّهِ وَ تَعالی عَمّا یُشْرِکُونَ (۶۸) وَ رَبُّکَ یَعْلَمُ ما تُکِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما یُعْلِنُونَ (۶۹) وَ هُوَ اَللّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ لَهُ اَلْحَمْدُ فِی اَلْأُولی وَ اَلْآخِرَهِ وَ لَهُ اَلْحُکْمُ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ (۷۰)

ص:۳۵۳

وَ رَبُّکَ یَخْلُقُ مٰا یَشٰاءُ وَ یَخْتٰارُ

هدی من الآیات:

لمـاذا یکفر المرء بکتـاب ربه و برسوله؟و کیف ینبغی ان نتجـاوز عقبـات الایمـان بهما؟ فی درس سـبق تلونا آیات تنسف عقبه عبـاده الهـوی،و رعـایه مصالـح الـدنیا، و لکـن هـل کـل النـاس تأسـرهم مصـالحهم؟فکیـف بهؤلاـء المحرومین الـذین یکفرون بالرسالات أیضا؟ الجواب:انهم یتبعون مترفیهم،و یتخذونهم آلهه یشـرکون بهم ربهم،أو لیسوا یسـمعونهم دون تفکر،و یخضعون لهم و ما أنزل اللّه لهم سـلطانا؟! هکـذا یعالـج القرآن فی هـذا الـدرس مرض الشـرک لنعرف ان توحیـد اللّه الخالص منهـج کل هدی،و سبیل کل صلاح.

ص:۳۵۴

و الشرک فی القرآن الحکیم،هو ان یعتقد الإنسان،بأن شیئا أو شخصا غیر اللّه یهیمن مع اللّه علی أحداث الکون و متغیرات الحیاه،و یبیّن لنا القرآن عبر آیاته الکریمه العوامل النفسیه للشرک،و یطهّرها من هذه العوامل.

و فی هذا الدرس یصور لنا اللّه مشهدا من القیامه.إذ یقف المشرکون مع آلهتهم المزیفه للحساب،فیسأل اللّه الشرکاء المزعومین:لماذا اتخذوکم آلهه من دونی؟ و لماذا أضللتم الناس؟ فیکون جوابهم:اننا بدورنا کنّا ضالّین أیضا،و نستفید من هذا الحوار أمرین:

الاول:ان المشرکین اتبعوا بشرا مثلهم،فلیس الشرک-اذن-محصورا فی عباده الأصنام و التماثیل الحجریه.إذ لیس معقولا ـ ان یحمل الحجر مسئولیه شرک الآخرین به،کما لا یصح للحجر الهدی أو الضلال حتی یقول: «أَغْوَیْنٰاهُمْ کَمٰا غَوَیْنٰا» .

الثانی:ان معنی الشرک هنا هو الشرک الثقافی،إذ ان الناس اتبعوا مجموعه آراء و عقائد من دون ان یتبیّنوا،أو ان یکون ثمه حجه و برهان من عند اللّه علیها،فلا هم اتبعوا عقولهم،و لا هم اتبعوا الحجه الإلهیه،و یتضح هذا فی قولهم«کما غوینا»إذن الغوایه هی الضلال المتعمد و علماء السوء،و الصحفیون المأجورون، و المفکرون المنحرفون مثال واضح لهؤلاء،فهم بدورهم یضلّون و یضلّون.و اتباع هؤلاء الفریق یجب ان یکون مبنیّا علی بیّنه و حجه واضحه و الا فهو شرک.

و نستوحی من تواصل الحدیث حول الشرک و القیاده الشرعیه التی یختارها الرب:ان اللّه قد خلقنا و هو الذی یختار و لسنا نحن المخلوقین،أقول:نستوحی من ذلک:أن اتّباع أولیاء الشیطان هو الشرک بعینه،بل ای متابعه لم یأذن بها اللّه

شرک أیضا.

کما نستوحی من سیاق الآیات التالیه:ان اتباع الرسول و خلفائه تطبیق عملی لعقیده التوحید فی الحیاه،ذلک لأن ربنا یذکرنا فیها بأنه هو اللّه لا اله الا هو.

و یبدو ان هذا الدرس-اجمالا-یکرس شرعیه قیاده الرسل،و زیف القیادات الجاهلیه.

بینات من الآیات:

أَغْوَیْنٰاهُمْ کَمٰا غَوَیْنٰا:

[۶۲]فی یوم القیامه یجمع اللّه الآلهه المزیفه،و الذین عبدوهم من دون اللّه،ثم تبدأ فصول المحاکمه التی تجری علی الملأ العام،و نستفید ذلک من کلمه «ینادیهم».

وَ یَوْمَ یُنٰادِیهِمْ فَیَقُولُ أَیْنَ شُرَکٰائِیَ الَّذِینَ کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ و التعبیر القرآنی ذروه فی البلاغه ان ربنا یسمیهم بالشرکاء،و یتساءل أین هم الآن لیجعل وجدانهم یجیب قبل ألسنتهم،بل لیجعلهم یبلغون الحقیقه الیوم بنقله وجدانیه خاطفه قبل ان یتورطوا فی العذاب فی ذلک الیوم،و لات حین مندم.

فی ذلک الیوم لیس فقط یتبرأ التّابعون حین یرون العذاب من المتبوعین،بل یبادر هؤلاء بالاعتراف الصریح بغوایتهم.

[۶۳]فیجیب الذین سبقوا الی الضلاله،و هم طلائع أهل النار و أئمتها:

قٰالَ الَّذِینَ حَقَّ عَلَیْهِمُ الْقَوْلُ

هؤلاء قد ثبت عليهم القول فی الدنيا قبل الآخره.إذ اضلّهم اللّه بظلمهم، و سلب منهم مصباح العقل،و نور القلب،و ترکهم فی ظلمات يعمهون.

و نجد هؤلاء ينطقون فی الموقف.أو ليسوا فی الدنيا وضعوا ناطقين باسم تابعيهم؟!دعهم اليوم يعترفون بأنفسهم علی غوايتهم،و هؤلاء يدخلون النار من دون حساب.

و تلخص الآيه موقفهم فی نقطتين:

الاولی:الاعتراف بالضلاله:

رَبَّنٰا هٰؤُلاٰءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنٰا ای أضللناهم عن الطريق المستقيم.

أَغْوَيْنٰاهُمْ كَمٰا غَوَيْنٰا فنحن بدورنا کنا ضالين،و ما فعلناه أننا عکسنا ضلالتنا عليهم،و هکذا تنکشف الحقائق کلها يوم القيامه،قال تعالی: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذٰا فَكَشَفْنٰا عَنْكَ غِطٰاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (1) الثانيه:البراءه من المشرکين:

تَبَرَّأْنٰا إِلَيْكَ مٰا كٰانُوا إِيّٰانٰا يَعْبُدُونَ لعل معناه:انهم فی قراره أنفسهم کانوا يعلمون بأننا لسنا بآلهه،و انما عبدونا

1- 1) ق/(22).

لشـهواتهم و أهوائهم،و إذ ينقل القرآن هـذا المشـهد من القيامه،فلكى يسـتثير وجـدان الإنسان نحو عـدم اتباع الآلهه المزيفه من الطغـاه و القوى الاجتماعيه المختلفه.إذ كيف يتّبع شـخصا أو جهه تتبرأ منه حين العسـره؟! [۶۴]ثم يتوجه الخطـاب الى التابعين و المشركين باللّه.

وَ قِيلَ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ليخلّصوكم من العذاب.

فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ و تحتمل الآيه معنيين:

۱-ان المشركين حينما يرون العذاب يتمنّون فى أنفسهم لو كانوا مهتدين من قبل فى الدنيا.

۲-ان المشـركين كانوا يرون هـذه النتيجه منذ كانوا فى الدنيا لو أنهم كانوا يتبعون الهدى،لم يقعوا فيها الآن،لان الذى يتّبع هدى الرساله يكتشف نتائج الشرك و هو العذاب.

[۶۵]تجرى محـاكمه المشـركين الـذين أطـاعوا كبراءهم و مترفيهم من دون ان يأذن اللّه لهم فى ذلك،و يسألون عن موقفهم من الرسل و خلفائهم الشرعيين الذين هم القياده الحق لهم.

وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ فهل أطعتموهم؟

ص:۳۵۸

ان القیاده المنتخبه من قبل اللّه میزان فی الـدنیا بین الحق و الباطل،و میزان فی الآخره بین الجنه و النار،و لذلک یسأل الناس عنها یوم القیامه.

نقرأ فی النصوص ان أبا حنیفه-امام المذهب-یحاور الامام الصادق علیه السلام فی الآیه «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ» .

فیسأله الامام عنها:

«مـا النعم عنـدک یـا نعمـان»؟قـال:القـوت من الطعـام و المـاء البـارد،فقـال الامـام علیه السـلام :«لئن أوقفـک اللّه بین یـدیه یـوم القیامه،حتّی یسألک عن کل أکله أکلتها،أو شربه شربتها لیطولن وقوفک بین یدیه»قال:فما النعیم جعلت فداک؟قال:

«نحن أهـل البیت النعیم الـذی أنعم اللّه بنا علی العباد،و بنا ائتلفوا بعـد ما کانوا مختلفین،و بنا ألف اللّه قلوبهم فجعلهم إخوانا بعد ان کانوا أعـداء،و بنا هـداهم اللّه للإسـلام،و هو النعمه التی لا تنقطع،و اللّه سائلهم عن حق النعیم الـذی أنعم به علیهم و هو النبی صلی الله علیـه و آله و عـترته علیه السـلام » (۱)[۶۶] فَعَمِیَتْ عَلَیْهِمُ الْأَنْبَاءُ یَوْمَئِذٍ فَهُمْ لاَ یَتَسَاءَلُونَ فهناک خرست ألسـنه الأنباء،و عمیت عیونهـا،و توقفت المصـادر الخبریه فلم تحمل حقیقه،لـذلک عاشوا فی منتهی الحیره،و لم یسأل بعضـهم بعضا شیئا،لأنهم جمیعا فی الجهل شرع سواء،و ذلک لبلاغه الحجه الإلهیه التی لا تترک لهم مجالا للتبریر.

ص:۳۵۹

۱- ۲) بح ج(۷)ص(۲۵۸).

[۶۷]نعم لو ضلّ الإنسان لفتره من الزمن عن اتباع القياده الرساليه أو الانتماء الى صفوف التجمعات الرساليه،لكنه تاب بعد ذلك،فان اللّه يقبل توبته:

فَأَمّٰا مَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً و شرط قبول التوبه هو الرجوع عن الخطأ بمحو آثاره الباطنيه من النفس عن الايمان بالرساله،و آثاره الظاهريه من السلوك بالعمل الصالح،إذ لا يكفى ان تفتح مع اللّه صفحه جديده،بل لا بد ان تملأها بعمل الصالحات.

فالضباط الذين انتموا الى جيش الطاغوت يمكنهم ان يتوبوا بالتمرد على النظام الفاسد،و الانتماء و العمل فى صفوف الحركه الاسلاميه،كما فعل الحر بن يزيد الرياحى(رض)حينما ترك معسكر ابن زياد،و حارب بين يدى الامام الحسين عليه السلام حتى الشهاده.

فَعَسىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ و يستخدم القرآن كلمه«فعسى»التى يستفاد منها الإمكان ظاهرا و ليس التحقيق،حتى يتضح لنا عظم الذنب فلا نصاب بالغرور،أو الرجاء المفرط الذى لا تقل نتيجته سوءا عن القنوط التام من رحمه اللّه،كما ان بقاء عقده الذنب فى نفس الإنسان من صالحه إذا كان يدفعه للعمل و السعى الأكثر فى سبيل اللّه.

طمعا فى مرضاته عز و جل.

و ربک يختار:

[۶۸] وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مٰا يَشٰاءُ وَ يَخْتٰارُ مٰا كٰانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

ان فطره الإنسان و عقله يهديانه الى ان مالك الشىء هو الذى يحق له التصرف فيه،و مالك الخليقه هو الذى يصح له التصرف فيها لأنه خالقها،و لان الإنسان جزء من الخليقه فلا بد ان ينتظر إذن اللّه فى اتباع القياده التى يعينها سبحانه، فليس من المقبول-وجدانا-ان يخلقنى اللّه ثم اختار لنفسى دونه القياده السليمه و الولايه الضروريه.

قال الامام الصادق عليه السلام فى تفسير هذه الآيه:

«يختار اللّه عز و جل الامام،و ليس لهم ان يختاروا » (۱)

و فى أصول الكافى عن الامام الرضا عليه السلام فى فضل الامام و صفاته قال:

لقد راموا صعبا،و قالوا إفكا،و ضلوا ضلالا بعيدا،و وقعوا فى الحيره إذ تركوا الإمام عن بصيره «زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» رغبوا عن اختيار اللّه و اختيار رسول اللّه الى اختيارهم،و القرآن يناديهم: «وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ سُبْحانَ اللّهِ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ» و قال عز و جل: «وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَهٍ إِذا قَضَى اللّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ» (۲) سُبْحانَ اللّهِ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ و فى الآيه تأكيد على ان اختيار قياده غير إلهيه،و التى تعرف بالتعيين المباشر، أو من خلال المقاييس المبدئيه يعتبر نوعا من الشرك.

ص:۳۶۱

۱- ۳) نور الثقلين/ج(۴)ص(۱۳۶).

۲- ۴) أصول الكافى ج(۱)باب فضل الامام و حجته.

[۶۹]و لا يحق لنا حينما نعرف القياده الحقيقيه ان نتركها الى غيرها بمختلف التبريرات،أو بالهوى فى مقابل النص و المقياس الإلهى،فإننا مهما أخفينا الأسباب و الدوافع،الا أن اللّه يعلمها.

وَ رَبُّکَ یَعْلَمُ مٰا تُکِنُّ صُدُورُهُمْ الأسباب الباطنيه.

وَ مٰا یُعْلِنُونَ الأسباب الظاهريه.

[۷۰]فاذا أردنا اختيار قياده فلا نختار غير ما يريده اللّه لأنه إلهنا،فهو أولى بنا من أنفسنا،و هذا معنى التوحيد.

وَ هُوَ اللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِی الْأُولیٰ وَ الْآخِرَهِ وَ لَهُ الْحُکْمُ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ فالذى خلق و أحاط علمه بالغيب و الشهاده أحاطت رحمته الخلق فى المبدأ و المصير،و هو المهيمن على شؤون الخليقه.انه الحميد الذى يختار لنا إمامنا الذى نطيعه.

[سوره القصص (۲۸): الآيات ۷۱ الی ۷۷]

اشاره

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اَللّٰهُ عَلَيْكُمُ اَللَّيْلَ سَرْمَداً إِلىٰ يَوْمِ اَلْقِيٰامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اَللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيٰاءٍ أَ فَلاٰ تَسْمَعُونَ (۷۱) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اَللّٰهُ عَلَيْكُمُ اَلنَّهٰارَ سَرْمَداً إِلىٰ يَوْمِ اَلْقِيٰامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اَللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ (۷۲) وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهٰارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۷۳) وَ يَوْمَ يُنٰادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكٰائِيَ اَلَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۷۴) وَ نَزَعْنٰا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنٰا هٰاتُوا بُرْهٰانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ اَلْحَقَّ لِلّٰهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ (۷۵) إِنَّ قٰارُونَ كٰانَ مِنْ قَوْمِ مُوسىٰ فَبَغىٰ عَلَيْهِمْ وَ آتَيْنٰاهُ مِنَ اَلْكُنُوزِ مٰا إِنَّ مَفٰاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي اَلْقُوَّةِ إِذْ قٰالَ لَهُ قَوْمُهُ لاٰ تَفْرَحْ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُحِبُّ اَلْفَرِحِينَ (۷۶) وَ اِبْتَغِ فِيمٰا آتٰاكَ اَللّٰهُ اَلدّٰارَ اَلْآخِرَةَ وَ لاٰ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ اَلدُّنْيٰا وَ أَحْسِنْ كَمٰا أَحْسَنَ اَللّٰهُ إِلَيْكَ وَ لاٰ تَبْغِ اَلْفَسٰادَ فِي اَلْأَرْضِ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُحِبُّ اَلْمُفْسِدِينَ (۷۷)

اللغه

۷۱[سرمدا]:أی دائما.

۷۶[تنوء]:تثقل.

ص:۳۶۳

وَ أَحْسِنْ كَمٰا أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْکَ

هدى من الآيات:

الإله فى اللغه هو ما يتأله اليه بالبكاء (١)و يرجع اليه عند الشدائد،و بالتالى هو الذى ينبغى ان يتّخذ وليّا،و فى هذا الدرس الذى يذكرنا بربنا عسى ان نسقط الشركاء من حسابنا،و نخلص العبوديه لربنا،و نطيع من أمرنا بطاعته من رسله و أوليائه،و نتمرد ضد الطغاه،و الظالمين الذين اتّخذوا من دون اللّه أندادا، و يتساءل السياق عن الإله الحقيقى،الذى يجب ان يتّخذه الإنسان وليّا و نصيرا،و قائدا و مولى،ثم يقول مباشره: «أَ فَلاٰ تَسْمَعُونَ» «أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ» .

و كثيرا ما تتكرر هذه الصيغ و شبيهاتها «أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ ، أَ فَلاٰ تَذَكَّرُونَ ...إلخ» فى القرآن،و فى ذلك تأكيد لفكره مهمه هى:ان وجود الآيات وحدها فى الكون لا

١- ١) قال ابن الاعرابى الألّ كل سبب بين اثنين و قال ابن الفارسى:الألّ:الربوبيه،و قال الفراء:الألّ رفع الصوت بالدعاء و البكاء،و يبدو ان ما ذكرناه آنفا يجمع المعانى المختلفه للكلمه.راجع معجم مقاييس اللغه ج (١)ص(٢١/٢٠).

یکفی،بل لا بـد من وجود جهاز اسـتقبال عنـد البشـر حتی ینتفع البشـر منها،فهل ینفع نور الشـمس من أغمض عینیه؟! ان اللّه هو الذی جعل اللیل سـکنا،و النهار میدانا للسعی و النشاط،و هو الذی یقدّر حیاه الخلق و موتهم،و المطلوب منّا ان نتخذه إلها حقّا،و ذلک بان نستمع لرسله،و نبصر آیاته،ثم نعقلها لنعرف الحقائق.

نجـد فی الآیـات الاـخیره من هـذا الـدرس اشاره بل توضـیحا لفکره القوّه المالیه فی الحیاه،فما هو الهـدف من النعم الالهیه علی البشـر؟ ان الهـدف من النعم هـو الوصول الی الکمـال الروحی،و العروج بقیم الإنسـان و روحه فی مـدارج المجـد و العظمه عـبر الشـکر للّه،و الـذی یمثـل الأثر الإیجابی المنبعث عن وجود النعم،و ذلک أسـمی من الرفاه و الرخاء المادی،و من لا یشـکر النعم تتحول لـدیه الی نقمه من النـاحیه النفسـیه،فتری نعمه الفراغ تتحول عنـده الی قلق و ضـیاع،تجـده بـدل ان یصـرف الملایین التی یمتلکها فی سبیل راحه نفسه و عائلته و أمته،یذهب بها للفساد فیحطم شبابه،ثم یعود صفر الیدین.

و شـکر النعمه هو الـذی یجعلهـا نـافعه،بینما الکفر بها یحولها نقمه علی صاحبها، و یتمثل الشـکر فی الانتفاع بها ضـمن الحـدود المشـروعه لأهداف خیّره،و قارون کان بعکس ذلک تماما،فقد أعطاه اللّه من الکنوز ما تنوء مفاتحها بالعصبه الأقویاء، لکنه بدل ان یستفید منها،و هو من شعب مستضعف کفر بها و بربّها کما یذکر القرآن ذلک فی الدرس القادم،و لکن السؤال:ما هی مناسبه الحـدیث عن قصه قـارون،و بالضـبط عنـد الحـدیث عن القیاده؟ الجواب:ان الانحراف البشـری عن القیاده الصـحیحه،یتم بسـبب ضغط

أحدى القوتين:

فأما قوه الإرهاب و السيف،أو قوه المال و الثروه،و إذا كان فرعون مثلا للقوه الاولى،فان قارون مثل للقوه الثانيه،و إذ يضرب اللّه لنا هذه الأمثال فلكى يقيم الحجه علينا،فلا نلتف حول صاحب الثروه لماله،و لا حول من يملك الحكم لقوته.

بينات من الآيات:

اشاره

[۷۱]لا ينكر أحد بأن الذى أضاه بنوره الأرض و ما فيها هو اللّه،و يعرف الكل انّه الأحق بالطاعه ممن لا يملك نفعا و لا ضرا،و لا ضياء و لا هدى من جبابره الأرض و مترفيها.

بلى..يعرف الناس جميعا هذه الحقيقه،و لكنهم لا يعقلونها،فتراهم يركضون وراء الطغاه و المفسدين طمعا فى بعض الثروه،أو خشيه من أذاهم.

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّٰهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً دائما و مستمرا.

إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَهِ و هذا هيّن على اللّه،فهو يستطيع ان يحجب نور الشمس لتتحول الأرض ظلاما دامسا،و لو فعل ذلك لما استطاع أحد ان يعيد النور مره أخرى.

مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيٰاءٍ أَ فَلاٰ تَسْمَعُونَ [۷۲]ثم لو جعل اللّه أبدا سرمدا،هل يقدر من نعبدهم من دونه على المجىء بالليل لنسكن فيه،و ننعم بهدوئه الذى ينفذ حتى فى عظامنا.،و أنسجه أعصابنا.

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّهُ عَلَيْكَمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَهِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكَمْ بِلَيْلٍ تَسْكَنُونَ فِيهِ أَ فَلا تُبْصِرُونَ و بالمقارنه بين الإثنين نستفيد فكرتين مهمتين:

الاولى:ان اللّه قال فى الآيه(٧١): «يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَ فَلا تَسْمَعُونَ» من دون ان يبين فائده الضياء،بينما قال فى الآيه(٧٢):«يأتيكم بليل»و بيّن إحدى فوائده«تسكنون فيه»و لعل ذلك لان الإنسان ينام بالليل،فلا يتفكر فى أهميته فاقتضى التنبيه.

الثانيه:انه عز و جل قال فى حديثه عن الليل: «أَ فَلا تَسْمَعُونَ» بينما قال فى حديثه عن النهار: «أَ فَلا تُبْصِرُونَ» لأن الحاسه التى يمكن للإنسان الاستفاده منها فى الظلام هى السمع،لأنه لا يرى فيه،بينما يعتمد أكبر شيء فى النهار على حاسه البصر.

و يبدو ان معنى الآيه:أ فلا تسمعون عن نعمه الليل،و أ فلا تبصرون نعمه النهار.

[٧٣] وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ اى فى الليل.

وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فى النهار،كأمر طبيعى بالنسبه للإنسان،و الليل و النهار يبعثان حاله الشكر و الرضى فى البشر.

وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ و ذلك ل:

١-لان نفس الإنسان لا ترتاح على نمط واحد،بينما التنوع يرضيها و يبعثها على الشكر.

٢-الذى يعمل بالنهار و ينام بالليل يحصل على وقت للتفكير فى إنجازاته فيرتاح،و للتفكير فى مستقبله فيخطط له،و حينما يأتى لعمله فى النهار يكون قد أخذ قسطا من الراحه و الاستعداد لبذل جهد و نشاط أفضل.

٣-ثم ان هدف المؤمن من الحياه أسمى من الماديات،فهو من وراء النعم يسعى للشكر،لذلك تراه فى حاله من الرضى و الاطمئنان مهما كانت الظروف معاكسه للطموحات الماديه المغروزه فيه، لأنه ينظر الى الجوانب الايجابيه فى الحياه.

و فى الحديث عن ابن عباس:

«ان امرأه أيوب قالت له يوما:لو دعوت اللّه ان يشفيك،فقال:ويحك!كنا فى النعماء سبعين عاما،فهلّم بضر فى الضراء مثلها» (١)

فعلموا ان الحق للّه:

[٧۴]اللّه هو الخالق و صاحب الفضل و النعمه على البشر،و له وحده يصرف الشكر،الا ان البعض بدل ان يفعل ذلك تراه يشرك باللّه،فيعتقد ان السلطه أو أصحاب القوى المختلفه هم مصدر النعم و الفضل عليه،فيعبدهم من دونه تعالى، و حساب هؤلاء عسير عند اللّه.

١- ٢) بح ج(١٢)ص(٣۴٨).

وَ یَوْمَ یُنادِیهِمْ فَیَقُولُ أَیْنَ شُرَکائِیَ الَّذِینَ کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فلا یجیبون،و قد سبقت آیه مشابهه تماما لهذه الآیه و هی آیه(۶۲)مما یدل بان النداء الالهی مره یکون أمام قاده المشرکین من أئمه الضلال،و مره فی حضور الرسل و خلفائهم من أئمه الهدی.

[۷۵]و یتم الحجه علیهم عند ما یستدعی الشهود علی کل امه منها:

وَ نَزَعْنا مِنْ کُلِّ أُمَّهٍ شَهِیداً و هم الأنبیاء و الأئمه.جاء فی آیه کریمه: «فَکَیْفَ إِذا جِئْنا مِنْ کُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِیدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلی هؤُلاءِ شَهِیداً» (۱)

و جاء فی حدیث شریف فی تفسیر هذه الآیه:

«و من هذه الامه امامها » (۲)فَقُلْنا للمشرکین:

هاتُوا بُرْهانَکُمْ ان کانت لدیکم حجه علی طاعتکم للأنداد،و اتباعکم لذوی الثروه و السطوه،و لکنهم لا یجدون جوابا.إذن علینا ان نفکر مرتین قبل ان نتبع قائدا، لننظر هل نملک علی طاعته برهانا یوم القیامه،حیث لا ینفع الجدل و التظنی

۱- ۳) النساء/(۴۱).

۲- ۴) عن تفسیر المیزان ج(۱۶)ص(۲۰).

و التبرير.

فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلّهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مّا كانُوا يَفْتَرُونَ يوم القيامه تبلى السرائر،و تظهر الحقائق،و يتلاشى الباطل و الكذب،كما تتبدد الأعمال المنافقه،و لعل فاتحه الآيه تشير الى ضلال و ضياع عبادتهم للأنداد، و أيضا أعمالهم التى مارسوها فى الإطار الشركى.

[۷۶]و من جمله ما يفترى الإنسان على اللّه هو اتباع مالكى المال و الثروه.

إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى فَبَغى عَلَيْهِمْ انحرف عنهم،و صار يظلمهم.

وَ آتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَهِ أُولِى الْقُوَّهِ و العصبه كما فى تفسير على بن إبراهيم:

«ما بين العشره الى خمسه عشر» (۱)لقد رزقه اللّه كنوزا ذات مفاتيح(صناديق و خزائن)لو حملتها العصبه أولوا القوه لأرهقتها،و كان الهدف من إعطائه الثروه امتحانه.ذلک ان المؤمن الحقيقى تزيده الثروه قربا الى اللّه،و تواضعا فى خدمه الناس،و لهذا

جاء فى الحديث:

«الغنى الشاكر خير من الفقير الصابر » أما ضعيف الايمان أو المنافق فانها لا تزيده من اللّه إلاّ بعدا،و فى الناس إلاّ

۱- ۵) بح ج(۱۳)ص(۲۴۹).

تکبرا و غرورا،و لم یکن قارون من النوع الاول،فبادر المؤمنون لنصیحته:

إِذْ قٰالَ لَهُ قَوْمُهُ لاٰ تَفْرَحْ و الفرح فی هـذه الآیه بمعنی الغرور،و هو انعدام الهدف،و إحساس الإنسان بحاله الإشباع(انعدام المسؤولیه)و کثیر هم الذی یصابون بهذا الداء بسبب الجاه و الثروه،قال تعالی: «کَلاّٰ إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَیَطْغیٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنیٰ» (۱) إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یُحِبُّ الْفَرِحِینَ لأنهم ینسون اللّه فینساهم،بل کثیر ما یجرّهم الفرح لمبارزه اللّه.

[۷۷]الدنیا سلاح ذو حدین فإمّا تؤدی بصاحبها الی النار و ذلک حین یتصورها هدفا بذاتها،و أما ان تؤدی به الی الجنه و ذلک حینما یتّخذها مطیه لعمل الصالحات،فالغنی یصیر فضیله إذا استخدمه صاحبه فی سبیل اللّه.

هکذا

یقول الامام أمیر المؤمنین عن الدنیا:

«من أبصر بها بصّرته،و من أبصر إلیها أعمته » (۲)وَ ابْتَغِ فِیمٰا آتٰاکَ اللّٰهُ الدّٰارَ الْآخِرَهَ بإخراج حق اللّه و حق المحتاجین،و صرف المال فی عمل الصالحات کبناء المساجد،و مساعده الحرکات الاسلامیه،و الإسلام لا یطالب الإنسان بإعطاء کل ماله فی سبیل اللّه ثم یجلس خالی الید،بل یطالبه بالاعتدال فی الإنفاق بقوله

۱- ۶) العلق/(۶-۷).

۲- ۷) عن نهج البلاغه الخطبه رقم(۸۲).

تعالی فی سوره الفرقان: وَ الَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً (۱) وَ لاٰ تَنْسَ نَصِیبَکَ مِنَ الدُّنْیٰا و هذه الآیه دلیل علی هذا التفسیر،و علی خطأ النظره القائله بفصل الدین عن الدنیا.إذ بإمکان الإنسان ان یبنی مسجدا الی جانب بیت فخم.الا ان للإمام علی علیه السلام تفسیرا آخر للآیه ینسجم-مع سیاق الآیات-و نفسیّه شحیحه،کما کانت عند قارون أمثوله الترف و الفساد،

یقول الامام علیه السلام :

«لا تنس صحتک،و قدرتک،و فراغک،و شبابک،و نشاطک ان تطلب بها الآخره » (۲)ذلک ان ما یبقی من الدنیا لیس سوی ما یبعثه الإنسان الی الآخره.

ثم أکد السیاق ضروره الإحسان إلی النّاس،و الإحسان هو بذل المزید من الأموال مضافه الی الحقوق المالیه المفروضه،و لا ریب ان الثروه المکدّسه لا تهنئ لصاحبها من دون الإحسان،و ان لذّه روح الإنسان من الإحسان أعظم بکثیر من لذّه بدنه بالترف،کما أن الإحسان یمتص نقمه المحرومین علی صاحب الثروه، و یحولها الی ذکر حسن،و ثواب عند اللّه عظیم،بینما الشح یودی الی الفساد و الاستکبار فی الأرض.

وَ أَحْسِنْ کَمٰا أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَیْکَ وَ لاٰ تَبْغِ الْفَسٰادَ فِی الْأَرْضِ إِنَّ اللّٰهَ

۱- ۸) الفرقان/(۶۷).

۲- ۹) تفسیر نمونه ج(۱۶)ص(۱۵۶).

لاٰ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ و لعل نهايه الآيه(٧۶) إِنَّ اللّهَ لاٰ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ تلتقى مع هذه الآيه فى ان الغرور(الفرح)يؤدى للفساد فى الأرض.

ص:٣٧۴

[سوره القصص (۲۸): الآيات ۷۸ الى ۸۳]

اشاره

قٰالَ إِنَّمٰا أُوتِيتُهُ عَلىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اَللّٰهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ اَلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً وَ لاٰ يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ اَلْمُجْرِمُونَ (۷۸) فَخَرَجَ عَلىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قٰالَ اَلَّذِينَ يُرِيدُونَ اَلْحَيٰاةَ اَلدُّنْيٰا يٰا لَيْتَ لَنٰا مِثْلَ مٰا أُوتِيَ قٰارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (۷۹) وَ قٰالَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوٰابُ اَللّٰهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً وَ لاٰ يُلَقّٰاهٰا إِلاَّ اَلصّٰابِرُونَ (۸۰) فَخَسَفْنٰا بِهِ وَ بِدٰارِهِ اَلْأَرْضَ فَمٰا كٰانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَ مٰا كٰانَ مِنَ اَلْمُنْتَصِرِينَ (۸۱) وَ أَصْبَحَ اَلَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكٰانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اَللّٰهَ يَبْسُطُ اَلرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لاٰ أَنْ مَنَّ اَللّٰهُ عَلَيْنٰا لَخَسَفَ بِنٰا وَيْكَأَنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ اَلْكٰافِرُونَ (۸۲) تِلْكَ اَلدّٰارُ اَلْآخِرَةُ نَجْعَلُهٰا لِلَّذِينَ لاٰ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي اَلْأَرْضِ وَ لاٰ فَسٰاداً وَ اَلْعٰاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (۸۳)

ص:۳۷۵

ثَوّابُ اللّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صّالِحاً

هدی من الآیات:

بالاضافه الی الجوانب العلمیه فی القرآن هناک جوانب بالغه الأثر فی الحکمه، تمثل مفتاحا لشخصیه الفرد،و شفاء لأمراضها و عقدها،فعند ما نقرأ قصه قارون فان الذی نعتبر به من هذه القصّه یساوی أو یفوق ما نتعلمه منها،فنحن نتعلم منها أثر الثروه و میکانیکیتها فی المجتمع(قانون الثروه)و هذا وحده لا یکفی إذا لم نعتبر منها فی إصلاح أنفسنا عند مواجهه زینه الحیاه الدنیا بتجاوز ظاهر الأحداث الی لبها،و تفاصیل القصه الی هدفها و ذلک من خلال وعی الآیه القرآنیه:

«یَوْمَ لاٰ یَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ إِلاّٰ مَنْ أَتَی اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ» .

و الحدیث الشریف عن الدنیا انها:

«تغر و تضر و تمر » (۱)و کثیر هم الذین تخدعهم الدنیا،فیحسبونها غایه المنی،و لکنهم حینما یجربونها یجدونها کالحیه ظاهرها أملس،و باطنها السم الزعاف،و هی کماء البحر کلما یشرب العطشی منه کلما یزدادون ظمأ،و هکذا کلما لهث الإنسان وراء زینه الدنیا،یحسبها تحقق اهدافه،کلما ازداد بعدا عنها،

و صدق الامام علی علیه السلام إذ قال:

«منهومان لا یشبعان طالب العلم و طالب دنیا » (۲)و أهم ما نستفیده من هذه القصه التالیه:

و أهم ما نستفیده من هذه القصه التالیه:

۱-من الناحیه النفسیه یجب ان لا تخدعنا الثروه، و تبعدنا عن هدفنا الأکبر و هو الآخره،فلقد کان بإمکان قارون الذی یعجز عن حمل مفاتح خزائنه الرجال الأقویاء،ان یجمع آخرته الی دنیاه،و لکنه حینما قیل له ذلک رفض و قال:ان الأموال التی حصلت علیها کانت نتیجه جهدی و عملی و أنکر فضل اللّه،بینما لم یکن علمه سوی وسیله بسیطه فی جمع هذا المال الذی أعطی له لاختباره، و امتحان إرادته،لذلک فشل فی الامتحان،فخسر الدنیا و الآخره ذلک هو الخسران المبین.

۲-من الناحیه الاجتماعیه یجب ان نلتف حول الأشخاص لما یحملونه من رساله صالحه،و ما یجسدونه من صفات سامیه،و لیس لأموالهم و سلطتهم،و الذی جعل الکثیر من الطواغیت یتسلطون علی رقاب الناس هو تقدیس الناس للثروه، و احترامهم لأصحابها،و جعلها مقیاسا بدل ان تکون القیم هی المحور،و الإسلام

۱- ۱) نهج البلاغه/ح(۴۱۹).
۲- ۲) نهج البلاغه/ح(۲۲۸).

يحسّ س الإنسان بكرامته،و أنها أكبر من المال و الجاه حتى لا يقع فريسه للرأسماليين.رجالا كانوا كما فى الغرب،أو أحزابا فى الشرق،

و فى الحديث الشريف:

«من أتى غنيّا فتواضع له ذهب ثلثا دينه » (۱)۳-ان الذى يستفيد من الثروه فى غير أهدافها،كما لو استخدمها للتّباهى و التّفاخر يخسر الآخره،كما لا يتنعم بثروته فى الدنيا،بل يخسرها.ان هدف الثروه هو عماره الأرض،فإذا استخدمناها للتعالى على الناس،و الفساد فى الأرض فسوف يكون مصيرنا ما انتهى اليه قارون، الذى خسف به فى الدنيا، و هو فى الآخره من الخاسرين.

بينات من الآيات:

وَ لاٰ يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ:

[۷۸]عند ما نصح المؤمنون من قوم موسى قارون،بان لا يفرح بماله،و ان يسعى به نحو أهدافه الحقيقيّه،و هو جعل الدنيا وسيله للآخره،و ليس هدفا بذاتها.

قٰالَ إِنَّمٰا أُوتِيتُهُ عَلىٰ عِلْمٍ عِنْدِي الثروه كانت نتيجه لجهودى،و بالتالى فليس لزاما أن تعطى فى سبيل اللّه لأنها ليست من عنده،هكذا لم ير أىّ اثر للغيب فى حصوله على الثوره،بل لم يجد الغيب قادرا على ان يذهب به و بثروته جميعا،هكذا طغى،و أضحى من الفرحين بما أوتى،لقد كانت نفسه ضيّقه غمرها حب الثروه،فحجبها عن سائر

۱- ۳) بحار الأنوار/ج(۱)/ص(۱۸۲).

الکمالات المعنویه،بل و حجبه عن رؤیه المستقبل،و احتمال زوال هذه الثروه، بل و هلاکه هو معها،و حتی عن رؤیه سائر نعم اللّه علیه التی لا أثر للثروه فیها.

و یعالج القرآن هذه النفسیه المریضه بتوسیع أفقها لتنظر إلی التّاریخ،و یتساءل أین أولئک الذین کانوا یملکون القوه و الثروه؟!و یقول:

أَ وَ لَمْ یَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ قَدْ أَهْلَکَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّهً فی الأنصار.

وَ أَکْثَرُ جَمْعاً فی المال،و ذلک بسبب فسادهم،و لن یمنع اللّه الغنی أن یهلک أحدا.

وَ لاٰ یُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ البعض یتصور أن بإمکانه تبریر انحرافه،و لکن حینما ینزل العذاب فلیس ثمه مجال لسماع التبریرات.هکذا یکون السیر فی الأرض،و النظر فی عواقب الأمم الغابره،و زیاره المقابر،و دراسه حیاه الأثریاء و السلاطین الهالکین أفضل نجاه من غرور النعم و طغیانها.

فَخَسَفْنٰا بِهِ وَ بِدٰارِهِ الْأَرْضَ:

[۷۹]کان قارون یسعی لفرض سلطته علی الناس من خلال ثروته،مما کان یدفعه للتباهی و الظهور بمظهر العظمه،و قد ورد فی الأخبار:انه لم یکن یخرج إلاّ مع أربعین فارسا،قد لبسوا زیّا واحدا.

و فی الأـثر أیضا: و خرج علی موسی علیه السلام فی زینته علی بغله شهباء،و معه اربعه آلاف مقاتل،و ثلاثمائه و صیفه علیهن الحلّی. (۱)

و فی خبر ثالث: خرج علی براذین بیض علیها سروج الأرجوان،و علیهم المعصفرات. (۲)

فَخَرَجَ عَلیٰ قَوْمِهِ فِی زِینَتِهِ و لا شک ان فی المجتمع من تقع هذه المظاهر الدنیویه موقعا فی نفسه لضعف ایمانه،و لأنّه یلتقی مع أمثال قارون فی نقطه واحده هی حب الدنیا.

قٰالَ الَّذِینَ یُرِیدُونَ الْحَیٰاهَ الدُّنْیٰا یٰا لَیْتَ لَنٰا مِثْلَ مٰا أُوتِیَ قٰارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِیمٍ هکذا أفسد قارون بالثروه المجتمع الاسرائیلی،حیث ضللهم عن قیم الرساله الی القیم المادیه.

[۸۰]أما المؤمنون الذین ینظرون للحیاه من خلال بصیره الإیمان،فقد تحملوا مسئولیتهم تجاه هذا الانحراف،فبادروا الی النهی عن المنکر.

وَ قٰالَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ و بالتالی عبروا الظواهر إلی ألبابها،و الدنیا الی الآخره،بل و عرفوا عاقبه هذا الموقف،و هکذا ینبغی للمؤمن ان یتحمل مسئولیته حینما یتأثر الناس بمظاهر الثروه الباذخه.

ص:۳۸۰

۱- ۴) بحار الأنوار/ج(۱۳)/ص(۲۵۳).

۲- ۵) المصدر/ص(۲۵۴).

وَيْلَكَمْ ثَوابُ اللّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً هؤلاء لم يتأثروا بزينه الحياه لأن هدفهم هو الآخره التى لا تقاس بالدنيا، و هذه الكلمات تكشف عن النفسيه العاليه التى تتحدى إغراءات الدنيا بقوه الايمان،و لا ريب ان هذه التحدى يحتاج الى الصبر،أو ليس الصبر ينمى فى الإنسان النظره المستقبليه؟! وَ لا يُلَقّاها إِلَّا الصّابِرُونَ لقد تقدم فى الدروس السابقه:ان من مشاكل النفس البشريه هى العجله، و الميل لما هو حاضر،و حتى يتجاوز الإنسان هذه المشاكل،فانه بحاجه الى الصبر حتى يحصل على ما فى المستقبل و هو العاقبه الحسنه فى الدنيا،و الجنه فى الآخره.

[۸۱] فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ و لكن لماذا يخسف اللّه بداره الأرض؟ لعل ذلك حتى لا تغر بما فيها من زينه أحد غيره.

ان مقام الظالمين يكتسب نحوسته منهم فيستحق الهلاك،هكذا أهلك اللّه القرى لما ظلم أهلها.

فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ حتى الذين تجمعوا حوله،كانوا يريدون شيئا من دنياه،أما و قد ذهبت من يده فهو لا يسوى عندهم شيئا،بل لو حاولوا نصره لما استطاعوا أبدا.

وَ ما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ

ص:۳۸۱

و هذه الآیه مثل علی الحقیقه الآنفه «أَ وَ لَمْ یَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ قَدْ أَهْلَکَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ» .

و قد نهی النبی صلی الله علیه و آله ان یختال الرجل فی مشیته فقال:

«من لبس ثوبا فاختال فیه خسف اللّه به من شفیر جهنم،و کان قرین قارون،لأنه أوّل من اختال فخسف اللّه به و بداره الأرض » (۱)[۸۲]و بعد ما خسف بقارون،و انتهی کل ملکه تبیّنت للذین تمنوا مکانه حقیقتان:

الاولی:عرفوا کذب ما قاله لهم قارون من ان هذه الأموال من عنده،منکرا أنّ اللّه هو الذی یوّسع و یضیّق علی من یشاء،و الدلیل أنّ اللّه هو الذی سلب منه ماله،و الذی یقدر علی سلب المال بهذه الکیفیه لهو قادر علی إعطائه.

وَ أَصْبَحَ الَّذِینَ تَمَنَّوْا مَکٰانَهُ بِالْأَمْسِ یَقُولُونَ وَیْکَأَنَّ اللّٰهَ یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ یَقْدِرُ ثم حمدوا اللّه انهم ما انحرفوا مع قارون،و الا لشملهم العذاب.

لَوْ لاٰ أَنْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَیْنٰا لَخَسَفَ بِنٰا الثانیه:عرفوا أن الکافر الذی یکابر اللّه،و لا یستفید من نعمه فی أهدافها الحقیقیه یفشل فی الحیاه،و أنّ المفلح هو المؤمن الذی یعمل الصالحات،کما أکّد علی ذلک أهل العلم الإلهی فی الآیه(۸۰).

۱- ۶) نور الثقلین/ج(۴)ص(۱۴۰).

وَيْكَأَنَّهُ اى ويل لك يا قارون انه...

لاٰ يُفْلِحُ الْكٰافِرُونَ و العاقبه للمتقين.

[۸۳]و جاءت فى خاتمه الدرس آيه توجز عبرها و حكمها: ان رسالات اللّه نزلت حتى تزكّى أفئده الناس من دنس الاستكبار و الفساد،و تطهر جنبات المجتمع من المستكبرين و المفسدين،فهذا فرعون علا فى الأرض و استكبر،فقصم اللّه ظهره حين بعث موسى برسالاته و آياته،ثم نبذ فرعون و جنوده فى اليم،و قارون إذ بغى على بنى جلدته،ففسد فى الأرض خسف اللّه به و بداره الأرض بدعوه موسى عليه السلام .

ان فرعون لهو الامثوله الظاهره للاستكبار،و ان قارون لهو الأحدوثه البيّنه للفساد.

و إذ يضرب اللّه بهما مثلا فلان الأمثال تضرب بأوضح المصاديق،و أشدّها إثاره،بينما تتسع عبرتها لكل من يكون مثلهما بنسبه وجود صفتهما فيه.

ان القلب الذى ينزع نحو العلو فى الأرض ينطوى على فرعون صغير،و الفؤاد الذى يهوى الفساد يحمل فى ذاته قارونا بقدره،

ورد فى الحديث:

«طوبى لمن أطاع موسى تقواه،و عصى فرعون هواه » و كما ان النار تحرق ما حولها بقدرها،كذلك الانحراف يؤثر بقدره،و لا يمكن

ان ننكر طبيعه الحرق فى النار حتى و لو كانت قبسا،كـذلك لا يجوز ان نسـتهين بخطر الاسـتكبار و الفساد حتى و لو كان بقـدر ذره،و الدنيا دار ابتلاء و تمحيص،و لا بد ان يتطهر القلب من أثار التكبر و الفساد حتى يضـحى أهلا للجنه.دار ضـيافه اللّه،و مقام كرامته،و مأوى أوليائه و أحبائه.

تِلْكَ الـدّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيـدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ أما الطغاه و أولياؤهم فان لهم دارا أخرى،حيث يساقون الى النار و ساءت مصيرا.

و أيّ امتحان عسـير يتعرض له أهل الولايه و السياسه،حيث يطالبهم الرب بان ينزعوا عن قلوبهم رداء التكبر،و يعيشوا للناس و مع الناس،و فى مسـتوى المحرومين من الناس؟!و اين تجد مثل هؤلاء؟! بلى،كان ذلك أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام حيث

يروى عنه راذان:

«انه كان يمشـى فى الأسواق و هو وال يرشد الضال،و يعين الضـعيف،و يمّر بالبياع و البقّال،فيفتح عليه القرآن و يقرأ هذه الآيه،و يقول:نزلت هـذه الآيه فى أهل العـدل و التواضع من الولاه،و أهل القـدره من سائر الناس » (۱)و كـل من طلب الرئاسه بغير حقها فى كل حقل حتى و لو كان ضمن قياده حزب أو تجمع أو هيئه،بل و حتى رئاسه عشيرته و أسرته تشمله هذه الآيه.

يقول الامام على عليه السلام : و هو يصف الذين شقوا عصى الأمّه فى عصره،و فرقوها يقول:

۱- ۷) نور الثقلين/ج(۴)ص(۱۴۴).

«فلما نهضت بالأمر نكثت طائفه،و مرقت أخرى،و فسق آخرون،كأنهم لم يسمعوا اللّه سبحانه إذ يقول: «تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» بلى..و اللّه لقد سمعوها و وعوها،و لكنهم حليت الدنيا فى أعينهم،و راقهم زبرجها » (۱)و نقرأ حديثا يجعل كل حب للاستعلاء حاجزا بين الإنسان و دخول الجنه،

يقول الامام على عليه السلام :

«الرجل يعجبه شراك نعله،فيدخل فى هذه الآيه » (۲)وَ لا فَساداً إنّ اجلى مصاديقه:تخريب قيم المجتمع و محاوله السيطره عليه عبر الثروه، و السعى وراء إفساد ضمير أبنائه بالرشوه.

و من مصاديقه:إفساد اقتصاده بالغش،و سرقه جهود الفقراء بوسائل غير شريفه،و التلاعب بأرزاق العباد بالاحتكار،و لكن لا يتوقف الفساد عند هذا الحد،بل شهوات الدنيا جميعا تدعوك الى الفساد إذا لم تضبطها فى حدود العقل و الشرع.أو ليس الإسراف فى استهلاك الموارد الطبيعيه ينشر الفساد فيها،كذلك الإكثار فى الطعام و الجنس يرهق جسمك،و هو بدوره يعتبر ضربا من الفساد؟! أو ليس طلب المزيد من الحقوق فى مقابل القليل من الواجبات يرجح كفه الفساد فى حياتك؟!بلى..لذلك

جاء فى الحديث فى صفه المؤمن:

۱- ۸) المصدر/ص(۱۴۳).

۲- ۹) المصدر/ص(۱۴۴).

«المؤمن حسن المعونه،خفيف المؤنه » و أقولها بصراحه:ان منهج الاستهلاک و الشره و الحرص على الدنيا فى أبناء المجتمع هو الذى يؤدى-بالتالى-الى سيطره المترفين من أولى الثروه علينا،و من خلالهم تحكمنا الإمبرياليه الدوليه.ان المترفين هم الجزء الظاهر من جبل الثلج فى فساد الاقتصاد.انهم فروع شجره ضربت بعروقها بعيدا فى أعراض المجتمع.

ان الركض وراء الربح السريع،و التهاون فى العمل،و البحث عن الرفاه و الرخاء المجانيين،و ترک الإتقان،و التطفيف فى العمل.كل هذه عوامل للانحطاط الاقتصادى،الذى يؤدى بدوره الى الفقر و التبعيه.

متع الدنيا وسائل بلوغ الآخره،و أفضل المناهج للتحرز من الفساد الزهد فى الدنيا،دعنا نتلوا معا الحديث التالى فى تفسير الآيه،و بيان المصاديق الخفيّه منه.

الحديث يقول:

روى حفص بن غياث قال ابو عبد اللّه عليه السلام :

ما منزله الدنيا من نفسى الا بمنزله الميته.إذا اضطررت إليها أكلت منها، يا حفص!ان اللّه تبارک و تعالى علم ما العباد عاملون،و إلى ما هم صائرون، فحلم عنهم عند أعمالهم السيئه لعلمه السابق فيهم،فلا يغرنک حسن الطلب ممن لا يخاف الفوت،ثم تلا قوله: «تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَةُ....» الآيه،و جعل يبكى و يقول:ذهبت-و اللّه-الأمانى عند هذه الآيه قلت جعلت فداک،فما حد الزهد فى الدنيا؟

فقال:

قد حدّ اللّه-عز و جل-فی کتابه فقال: «لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ وَ لاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاكُمْ» (۱) و إذا کان الامام الصادق علیه السلام یبکی عند تلاوه هذه الآیه خشیه الا یکون ممن تشملهم فکیف بمثلی ممن استبد بقلبه حب الدنیا،و حلیت فی عینه الضیّقه، و استهوته الرئاسات و طلبها بکل وسیله؟!أعاذنا اللّه جمیعا منها و من شرورها.

وَ الْعٰاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ الذین یحفظون أنفسهم من نار جهنم بالتزام نهج الحق،و تعالیم الشرع فی کل صغیره و کبیره.

ص:۳۸۷

۱- ۱۰) نور الثقلین/ج(۴)/ص(۱۴۳).

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۸۴ الی ۸۸]

اشاره

مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ خَیْرٌ مِنْهٰا وَ مَنْ جٰاءَ بِالسَّیِّئَهِ فَلاٰ یُجْزَی اَلَّذِینَ عَمِلُوا اَلسَّیِّئٰاتِ إِلاّٰ مٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ (۸۴) إِنَّ اَلَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ اَلْقُرْآنَ لَرٰادُّکَ إِلیٰ مَعٰادٍ قُلْ رَبِّی أَعْلَمُ مَنْ جٰاءَ بِالْهُدیٰ وَ مَنْ هُوَ فِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ (۸۵) وَ مٰا کُنْتَ تَرْجُوا أَنْ یُلْقیٰ إِلَیْکَ اَلْکِتٰابُ إِلاّٰ رَحْمَهً مِنْ رَبِّکَ فَلاٰ تَکُونَنَّ ظَهِیراً لِلْکٰافِرِینَ (۸۶) وَ لاٰ یَصُدُّنَّکَ عَنْ آیٰاتِ اَللّٰهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَیْکَ وَ اُدْعُ إِلیٰ رَبِّکَ وَ لاٰ تَکُونَنَّ مِنَ اَلْمُشْرِکِینَ (۸۷) وَ لاٰ تَدْعُ مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ کُلُّ شَیْءٍ هٰالِکٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ لَهُ اَلْحُکْمُ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ (۸۸)

ص:۳۸۸

كُلَّ شَیْءٍ هٰالِکٌ إِلاّ وَجْهَهُ

هدی من الآیات:

کما فی خواتیم السور نتلو فی الدرس الأخیر من هذه السوره أهم ما جاء فیها من بصائر نشیر إلیها:

١-تختلف الحسنات عن السیئات فی أن جزاءها مضاعف،فبینما یجازی أصحاب السیئات بقدرها،یعطی أصحاب الحسنات عشره أضعاف ما عملوا من الأجر،و مثل السیئات و الصالحات فی الدنیا ما یلی:لو أردت حرق بیدر من القمح یکفیک ان تشعل النار فیه حتی تأتی علیه و تحوله رمادا،و لکن هل یقدر الرماد علی حرق بیدر آخر.کلا..أما لو زرعت حبه قمح فانها تتحول الی سنبله،و تصیر عشرات الحبوب،التی إذا زرعت تحولت الی سنابل جدیده،و من ثم الی بیدر آخر، و هکذا سنه اللّه فی الحیاه،فقد بنی اللّه الکون علی أساس نمو الصالحات،و تحدید السیئات،ذلک لان کل ما فی الکون من قوانین و سنن یساعد بفعالیه علی البناء،

بينما لا تساعد الهدم الا فی ظل قوانين الهلاک الفطريه.

الـذی يبنی يعمـل معه كـل مـا فی الكون لأنـه الآخر يبنی،و نسـتوحی من هـذا فكره هامه و هی:ان أفضل وسـيله لنمو الإنسان و تكامله ليس هـدم الآخرين و انما بناء ذاته،لأنه بالبناء سوف تتفاعل معه قوی الطبيعه و سـننها،أما عن طريق الهدم فهو يخسـر كل ذلک.

۲-ان الحركات القسـريه التی لا تنسـجم و طبيعه الحياه يحكمها الفشل، فبالرغم من ان الظلم و البغی و ما أشـبه،قـد فسـح له ربنا المجال ليختبر اراده البشـر، الا انه لا يدوم باعتباره حركه قسـريه فالذين يخرجون من بلادهم بالظلم لا بد ان يعودوا اليه و لو بعد حين،و فی التاريخ تمت هجرات قسـريه كثيره،بعضـها من أجل الرساله،و بعضـها من أجل الكلأ و الماء،و بعضها بسبب الإرهاب الحاكم،و لكن أصحابها كانوا يعودون و لو بعد قرون منتصرين.

و هذا يدل علی ان تلک الأعمال التی جرت علی الرغم من العداله و الحق فی الكون،محكومه بالفشل و قد انتهت بالفعل،و هذا ما تؤكـده الآيه الثانيه فی هـذا الـدرس،و التی نزلت علی المهاجرين فی المدينه،فی الوقت الذی كان أكثرهم لا يحلمون بالعوده الی وطنهم الاول.

۳-علی الإنسان الذی يحمل مشـعل العلم و الرساله ان لا يتصور بأن ذلک له بل انه من اللّه القی اليه،و بالتالی يجب أن لا يسـعی للحفـاظ عليهـا و علی مركزه فيهـا حتی لو كـان ذلـک علی حسـاب قيمه و مبـادئه،فالرسول لو لا رساله اللّه لكان فردا عاديا.اذن فالـذی منحه الرسـاله هو القـادر ان يبقيه فی علو الشأن الـذی بلغه بسـببها،و يجب ان لا يفكر بأن يكون ظهرا للكافرين،ليكتسب منهم القدره، أو يتنازل عن بعض ما أنزل اليه طمعا فی تأييدهم(كما فعل النصاری بدينهم

فافسدوه)و هذا يجرى فى علماء الدين،لأن القرآن نزل كما

فى الحديث على لغه:

«ايّاك أعنى،و اسمعى يا جاره » الخطاب موجه للرسول،و لكن الذى يجب ان يسمع هم الذين يسيرون على خطّه،و يعملون بمنهجه و هم علماء الدين،فسرّ عظمتهم هو الرساله التى يتحملون مسئوليتها،فلو فكّروا أن يكتسبوا الشهره و العظمه من مصدر آخر كالكفار،أو السلطات الفاسده،أو الجماهير المنحرفه،فإنّ ذلك يكون خرقا لسنن اللّه فى الحياه، و من ثم عاملا فى انحطاط منزلتهم،و ربما نهايتهم،فليحترموا أنفسهم و العلم الذى تحملوا أمانته،و ليستقيموا،و ليتحدّوا الصّعاب،و ليتجاوزوا العقبات بالتوكل على اللّه،و العمل بهدى الرساله.

و فى الأخير تختم السوره بالتذكره بالتوحيد،و هو لا يعنى الإيمان باللّه،و انه فاطر السموات و الأرض فقط-فهذا أمر لا ريب فيه-قال تعالى: أَ فِى اللّهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ (۱)و قال: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ (۲)و لكن مشكله البشر الشرک،حيث يخلط بين القيم الإلهيه الساميه،و الاخرى الماديه الجاهليه.الأمر الذى لا يجعله يخلص العباده للّه.

و أكثر الذين ضلّوا منذ خلق اللّه آدم حتى اليوم انما ضلّوا بسبب شركهم، و مشركى العرب انما عبدوا الأصنام تصوّرا منهم بأنها تقربهم الى اللّه زلفى: «ما نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللّهِ زُلْفى» (۳)

ص:۳۹۱

۱- ۱) إبراهيم/(۱۰).

۲- ۲) لقمان/(۲۵)،الزمر/(۳۸).

۳- ۳) الزمر/(۳۷).

و هـذه الفكره تتنـاسب مع الفكره السـابقه،انمـا يعبـد القوى التى تملك ذلك كالاغنياء،و الحكومات،و الناس،بينما ينبغى له أن يعبد إله الناس و ليس الناس أو كبراؤهم و اغنياؤهم.

بينات من الآيات:

[۸۴]ان عامل البناء يسبق عامل الهدم فى الحياه:

مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهٰا

و فى الحديث القدسى:

«لما اعطى اللّه إبليس ما أعطاه من القوه،قال آدم:يا رب!قـد سـلّطت إبليس على ولـدى،و أجريته منهم مجرى الدم من العروق،و أعطيته ما أعطيت فمالى و لولدى؟قال:لك و لولدك السيّئه بواحده،و الحسنه بعشر أمثالها،قال:

يا رب زدنى،قال:التوبه مبسوطه حتى تبلغ النفس الحلقوم،قال:يا رب زدنى، قال:أغفر و لا أبالى » (۱)و قال عز و جل: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنٰابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ وَ اللّٰهُ يُضٰاعِفُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ اللّٰهُ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ» (۲)و على العكس من ذلك تقوم الحياه على محدوديه السيئه(الهدم).

وَ مَنْ جٰاءَ بِالسَّيِّئَهِ فَلاٰ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئٰاتِ إِلاّٰ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ

ص:۳۹۲

۱- ۴) كلمه اللّه ص(۳۵۴).

۲- ۵) البقره/(۲۶۱).

و هذا و ذاک من نعم اللّه علی الإنسان،و الشقی الشقی هو الذی لا یستفید من بحر رحمه اللّه،فتزید سیئاته علی حسناته مع ان تلک بواحده،و هذه بعشر أمثالها.

قال ابو عبد اللّه علیه السلام :کان علی بن الحسین علیه السلام یقول:

«ویل لمن غلبت آحاده»فقلت له:و کیف هذا؟!فقال:«أما سمعت اللّه عز و جل یقول: مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثٰالِهٰا وَ مَنْ جٰاءَ بِالسَّیِّئَهِ فَلاٰ یُجْزیٰ إِلاّٰ مِثْلَهٰا فالحسنه الواحده إذا عملها کتبت له عشرا،و السیئه الواحده إذا عملها کتبت له واحده،فنعوذ باللّه ممن یرتکب فی یوم واحد عشر سیئات،و لا یکون له حسنه واحده فتغلب حسناته سیئاته » (1)و تشیر خاتمه الآیه إلی أنّ جزاء العمل فی الآخره ذات العمل بعد ان یتجسد فی صوره مادیه بشعه،فالظلم فی الدنیا ذاته هی الظلمات التی تحیط بصاحبها فی الآخره،و من أکل اموال الیتامی ظلما فانما یأکلون فی بطونهم نارا،و سیصلون سعیرا،اما النتن الذی یخرج من أفواه الفاسقین فانه ذاته الکذب الذی افکوه أو الغیبه و التهمه و الفریه التی مارسوها فی دار الدنیا.دعنا نستغفر ربنا حتی یقینا شر السیئات التی اقترفناها،و الذنوب التی احتطبناها.

[85]الحیاه قائمه علی أساس سبق البناء لا الهدم،و أن الحرکات القسریه نهایتها الفشل،بینما الحرکات التی تجری وفق سنن اللّه فی الخلق تنجح و تثمر، لأن عامل الزمن یکون فی صالحها،و هذه الفکره هی منطلق لفکره أخری و هی ضروره انتصار الحرکات الإلهیه عبر الأجیال.

إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لَرٰادُّکَ إِلیٰ مَعٰادٍ

1- 6) نور الثقلین ج(1)ص(785).

ای ان الذی أنزل القرآن و فرضه علیک یردک الی وطنک الذی هجرک منه الکفار و المشرکون.

و لکن لماذا قال تعالی: إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ »و لم یقل ان اللّه العزیز مثلا؟ الجواب:هناک قاعده بلاغیه تقتضی انسجام المفردات مع السیاق،و هنا نجد ترابطا وثیقا بین فرض القرآن و عوده الرسول الی بلده،فما دام اللّه هو الذی أعطی الرسول منهج العمل،و فرض علیه الالتزام به،فانه یجعل هذه الأداه فعاله و کفیله بأخذ حقه،و بلوغ أهدافه کعودته إلی بلاده منتصرا بعد الهجره،و هذا ینطوی علی فکره حضاریه هی:ان المهاجر لا یمکن أن یعود الی بلده،إلاّ إذا طبّق البرنامج الالهی و هو القرآن الحکیم.

ثم یشیر القرآن الی ما یبدو انه تعلیل للحکم السابق إذ یقول:

قُلْ رَبِّی أَعْلَمُ مَنْ جٰاءَ بِالْهُدیٰ وَ مَنْ هُوَ فِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ ان الهدی ینسجم مع سنن اللّه فی الخلق،بینما یتنافر الانحراف معها، و بالتالی فالذی یتّبع الهدی اعتقادا و عملا سیصل إلی أهدافه،لأن اللّه المهیمن علی الخلق هو العلیم بالمهتدین فینصرهم،بینما أصحاب الضلال یحبط أعمالهم.

[۸۶]و الضمانه الرئیسیه لوصول الإنسان الی الجادّه هی الاستقامه علی الهدی، و بدونها لا یزداد إلا بعدا عنها،فلو استجاب للضغوط أو الإغراءات التی تحف طریقه نحو تطلعاته و اهدافه فهل یصل إلیها؟بالطبع کلا..

وَ مٰا کُنْتَ تَرْجُوا أَنْ یُلْقیٰ إِلَیْکَ الْکِتٰابُ إِلاّٰ رَحْمَهً مِنْ رَبِّکَ

اذن فلا تطلب الجاه أو الشهره و العلو من عند غير اللّه.

فَلاٰ تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكٰافِرِينَ و الظهير هو المعين.

[۸۷]و يؤكد القرآن هذه الفكره مره أخرى و يقول:

وَ لاٰ يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيٰاتِ اللّٰهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ و يثنيك عنها الكفار بوسائلهم المختلفه،فمن اتبعهم أو نصرهم لا ينتفع من آيات اللّه فى الخلق،و لا آيات اللّه فى الكتاب.

وَ ادْعُ إِلىٰ رَبِّكَ اى استمر فى الدعوه الى اللّه وحده.

وَ لاٰ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بخضوعك لهم.

[۸۸] وَ لاٰ تَدْعُ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ لقد تقدم القول بأن الشرك هو مشكله الإنسان الأولى،فترى الكثير من الناس يخضعون للّه ظاهرا،و لكنهم يخضعون فى قسم كبير و مهم من حياتهم للسلطه،أو المال،أو الشهره،أو..أو..،و إذ يدعو اللّه للتوحيد المخلص فلأن الواقع ينسجم مع هذه الدعوه،حيث لا يوجد إله سواه.

لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ

الإنســان مفطور على الخضوع للقوه،و الجاه،و الثروه،و لكنه يضــل الطريق فيخضع لغير اللّه،بينما اللّه هو مطلق القوه،و الثروه،و..و..،فتراه تاره يتصور والده هو مصدر المال،أو أنّ السلطه هى منتهى القوه،فيخضع لهما مخالفا هدى اللّه و أوليائه.

كما ان من طبيعه الإنسان البحث بين متغيرات الحياه عن شىء ثابت يعتصم به،و اللّه يؤكد له ان لا شىء ثابت غير اللّه.

كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ لا ريب ان اللّه باق،لكن الآيه تؤكد على ان ما يتعلق به سبحانه هى الأخرى باقيه،فكلّ شىء هالك إلاّ ما كان لوجه اللّه تعالى،فوجه الشيء هو الظاهر منه، و وجه اللّه هو سبيله و نهجه.

لَهُ الْحُكْمُ السلطه.

وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فله العاقبه و اليه المنتهى.

ص:٣٩۶

سوره العنکبوت

اشاره

ص:۳۹۷

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره:

-١

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم:

«من قرأ سوره العنكبوت كان له من الأجر حسنات بعدد كلّ المؤمنين و المنافقين».

تفسير نور الثقلين ج /۴ص ۱۴۷ ۲-

عن أبى عبد اللّه الحسين-عليه السلام-أنّه قال:

«من قرأ سوره العنكبوت و الروم فى شهر رمضان ليله ثلاث و عشرين فهو -و اللّه يا أبا محمد-من أهل الجنه،لا أستثنى فيه أبدا،و لا أخاف أن يكتب اللّه علىّ فى يمينى إثما،و انّ لهاتين السورتين من اللّه مكانا».

تفسير مجمع البيان ج /۸ص ۲۷۱

الإطار العام

الاسم:

العنكبوت حشره حقيره إلاّ أنّ نسجها يرى فى كلّ مكان،و هى تعتمد عليه كأنّه فعلا بيت معمور إلاّ أنّ هبّه نسيم كفيله باقتلاعه..هكذا يضرب ربّنا مثلا للعلاقات الشركيه،و يسمّى به سوره تحدثنا عن حقيقه الدنيا،و علاقات أبنائها ببعضهم،و فتنتها للمؤمنين.

ما هى الدنيا؟و ما هى حقيقتها؟و ما هى علاقات أبنائها ببعضهم؟و ما هو مصيرها؟و ما هى مسئوليتنا فيها؟ إن عشرات من الأسئله ترتسم يوميا فى أذهاننا و نحن نصارع ظواهر الدنيا، و نجد فى الذكر الحكيم بصائر جليّه تهدينا ليس فقط الى الحقائق و انما ترفع الستائر الغليظه التى لا تدعنا نرى الدنيا على حقيقتها،و لعلنا نجد منظومه متكامله لهذه البصائر هنا فى سوره العنكبوت.

ص:۴۰۱

و يبدو أن الهدف الأسمى من هذه البصائر التى تجلو بها الأفئده الزّاكيه بناء المؤمن الصابر الذى يتحدى كالجبل الأشم عواصف الفتن.

لقد شاهدنا عبر الطواسين التى سبقت سوره العنكبوت،كيف جاهد رسل اللّه الأمم الفاسده. و ينبغى أن يسير على هداهم الصالحون الذين يجاهدون الفساد، و يصبرون على الأذى،و ينتظرون نصر ربهم،و هو كما يبدو موضوع هذه السوره.

من أجل تحقيق هذا الهدف التربوى المتسامى لا بد أن يعرف المجاهد حقيقه الدنيا،و حكمه فتنها،و ضرورتها،و أن الذين يرتكبون السيئات لا يسبقون ربهم -هذا ما نجده فى الآيات الثلاث الأولى-و يعرف ان مده الفتنه محدوده إلى أجل مسمّى،حين يلقى المجاهد ربه ليوفيه جزاءه.

أما الضغوط فتأتى من الوالدين اللذين قد يجاهداه على الشرك،و قد تأتى من المجتمع الفاسد الذى يريد أن يفتنه،و قد تأتى من السلطه الفاسده التى مهما كانت فتنتها شديده فانها أخف من عذاب اللّه.

و يعود القرآن يذكرنا بقصص نوح و إبراهيم و لوط و سائر الأنبياء العظام -عليهم السلام-و كيف جاهدوا رفض الفاسدين من أممهم،و ان اللّه أهلك أولئك الفاسدين،و نصر عباده المخلصين.كل ذلك يذكرنا به الرب لعلنا نتخذه قدوه،و نعرف أن سنن الصراع كانت جاريه عند المقربين الى اللّه سبحانه،و هم الذين اختارهم اللّه على علم،فكيف بنا و لمّا يعلم المجاهدون منا و الصابرون.

و عبر قصه إبراهيم و الحوار الذى جرى بينه و بين قومه المشركين يذكرنا الرب بزيف الأوثان،و انها تعبير عن العلاقات الاجتماعيه الباطله التى يتجلى زيفها فى الآخره،حيث أن الكفار الذين اتخذوا الأوثان محور تجمعهم يلعن بعضهم بعضا.

ص:۴۰۲

و يبدو ان الآيات(۳۶-۴۰)التى اختصرت قصص العديد من الرسل الكرام، و أو جزت القول فى مصير المكذّبين بهم تبين السنن الإلهيه التى جرت فيهم جميعا -سنه الإنذار،سنه الرفض،سنه العذاب المدمر-لعلنا نعرف حقائق كبرى من خلال تلك القصص و بالذات فيما يتصل بالجهاد فى سبيل اللّه.

و بعدها مباشره نقرأ الآيه التى سميت السوره بها و لعلّها تبين أهم بصائر السوره أو تختصر بصائرها جميعا و هى ان العلاقات الشركيه تشبه فى زيفها،و ثقه أصحابها بها،و اعتمادهم عليها العنكبوت التى اتخذت بيتا و إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت.

ما أكرم هذه الآيه،و ما أعظم البصائر التى فيها،و ما أحوجنا إليها و نحن نصارع المستكبرين و المترفين.

انها تبين واقع هؤلاء المشركين،و أنه أوهن البيوت،و أن عاصفه الرفض تقتلعها بإذن اللّه.

لماذا هم كذلك؟لأن بناء الخلق قائم على أساس الحق،أما بناؤهم فهو متشبث بنسج العنكبوت الباطل،و من خلال هذه البصيره يعرفنا الذكر بحقيقه الدنيا،و التى لو عرفناها هانت علينا مصيباتها،و احتقرنا زينتها،و اتقينا مكرها، و انقشعت عن بصائرنا غشاوه غرورها.

ما هو البرنامج الذى يجعلنا نعرف حقيقه الدنيا،و نتحدى الفتن التى تتوالى علينا؟ انه يتلخص فى تلاوه الكتاب،و اقامه الصلاه،و ذكر اللّه.

و يتعرض السياق لبيان الموقف من أهل الكتاب،و لعلّه بهدف تكميل الصوره،حيث أن الموقف من المفسدين أضحى واضحا من خلال قصص الرسل، و بقى الموقف من اتباع الرسل،و لأن تكريمهم يقتضى تكريم أتباعهم،و لأن جو

السوره هو جو الجهاد،و الجهاد مع الظلم و الكفر بحاجه الى وحده الصف،فانه كان مناسبا الحديث عن أهل الكتاب،و أنه ينبغى جدالهم بالتى هى أحسن، و بيان أسس الوحده التى تجمعنا و إياهم،و انما القسوه تكون مع الظالمين منهم(كما تكون مع الظالمين منا).

و يبين السياق مصداق الجدال بالتى هى أحسن.أى شواهد صدق الرساله التى تقنع المنصفين من أهل الكتاب،أما الكافرون فإنهم يجحدونها(من واقع كفرهم)فهذا النبى لم يكتب و لم يقرأ من قبل و قد جاء بآيات تتبين فى صدور العلماء فيصدقونها،بيد أن الظالمين يجحدون بها(من واقع ظلمهم)و هم يطالبون بالمزيد من الآيات و لا يعلمون أن أمر الآيات بيد اللّه لا الرسول،و هذا الكتاب العظيم أليس فيه آيه كافيه،و اللّه أعظم شهيد على صدق رسالاته بما يهدى القلوب الصادقه إليها و بنصره و تأييده لها.

و يجادل الذكر الذين يستعجلون بالعذاب،و يقول:انه سوف يؤخّر الى أجل مسمى،و لكن يأتيهم بغته و هم لا يشعرون،و ان جهنم لمحيطه بالكافرين،حيث تغشاهم النار من فوقهم و من تحت أرجلهم.

و هكذا يثبّت اللّه الذين آمنوا،و يعلمهم كيف يجادلون عن الرساله،و لكن ماذا عن الضغوط التى يتعرضون لها؟يقول ربنا:ان الهجره الى أرض اللّه الواسعه، و معرفه أن الموت قدر لكل نفس،و ان العاقبه هى الأهم،حيث يبوّء اللّه الصالحين جنات جزاء أعمالهم،و ان علينا الصبر على البلاء و التوكل على اللّه عند الشدائد حتى نستحق تلك الجنات.

و ان الأرزاق بيد اللّه،فلا يخشى المجاهد قطع رزقه بسبب الهجره،أو لأمره بالمعروف و نهيه عن المنكر.و يفصل الذكر الحديث فى ذلك،و يبين أَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ

الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يَقْدِرُ و انه هو الذى يُنَزِّلُ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَيُحْيِى بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا .

و لكى تطمئن نفوس المجاهدين يبين القرآن حقيقه الدنيا،و انها لهو و لعب، و انما الحياه حقا فى الدار الآخره.

و ان علاقات المشركين باطله،و الدليل انها لا تنفعهم عند الشده،فحين تحيط بهم أمواج البحر،و تكاد تبتلعهم يدعون اللّه مخلصين له الدين،ثم يشركون بعدئذ باللّه.كفرا بنعمته،و مزيدا من التمتع بملذات الدنيا الزائله التى سوف يعلمون مدى خسارتهم بها.

ثمّ يبين اللّه انهم يؤمنون بالباطل،و يكفرون بنعمته عليهم-و الرساله أعظم نعمه-ألا تراهم لا يعتبرون بهذا الحكم الإلهى الذى يؤمن لهم السلام فى مكه، بينما يتخطف الناس من حولهم.

و بعد أن يبيّن مدى الظلم الذى يقترفه الذين يفترون على اللّه كذبا بحق أنفسهم و الناس،يبشر المجاهدين بأنه سيهديهم سبله التى تقربهم إليه،و تساعدهم للتمكن فى الأرض،و ان اللّه لمع المحسنين.

ص:۴۰۵

[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۱ الی ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِیمِ . الم (۱) أَ حَسِبَ اَلنّاسُ أَنْ یُتْرَکُوا أَنْ یَقُولُوا آمَنّا وَ هُمْ لا یُفْتَنُونَ (۲) وَ لَقَدْ فَتَنَّا اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَیَعْلَمَنَّ اَللّهُ اَلَّذِینَ صَدَقُوا وَ لَیَعْلَمَنَّ اَلْکاذِبِینَ (۳) أَمْ حَسِبَ اَلَّذِینَ یَعْمَلُونَ اَلسَّیِّئاتِ أَنْ یَسْبِقُونا ساءَ ما یَحْکُمُونَ (۴) مَنْ کانَ یَرْجُوا لِقاءَ اَللّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اَللّهِ لَآتٍ وَ هُوَ اَلسَّمِیعُ اَلْعَلِیمُ (۵) وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما یُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اَللّهَ لَغَنِیٌّ عَنِ اَلْعالَمِینَ (۶) وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ لَنُکَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَیِّئاتِهِمْ وَ لَنَجْزِیَنَّهُمْ أَحْسَنَ اَلَّذِی کانُوا یَعْمَلُونَ (۷) وَ وَصَّیْنَا اَلْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حُسْناً وَ إِنْ جاهَداکَ لِتُشْرِکَ بِی ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما إِلَیَّ مَرْجِعُکُمْ فَأُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۸) وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِی اَلصّالِحِینَ (۹)

اللغه

۸[جاهداک]:ای أجهدا أنفسهما من أجل الضغط علیک.

ص:۴۰۷

أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا؟!

هدى من الآيات:

تفتتح سوره العنكبوت،التى تهون من شأن الحضارات الجاهليه آياتها الكريمه ببيان حقائق شتى،تمهد بها لبيان سنن اللّه فى المجتمعات الفاسده.

أولا-لن يترك الناس من دون فتنه تمحصهم كما تمحص النار الذهب،و انها سنه جاريه غابرا و حاضرا،ليعلم اللّه الصادقين و الكاذبين فى ادعائهم الايمان.

ثانيا:خطأ يزعم المسيئون انهم يتحدّون ربهم بذنوبهم كلا..انهم لا يعجزون.

ثالثا:و هناك أجل مسمى،لا بد أن يأتى المحسنين فينتهى بلاؤهم،و المسيئين فتنتهى أيام مهلتهم فيخسرون.

رابعا:الذين يجاهدون أهواءهم و شياطين الإنس انما يعملون لأنفسهم(و هم

بالتالى لا يربحون اللّه شيئا)ذلک لأن اللّه غنى عن العالمين.و من أعظم مكاسب هؤلاء ان اللّه سيكفر عنهم سيئاتهم و ليجزينهم أحسن ما كانوا يعلمون.

خامسا:من العقبات التى تعترض طريق المجاهدين عاده ضغوط الاسره،و قد أوصانا ربنا بالإحسان الى الوالدين،و لكن أمرنا بتحدى ضغوطهم التى تدفع باتجاه الشرک باللّه،و سيقف الجميع أمام رب العزه لينبؤهم بما كانوا يعملون،و ليوفيهم أجورهم،فالذين آمنوا و عملوا الصالحات يدخلهم فى الصالحين.

هكذا تأتى فاتحه السوره أذانا بما سوف تبيّنه آياتها الكريمه.

بينات من الآيات:

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ تشير هذه البسمله الى ما تحمله هذه السوره من معان من تجاوز عقبه الذات، و ترک الدنيا و زينتها،و لا يتم ذلک إلا بالتوكل على اللّه،و إعمار القلب بالإيمان، و بالتالى باسمه سبحانه.

[۲-۱] الم* أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ كان بعض اتباع الرسل من المؤمنين المخلصين يلقى فى قدور الزيت،و تحفر للبعض أخاديد تسعر نارا،و يلقون فيها أحياء،و كان البعض ينشرون بالمناشير،أو يقتّلوا،أو يصلبوا،و لم يفتنوا فى دينهم أو يتركوه لما يلاقونه فى سبيله،فثبت اللّه فى اللوح ايمانهم،و قيل لهم ادخلوا الجنه مع الداخلين،و هذه السنه جاريه فى كل زمان و مكان، مهما اختلفت الظروف و تعددت المشارب.

فبعض کان یستمر علی الایمان رغم الفتن،و البعض عند ما یجد ان السجن و التعذیب و التشرید و القتل ثمن إیمانه،ینهار إلاّ من رحم ربک.

جاء فی الأثر المروی عن الامام أبی الحسن علیه السلام فی تفسیر الآیه انه قال لمعمّر بن خلاد:«ما الفتنه؟»قلت:جعلت فداک الفتنه فی الدین،فقال:

«یفتنون کما یفتن الذهب»ثمّ قال:«یخلصون کما یخلص الذهب » (1)و حکمه الفتنه فی الدنیا أنها تطهر القلب کما یطهّر الذهب،و قد صنع اللّه الدنیا بطریقه تتناسب و الفتنه،

یقول الامام أمیر المؤمنین علیه السلام:

«و لکن اللّه-جل ثناؤه-جعل رسله أولی قوه فی عزائم نیاتهم،و ضعفه فیما تری الأعین من حالاتهم من قناعه تملأ القلوب و العیون غناؤه و خصاصه یملأ الأسماع و الأبصار أداؤه،و لو کانت الأنبیاء أهل قوه لا ترام،و عزه لا تضام، و ملک یمد نحوه أعناق الرجال،و یشد الیه عقد الرحال لکان أهون علی الخلق فی الاختبار،و أبعد لهم فی الاستکبار،و لآمنوا عن رغبه قاهره لهم أو رهبه مائله بهم، فکانت النیات مشترکه،و الحسنات مقتسمه،و لکن اللّه أراد أن یکون الاتباع لرسله،و التصدیق بکتبه،و الخشوع لوجهه،و الاستکانه لأمره،و الاستسلام الیه أمورا خاصه لا یشوبها من غیرها شائبه،و کلما کانت البلوی و الاختبار أعظم کانت المثوبه و الجزاء أجزل ألاّ ترون ان اللّه جلّ ثناؤه اختبر الأولین من لدن آدم الی آخرین من هذا العالم بأحجار ما تضر و لا تنفع،و لا تبصر و لا تسمع،فجعلها بیته الحرام الذی جعله للناس قیاما،ثمّ جعله بأوعر بقاع الأرض حجرا،و أقل نتائق الدنیا مدرا و أضیق بطون الأودیه معاشا،و أغلظ محال المسلمین میاها،بین جبال خشنه،و رمال دمثه،و قری منقطعه،و أثر من مواضع قطر السماء داثر، لیس یزکو به خف و لا ظلف و لا حافر،ثم أمر آدم و ولده أن یثنوا أعطافهم

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج /۴ص ۱۴۸

نحوه. » و بعد أن بین الامام انه لو کانت مکه فی مناطق ذات بهجه و ثمر لسقط البلاء

قال:

و لکن اللّه جلّ و عز یختبر عبیده بأنواع الشدائد،و یتعبدهم بألوان المجاهد، و یبتلیهم بضروب المکاره،إخراجا للتکبر من قلوبهم،و إسکانا للتذلل فی أنفسهم،و لیجعل ذلک أبوابا[فتحا]إلی فضله،و أسبابا ذللا لعفوه،و فتنه کما قال:« الم أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ یُتْرَکُوا أَنْ یَقُولُوا آمَنّا وَ هُمْ لا یُفْتَنُونَ* وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَیَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِینَ صَدَقُوا وَ لَیَعْلَمَنَّ الْکاذِبِینَ » (۱)أجل یتبین الایمان المستقر من العواری حین تجرد العوائل من فلذات أکبادها، و حین یهجرون خلال حقول الألغام،لیکونوا طعمه یقتات علیها المتحاربون، و التعبیر القرآنی «أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ یُتْرَکُوا» استفهام استنکاری علی أولئک الذین یتصورون ان طریق الإیمان ملیء بالورود.إن طریق الإیمان صعب.

و قد قال الامام الصادق علیه السلام :

«هلک العاملون إلاّ العابدون،و هلک العابدون إلاّ العالمون،و هلک العالمون إلاّ الصادقون،و هلک الصادقون إلاّ المخلصون،و هلک المخلصون إلاّ المتقون، و هلک المتقون إلاّ الموقنون،و إن الموقنین لعلی خطر عظیم » (۲)و یشرح الرسول-صلی اللّه علیه و آله-أنواع الفتن التی سوف تبتلی الأمه بها کما

جاء فی نهج البلاغه: و قام إلیه علیه السلام رجل فقال:أخبرنا عن الفتنه و هل سألت رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-عنها؟فقال علیه السّلام:لما أنزل اللّه

۱- ۲) المصدر/ص ۱۵۰-۱۵۳

۲- ۳) بحار الأنوار ج ۷۰ ص ۲۴۵

سبحـانه قوله: «الم* أَ حَسِبَ النّٰاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّٰا وَ هُمْ لاٰ يُفْتَنُونَ» علمت أن الفتنه لا تنزل بنا و رسول اللّه-صـلى اللّه عليه و آله-بين أظهرنـا،فقلت يا رسول اللّه ما هـذه الفتنه التى أخبرک اللّه بها؟فقال:يا على إن أمتى سـيفتنون من بعـدى،فقلت:يا رسول اللّه:أو ليس قد قلت لى يوم أحد حيث استشـهد من استشـهد من المسـلمين،و أحيزت عنى الشهاده فشق ذلک علىّ فقلت لى:أبشر فان الشهاده من ورائک،فقال لى:إن ذلک لکذلک فکيف صبرک إذا؟فقلت:

يـا رسول اللّه ليس هـذا[من]مواطن الصبر،و لکن من مواطن البشـرى و الشـکر، و قـال:يا على سـيفتنون بعـدى بأموالهم،و يمنون بـدينهم على ربهم،و يتمنون رحمته، و يأمنون سـطوته،و يسـتحلون حرامه بالشـبهات الکاذبه،و الأهواء الساهيه، فيسـتحلون الخمر بالنبيذ،و السحت بالهديه،و الربا بالبيع،قلت:يا رسول اللّه فبأى المنازل أنزلهم عند ذلک أ بمنزله رده أم بمنزله فتنه،قال:بمنزله فتنه (۱) [۳]ثمّ يبين اللّه سـبحانه إن الفتن تصـيب الإنسان. عمل السـيئات أو الخيرات،و ان مشکله الذين يعملون السيئات أو ينهارون أمام المشاکل أکبر لأنهم يخسرون الدنيا و الآخره.

وَ لَقَـدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِينَ صَـدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكٰاذِبِينَ و الفتن تتباين أشـکالها و صورها و جوهرها واحـد،کما أن فتن السابقين کانت مختلفه،فقد جاء فى جوامع الجامع،

و فى الحـديث: «قـد کـان من قبلکم يؤخـذ فيوضع المنشـار على رأسه فيفرق فرقتين،مـا يصـرفه ذلک عن دينه،و يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم و عصب ما يصرفه ذلک عن دينه » (۲)

ص:۴۱۳

۱- ۴) المصدر/ص ۱۴۸

۲- ۵) المصدر/و جوامع الجامع هو مختصر تفسير مجمع البيان للعلامه الطبرسى.

و نحن نری الیوم من المجاهـدین الصامـدین تحت تعـذیب الجلاـدین من البطولاـت النادره ما یجعلنا نزداد یقینا بصـدق الأخبار هذه،التی أنبأت عن صبر و صمود المجاهدین السابقین.

یضـعونهم فی توابیت مغلقه لعـده أشـهر بل لعـده سـنوات،أو یسـمرونهم علی الحیطان خلال أعوام السـجن،لا ینظفون تحتهم،أو یلقون بهم فی أحواض الأسـید، أو یعـذبونهم بـأجهزه تـدار الکمبیوتر لتزرع أجسامهم بالألم الشدیـد،و تمنع عنهم النوم و الراحه لأسابیع،أو یحرقون أشد أجزاء بدنهم حساسیه بأعقاب السجائر،أو یعتدون علی شرفهم و شرف أخواتهم و أزواجهم أمام أعینهم.

و لکنهم لا یزالون صامدین بتوفیق اللّه،لأن أرواحهم قد صـفت من حب الدنیا،و ربتهم هذه الآیه الکریمه،و عرفوا حقیقه الدنیا و حقیقه الآخره،فلم یختاروا علی الآخره شیئا.

و لیس المهم أن یعلم الناس إیمانک،بل الأهم أن یعلم اللّه صدقک.

[۴]مسکین ابن آدم یزعم انه یهرب من حکومه اللّه،أو یعجزه هربا،و یسبق قضاءه و قدره،و انما مثله

مثـل الرجـل الـذی جاء إلی الامام الحسن علیه السـلام فقال له:أنا رجل عاص،و لا أصبر عن لمعصـیه،فعظنی بموعظه،فقال-علیه السّلام-:«افعل خمسه و أذنب ما شئت:فأول ذلک:لا تأکل رزق اللّه و أذنب ما شئت،و الثانی:

اخرج من ولایه اللّه و أذنب ما شئت،و الثالث:اطلب موضعا لا یراک اللّه، و أذنب ما شئت،و الرابع:إذا جاءک ملک المت یقبض روحک،فادفعه عن نفسک،و أذنب ما شئت،و الخامس:إذا أدخلک مالک فی النار،فلا تدخل فی النار،و أذنب ما شئت » (۱)

۱- ۶) بحار الأنوار/ج /۷۸ص ۱۲۶.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا يفوتوننا.كلا..

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ما من يوم يمر على الصابرين حتى يقتربوا يوما إلى رحمه ربهم، و لا يمر يوم على الجلادين حتى يقتربوا خطوه إلى العذاب.

[۵] مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللّهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ و تعطى هذه الآيه أملا لمن يرزح تحت سياط الجلادين،أو فى دهاليز المخابرات،أو المنبوذون بسبب إيمانهم،فمتى ما تناهى البلاء قرب الفرج،و ان جهادك و صبرك إنما هو بعين اللّه.

لقد بعث الطاغيه العباسى هارون الرشيد إلى الامام موسى بن جعفر عليه السلام الذى كان معتقلا عنده من يستميله،فرفض الامام و قال:ما محتواه:لا يمر على يوم إلاّ و أزداد عند ربى ثوابا،و تزداد عند ربك عقابا،و سنلتقى عند ربنا للحساب.

[۶] وَ مَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ عند ما يقاوم المؤمن سلبيات نفسه،و يتحدى ضغوط الحياه يكتب عند اللّه مجاهدا،و الجهاد:بذل الجهد قدر الطاقه فى سبيل اللّه،و جهاد الإنسان يحسب له، و لن يضيع اللّه عمل عامل.

و أيام الإنسان كالأوراق النقديه التى تسقط بسقوط نظام و قيام آخر،فهو إن لم يسارع إلى تغييرها،أو تحويلها إلى بضاعه،ستصبح مجرد أوراق ملونه بدون

ص:۴۱۵

رصید،و أیام ابن آدم إن ذهبت فلن تعود،

فقد ورد فی الحدیث عن أمیر المؤمنین علی (علیه السلام):

«ما من یوم یمر علی ابن آدم إلاّ قال له ذلک الیوم:یا بن آدم!أنا یوم جدید و أنا علیک شهید،فقل فیّ خیرا،و اعمل فیّ خیرا أشهد لک به یوم القیامه » (1)فلنستغل الفرصه کیلا تتحول أیامنا إلی أوراق نقدیه لا رصید لها،

جاء فی الحدیث: «الدنیا ساعه فاجعلوها طاعه » (2)و لا یزید ربنا بأعمالنا غنی.

إِنَّ اللّٰهَ لَغَنِیٌّ عَنِ الْعٰالَمِینَ [۷] وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَنُکَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَیِّئٰاتِهِمْ وَ لَنَجْزِیَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِی کٰانُوا یَعْمَلُونَ و هذه هی البشاره الکبری،فان ربنا-عز و جل-سیمحی السیئات عمن آمن و عمل صالحا،و یعطیهم بدل سیئاتهم حسنات،و هذه أسمی نعم اللّه علی المؤمن،فلو أن شخصا انتبه ذات صباح عند أذان الفجر فتماهل قلیلا،و أخذته الغفوه،ثم انتبه ثانیه،و إذا بالشمس قد طلعت فان علیه أن یصمم لمحو أثر هذا الذنب من نفسه بأن یقوم بعمل عظیم لئلا یفتضح فی یوم البعث علی رؤوس الأشهاد بأنه لم یصلّ الصبح ذلک الیوم إلاّ قضاء،آنئذ لا ینفعه الکذب،و لا تجدیه الواسطه،و أین هی تلک الواسطه التی تستطیع أن تغیّر ما فی الکتاب؟! بلی.فی ذلک الیوم ینفع شیء واحد ألاّ و هو اللّه الکبیر المتعال،و الواسطه هی

ص:۴۱۶

۱- ۷) سفینه البحار/الشیخ عباس القمی/ج ۲/ص ۷۳۹

۲- ۸) بحار الأنوار/ج ۷۷/ص ۱۶۴.

العمل الصالح،فمن عمل صالحا فان اللّه يبدل سيئاته حسنات،و تكتب له فی قائمه أعماله.

اذن فلنبادر إلی استغلال الفرصه،فکلنا مسیء،و من منا من لم یعمل السیئات؟!کلنا خطّاؤون،فلا بدّ أن نغسل خطایانا بالمزید من الأعمال الصالحه،و العطاء فی سبیل اللّه-جهادا و تضحیه-عسی ربنا أن یغفر لنا خطایانا.

[٨] وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً إن أصعب الحالات التی تعترض الإنسان هی مقاومه المجتمع الذی ینشأ فیه، و هنا یشیر القرآن الحکیم إلی ان اللّه یطلب من الإنسان أن لا یجعل والدیه مبررا لتنازله عن مسئولیته،بالرغم من ضروره الإحسان إلیهما و الاهتمام بهما، فالوالدان لیسا بالضروره مثالا یحتذی بهما الابن حتی لو ضغطا علیه خضع إلیهما.

وَ إِنْ جاهَداكَ أی أکثرا علیک الضغوط.

لِتُشْرِكَ بِی ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما أی ضغطا علیک لتشرک باللّه-أیا کان نوع هذا الشرک-و إن ذکراک بالتعب الذی تعبا علیک فی تربیتک،و إن عابا علیک انتماءک إلی تجمع إسلامی.

فَلا تُطِعْهُما فهذا شرک خفیّ.

ص:۴۱۷

إِلَيَّ مَرْجِعُكَمْ فيوم القيامه لن يحاسبك أبواك،فأنت و هما سيحاسبكم اللّه جميعا.

فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ و الأب الذى يجعل ابنه نصرانيا،أو يهوديا،أو مجوسيا،أو طاغوتيا،أو مشركا مسئول يوم القيامه عما فعل،و لا تسقط من مسئوليه الابن شيء.

[۹] وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصّالِحِينَ لا تفكر بما أصابك فى جنب اللّه،فان اللّه سوف يبدلك بما هو أحسن،لقد كان مصعب بن عمير وحيد والديه الثريّين،و لكنهما طرداه بعد أن لم ينصاع إليهما، فجرداه من كل ما أسبغا عليه،و أخرجاه من البيت،و لكن ما ان أصبح وحيدا، فاذا بمجموعه من المؤمنين الصادقين ممن تصافت قلوبهم،و تلاقت أفكارهم على الإيمان يحتضنون مصعبا،فيتحول من طريد أهله إلى أول مبعوث لرسول اللّه صلى الله عليه و آله إلى أهل يثرب.

و كان بذلك أول فاتح إسلامى حقيقى للمدينه المنوره،و أول رجل يمهّد الأرضيّه لهجره الرائد العظيم رسول اللّه صلى الله عليه و آله .

فلا تتلف أعصابك،و لا تخف،و لا تحزن أيها المؤمن المجاهد فالمسأله هيّنه، فاذا أخرجتك عائلتك،فسوف تحتضنك القلوب و الأفئده،كما

قال الامام على عليه السلام : «من تهجره الأقران احتضنه الأبعاد. »

ص:۴۱۸

[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۱۰ الی ۱۷]

اشاره

وَ مِنَ اَلنّٰاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّٰا بِاللّٰهِ فَإِذٰا أُوذِيَ فِي اَللّٰهِ جَعَلَ فِتْنَةَ اَلنّٰاسِ كَعَذٰابِ اَللّٰهِ وَ لَئِنْ جٰاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنّٰا كُنّٰا مَعَكُمْ أَ وَ لَيْسَ اَللّٰهُ بِأَعْلَمَ بِمٰا فِي صُدُورِ اَلْعٰالَمِينَ (۱۰) وَ لَيَعْلَمَنَّ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ اَلْمُنٰافِقِينَ (۱۱) وَ قٰالَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّبِعُوا سَبِيلَنٰا وَ لْنَحْمِلْ خَطٰايٰاكُمْ وَ مٰا هُمْ بِحٰامِلِينَ مِنْ خَطٰايٰاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ (۱۲) وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقٰالَهُمْ وَ أَثْقٰالاً مَعَ أَثْقٰالِهِمْ وَ لَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ عَمّٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ (۱۳) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاّٰ خَمْسِينَ عٰاماً فَأَخَذَهُمُ اَلطُّوفٰانُ وَ هُمْ ظٰالِمُونَ (۱۴) فَأَنْجَيْنٰاهُ وَ أَصْحٰابَ اَلسَّفِينَةِ وَ جَعَلْنٰاهٰا آيَةً لِلْعٰالَمِينَ (۱۵) وَ إِبْرٰاهِيمَ إِذْ قٰالَ لِقَوْمِهِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ وَ اِتَّقُوهُ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۱۶) إِنَّمٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ أَوْثٰاناً وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ اَلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ لاٰ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اَللّٰهِ اَلرِّزْقَ وَ اُعْبُدُوهُ وَ اُشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۱۷)

ص:۴۱۹

وَ لَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

اشاره

وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ

هدى من الآيات:

تأكيدا لامتحان اللّه للإنسان فى إيمانه تذكرنا آيات هذا الدرس ان الإيمان انما هو وقر فى القلب،و ملكه نفسيه قبل أن يكون شعارا،و إن بعض الناس الذين يدّعون الإيمان حينما يفتنون فى سبيل اللّه بسبب إيمانهم ينهارون أمام الفتن، و يتنصلون عن إيمانهم،و إن ربنا سبحانه يرد على هؤلاء مستنكرا:ان هذا العذاب البسيط الذى لا يعدو كونه فتنه لا يساوى ذلك العذاب الشديد الدائم الذى ينتظركم.

إن هناك فرقا فى التعبير القرآنى بين الفتنه و العذاب،حيث نستوحى من لفظه الفتنه محدوديتها زمانا و مكانا،بالنسبه للفرد أو الجماعه،و أن الهدف منها هو اختبار الإنسان فى إيمانه ليس إلّا،أما العذاب فانه نتيجه لتلك الفتنه،فحينما يذهب المرء إلى قاعه الامتحانات فانه لا يلبث إلّا قليلا ثمّ يعود بعدها إلى منزله، و لكن نتيجه تلك السويعات القليله تستمر معه بعد ذلك و ربما تصل إلى سنين

عديده،فالفتنه إذا تساوى بمحدوديتها العذاب بدوامه و استمراره،

و قد ورد فى الدعاء:

«يا رب و أنت تعلم ضعفى عن قليل من بلاء الدنيا و عقوباتها،و ما يجرى فيها من المكاره على أهلها،على أن ذلك بلاء و مكروه قليل مكثه،يسير بقاؤه،قصير مدته،فكيف احتمالى لبلاء الآخره؟!و جليل وقوع المكاره فيها؟!و هو بلاء تطول مدته،و يدوم مقامه،و لا يخفف عن أهله،لأنه لا يكون إلّا عن غضبك و انتقامك و سخطك » (۱)و تشير الآيات القرآنيه بعد ذلك إلى الأخطاء المنتشره فى المجتمع،و لكنها قبلئذ تذكر بأن الأفكار الخاطئه تشبه الجرائم الخطيره التى إذا تكاثرت على قلب الإنسان حجبته عن الخير،و قضت على كلّ أثر للسلامه عنده «كَلاَّ بَلْ رٰانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ مٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ» و مثل على هذه الأفكار أن يقول إنسان لآخر:اعمل ما آمرك به و أنا المسؤول عن ذلك غدا عند اللّه.إن هذا القول لا ينفى مسئوليه المنفذ،إذ أن من يتّبع إنسانا مفسدا فانه لا يستطيع الادعاء بأنه برىء،و لا شك ان المتبوع مسئول عند اللّه سبحانه،ذلك لأن الإنسان يتحمل تبعه تضليل الآخرين فيعاقب عليها، دون أن يسقط عنهم العقاب.

و حين يبين القرآن الكريم هذه الحقيقه فلكى نتجنب الأفكار التبريريه التى تحول بين الإنسان و رؤيته للحقيقه،و التى تجعل الفكر مقيدا بحدود ضيقه،لا يرى خلالها الواقع كما هو.

بدلا من تبنى هذه الأفكار الخاطئه أو اعتناقها،فان على الإنسان أن ينفتح على الحياه، و يرى الحقائق ببصيره ثاقبه دون حجب،و ينزع عن عينيه تلك النظارات القاتمه.

۱- ۱) مفاتيح الجنان/دعاء كميل.

و هنـاک کـثیر مـن النـاس یضـع علی عینیـه نظّـارات حمراء و خضـراء و سـوداء،و لکن علی شـکل مجلاـت،و جرائـد،و إعلاـم مضّـلل،فلا ینتبهون لذلک الاعلام المضـلل، إن تلک المجلات الزاهیه ذات الورق المصـقول،و الصور الملونه،تزرّق فی الأذهان تفسیرات خاطئه للأحداث و تبریرات مبتدعه للجرائم و تشویه للحقائق الواضحه،هذا عدا اللغو و الکذب و البهتان.

فعلی المؤمن أن لا یعطل عقله و یأخذ ما فی هذا الاعلام أخذ المسـلمات،بل علیه أن یستخدم عقله،و یعمل علی تغذیته بقراءات موجهه هادفه،لیری العالم علی حقیقته لا کما یراه الآخرون.

و بعـد عرض و جهـات النظر القرآنیه حول بعض الأفکـار،یضـرب ربنا سـبحانه و تعالی الأمثال من واقع الأمم السابقه،و کیف ان المؤمنین قاوموا الصعوبات و هم یدعون إلی ربهم،دون أن ینهاروا إزاء الأذی و الصعوبات التی تعرضوا لها.

اسـتمر نوح(علیه السـلام)خمسـین و تسـعمائه سنه.یدعو قومه دون أن یستجیبوا له،حتی اضطر أن یستقل ظهر السفینه عند ما أراد اللّه إهلاکهم،فأنقذه اللّه سـبحانه و الذین آمنوا معه من الطوفان،و هذا النبی إبراهیم(علیه السـلام)یمکث فی قومه زمنا طویلا فلم یکن جزاؤه إلاّـ الإلقـاء فی النـار،و لمـا نجّـاه اللّه نفوه بعیـدا عن بلاـده،و هـذه الامتحانـات لا تـدل علی ان اللّه سـبحانه لا یحب الإنسان،بل علی العکس تماما،فقد تکون الفتنه فی کثیر من الأحیان دلیلا علی حب اللّه للمفتون، و لرفع درجته عنده.

جـاء فی الأـثر: ان الامـام الحسـین علیـه السـلام رأی جـده رسـول اللّه صـلی الله علیه و آله فی المنـام ذات مره فشـکا إلیه جفـاء قومه،فقال له الرسول صلی الله علیه و آله :«یا بنی!إن لک عند اللّه درجه

مغشّاه بنور اللّه و لست تنالها إلّا بالشهاده » (۱)

و جاء فى الحديث المعروف: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثمّ الذين يلونهم الأمثل فالأمثل » (۲)

بينات من الآيات:

[۱۰] وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ ادعاء و ليس اعتقادا.

فَإِذا أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ كَعَذابِ اللّهِ و هل تقاس الفتنه التى يمتحن اللّه بها عباده بعذابه؟!انه قياس باطل،فأين الفتنه المحدوده البسيطه التى قد تنطوى على هدف كريم من العذاب الشديد الدائم،الذى يعنى نقمه اللّه و هوانه على من فشل فى دار الفتنه،و ما الأذى الذى كان يلحق بالمؤمنين الصادقين من العلويين إلّا لأنهم كانوا يثورون ضد السلطان الجائره الفاسده،و لا يتوانون عن الثوره رغم ما كانوا يلاقونه من قمع و إرهاب.

كانوا يلقون بالثلاثه أو الأربعه منهم فى سجن مظلم لا يميّز فيه الليل عن النهار، كانوا يتناوبون على قراءه القرآن لتحديد مواعيد الصلاه،فمثلا يقرأ الأول ثلث القرآن فيصلون الصبح،و يقرأ الثانى الثلث الثانى من القرآن فيصلون الظهر و العصر،و يقرأ الثالث الثلث الأخير من القرآن فيصلون المغرب،أما غذاؤهم فلا يأتيهم إلّا مره واحده فى اليوم يرمى به إلى طامورتهم المغموره الرطبه،التى تنتشر فيها الجراثيم و الحشرات السامه،و فى تلك الظروف الحرجه حيث القاذورات

۱- ۲) مقتل أبى مخنف ص ۲۴

۲- ۳) الكافى ج ۲ ص ۲۵۲.

و الروائح الكريهه و إذا مات أحـدهم،يبقى على وضـعه حتى ينتن جثمانه، و يتفسخ،ثم يموت الآخرون الواحد بعد الآخر فيهدم عليهم السجانون الطاموره بعد أن أضحى الجميع رميما.

و بـالرغم من تلـك الفتنه المجهـده كان الواحـد منهم-لو كتب له الخروج من تلك الطاموره-انما يخرج ليشـهر سـيفه ثائرا،و ما كان ذلك الإرهاب ليلويهم عن أهـدافهم،لأنهم قـد اختاروا طريقهم بوعى،و آمنوا بما عملوا إيمانا حقيقيا،و لأنهم عرفوا أن هذا الأـذى الـدنيوى أمره حقير،و خطره يسـير،و أمـده قصـير،إذا مـا قورن بما ينتظر أعـداءهم يوم القيامه،ذلك العـذاب الـذى يتمنّى الإنسان لو أن عنده ملء الأرض ذهبا فيفدى نفسه به.

وَ لَئِنْ جـاءَ نَصْـرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنّا كُنّا مَعَكُمْ أ يتصور هؤلاء إن ادعاءهم الإيمان سـينقذهم؟!يقولون:نحن مع المؤمنين حينما تكون عنـد المسـلمين دوله،و لكنهم مع الكفـار حينمـا يتعرض المسـلمون للسـجن و القتـل!! أَ وَ لَيْسَ اللّٰهُ بِأَعْلَمَ بِمـا فِى صُـدُورِ الْعالَمِينَ بلى ان اللّه سبحانه يعلم ما فى صدر هذا و ذاك،و ما يكنّونه من الايمان أو الكفر.

[۱۱] وَ لَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنـافِقِينَ فـاللّه يعلم من الـذى آمن و صبر،كمـا يعلم من هم الـذين آمنوا ثم انهاروا، و المنافقون هم أولئك.

[۱۲] وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ

ص:۴۲۵

خَطَايَاكُمْ وَ مَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ تعالی معی و انا أتحمل عنک تبعات عملک.انه منطق مرفوض قرآنيا،و هل يعمل الإنسان عملا دون ان يسأل عنه و يحاسب عليه؟!انک ستحاسب عليه يوم القيامه مع من أغواک،و يتبرأ منک.

[۱۳] وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَ لَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَهِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ كل مخطئ يتحمل خطاياه بقدر عمله و نيته،و يحمل مع أوزاره أوزار من تبعوه.

ان كل خطيئه تتحول يوم القيامه الی غلّ يناط بعنق المذنب،فكم سيحمل الجانی المضلل من أغلال يوم القيامه؟! من يظلم إنسانا،أو لا يعطی حقّا من حقوق اللّه كالزكاه أو الخمس،أو يغتصب أرضا فان ذلک يتحول الی ثقل يحمله علی ظهره يوم القيامه.و فی الحديث:

روی الطبرسی عن رسول اللّه صلی الله عليه و آله انه قال:

«ما من رجل لا يؤدی زكاه ماله الا جعل فی عنقه شجاع يوم القيامه » (۱)ثم يذكرنا الرب-مره أخری-بقصه نوح فإبراهيم،و يعود السؤال الی أذهاننا:لماذا هذا التكرار؟و نقول:ان الحوادث التی خلّدها القرآن كانت ذات أهميه قصوی،فليست حادثه الطوفان،أو مجمل قصص إبراهيم و سائر المسلمين هيّنه نسمعها مره و نمضی عنها،لا بد أن تحفر فی قلوبنا،و تتحول الی وعی ايمانی عميق، يسمو بالبشريه أبدا الی التّكامل المعنوی،و هكذا يكرر الذكر هذه الظواهر المره تلو

ص:۴۲۶

۱- ۴) شجاع بضم الشين و كسرها:ضرب من الحيات.بحار الأنوار ج(۷)ص(۱۴۱)الحديث طويل أخذنا موضع الحاجه.

الاخرى،و يعتصر منها عبرها و آياتها و حكمها،و يلعن الظالمين ليصبحوا عبره، و يكرم أنبياءه الكرام ليصبحوا أئمه و هداه.

[۱۴] وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاّٰ خَمْسِينَ عاماً و رغم هذه المئات التسع و الخمسين سنه لم يؤمن قوم نوح به،فاضطر عليه السلام ان يدعو ربّه لينزل عليهم العذاب.

فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ لم يأخذهم الطوفان الا لأنهم كانوا ظالمين.

[۱۵] فَأَنْجَيْناهُ وَ أَصْحابَ السَّفِينَةِ وَ جَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمِينَ حيث أهلك اللّه أولئك الظالمين جميعا بذلك الطوفان الرهيب الذى وسع البسيطه، الا فئه محدوده كان اللّه قد أمرها بصنع سفينه فى الفلاه،ثم ركبوها و بدأ الطوفان.

أو ليس فى ذلك آيه للعالمين؟! [۱۶-۱۷] وَ إِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَ اتَّقُوهُ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَوْثاناً دعا إبراهيم عليه السلام قومه الى عباده اللّه و تقواه،مبينا ان ذلك أفضل لهم،ثم حدد لهم ماهيّه افكارهم و واقعها عبر الأسلوب الرسالى الذى يتكرر فى كل رساله، و الذى يعتمد على نقطتين:

الف:بيان بصيره التوحيد التى تحقق للمجتمع حريته و استقلاله،و تمنحه القيم الانسانيه الراقيه من الحق،و العداله،و السلام.

ص:۴۲۷

باء:تعريه الواقع الفاسد،و تسليط الضوء عليه ليتبين لأفراد المجمع خطوره الفساد الذى هم فيه.

أوضح النبى إبراهيم عليه السلام لقومه وضعهم المزيف بقوله: «إِنَّمٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَوْثٰاناً» .

ثم ان هذه الأوثان التى تعبدون أنتم صنعتموها،ثم أضفيتم عليها صبغه الواقعيه،و لكن مهما فعلتم فانها تفتقر الى الواقعيه،و لعلنا نستوحى من قوله سبحانه: «وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً» حقيقه نجدها فى آيات أخرى أيضا هى:أن الناس هم الذين يخلقون الطاغوت دون نفسه،لأن الطاغوت أضعف من ذلك،ان الذين يرضون بالطاغوت،و يسكتون عليه،و الذين يلتفون حوله،و يسمعون أوامره، و يحاربون معه،أولئك هم الذين يخلقونه.

وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً اى تخلقون كيانا باطلا كذبا.

إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لاٰ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً انكم أنتم الذين تعطون لما خلقتم القوه،و أنتم الذين تقتطعون لهم من أرزاقكم و ليسوا هم،و هل يستطيع الطاغوت ان يعيش دون ضرائب يفرضها على أبناء الشعب؟! فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّٰهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ فانبذوا هذا الواقع المزيف،و اطلبوا من بارئكم الحق رزقكم،فهو الجدير بالطاعه،و الخضوع،و التسليم،ثم...

ص:۴۲۸

وَ اشْكُرُوا لَهُ و الشكر هو العباده العمليه،كما قال: «اعْمَلُوا آلَ دٰاوُدَ شُكْراً» و هذا يعنى:

ان تكون أعمالكم و سلوكياتكم بحيث تجلب لكم المزيد من النعم و البركات، و كذلك فان من يشكر يزداد رزقه،و نستوحى هذا المعنى من قوله تعالى: «فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّٰهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ» أى أنّ من يريد الرزق فليبتغه من اللّه بالعباده و الشكر،و قد قال تعالى: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» .

إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ و بالتالى ستعودون الى ربكم.

و مره أخرى يؤكد الذكر الحكيم ان كل الصفات الحسنه،و الأخلاق الفاضله انما تأتى من الايمان الصادق باللّه و اليوم الآخر،فمن يؤمن بيوم الجزاء سيجعل من حياته هذه مزرعه للخيرات،و قنطره للسعاده فى الآخره،كما يستمر السقف صحيحا ما دامت أسسه سليمه،فكذلك حياه الإنسان تعمر و تزدهر كلما كانت عقائده صحيحه و واقعيه.

ص:۴۲۹

[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۱۸ الی ۲۴]

اشاره

وَ إِنْ تُکَذِّبُوا فَقَدْ کَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ مٰا عَلَی اَلرَّسُولِ إِلاَّ اَلْبَلاٰغُ اَلْمُبِینُ (۱۸) أَ وَ لَمْ یَرَوْا کَیْفَ یُبْدِئُ اَللّٰهُ اَلْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ إِنَّ
ذٰلِکَ عَلَی اَللّٰهِ یَسِیرٌ (۱۹) قُلْ سِیرُوا فِی اَلْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ بَدَأَ اَلْخَلْقَ ثُمَّ اَللّٰهُ یُنْشِئُ اَلنَّشْأَهَ اَلْآخِرَهَ إِنَّ اَللّٰهَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ
(۲۰) یُعَذِّبُ مَنْ یَشٰاءُ وَ یَرْحَمُ مَنْ یَشٰاءُ وَ إِلَیْهِ تُقْلَبُونَ (۲۱) وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ فِی اَلْأَرْضِ وَ لاٰ فِی اَلسَّمٰاءِ وَ مٰا لَکُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ
مِنْ وَلِیٍّ وَ لاٰ نَصِیرٍ (۲۲) وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا بِآیٰاتِ اَللّٰهِ وَ لِقٰائِهِ أُولٰئِکَ یَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِی وَ أُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (۲۳) فَمٰا کٰانَ
جَوٰابَ قَوْمِهِ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا اُقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجٰاهُ اَللّٰهُ مِنَ اَلنّٰارِ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (۲۴)

هدی من الآیات:

یوصینا القرآن الکریم-مره بعد أخری-بضروره العوده الی التاریخ للاعتبار بسیر السابقین بنفس القدر الذی یؤکد فیه علی ضروره البحث المباشر،و التطلع الی ما یحیط بالإنسان من مظاهر طبیعیه،و اثار تحمل اخبار الماضین،و ما یکتنف الحیاه عموما من السنن و الحقائق و التطورات.

و التأکید علی هاتین القضیتین تحقق عده أهداف:

أولا:ان سعه الأفق العلمی،و شمول المعرفه البشریه یساعد الإنسان علی النهوض من واقع التخلف،و التسامی الی سماء القیم بعیدا عن الخرافات و الأساطیر،ذلک لأنه لیس ایمان الجاهل کایمان العالم،فکلما تقدم العالم فی میدان العلم، اقترب أکثر فأکثر من حقیقه الایمان باللّه،و نشأه الکون،و بدء الحیاه،و لذلک فالإیمان باللّه هو قمه العلم و المعرفه.

ثانیـا:معرفه أحوال الأـمم السـابقه،و کیفیه نشوئهـا و تطورهـا،و الأـدوات الـتی اسـتخدموها،لاـ یتم الاـ بـدراسه الآثـار التی تحمل مخلفاتهم،و مطالعه کتاباتهم،و نوع تفکیرهم و فنونهم،عبر النقوش علی الصـخور و الکهوف،و بتلک الدراسه المستوفاه، نستطیع التعرف علی الأمم السابقه،و کیف تقدمت و لماذا بادت.

ثالثا:ان الحیاه لم تکن علی وتیره واحده،و انما منح ربنا سـبحانه الحیاه الکمال شیئا فشیئا،و خلقا بعد خلق،و لیس الأمر کما یقول الجاهلون بأن الطبیعه کانت شعله متوهجه منذ البدایه،و ستبقی هکذا الی النهایه،و لو کانت شعله منذ الأزل لانتفی الکمال،ذلک لان فلسـفه الکمال تتخلص فی:ان المسـیره ابتـدأت من وضع غایه فی البساطه،ثم راحت تتصاعـد فی مـدارج الکمال عبر ملایین السنین، حتی وصلت الی ما نحن علیه الآن،و ستواصل المسیره فی المستقبل الی ان تصل القمه التی شاءها اللّه،فیأذن بأمره.

و العلم الحدیث قد توصل الی هذه النتیجه بدلیل علمی و هو قدره العلماء علی اکتشاف عمر الإنسان من الحفریات و الآثار التی یعثرون علیهـا،عن طریق التحلیـل الطیفی لـذره الکربون الموجوده فی الکائنـات العضویه-الحیوان و النبـات -و کلمـا مرّ قرن من الزمان علی ذره الکربون زاد فی عـدد نیوتروناتها واحـد،و بقـدر ما فی الـذره من نیوترونات یعرفون عدد القرون التی مرت علی هـذه الـذره، و بالتالی یعرف عمر الجمجمه مثلا بعـد معرفه عـدد السـنین التی مرت علی هذه الذره،و ان دل هذا الاکتشاف علی شیء فانمـا یحمـل دلاـله علی ان الإنسـان کـانت له بـدایه و کـذلک کـل الخلاـئق،و السـیر فی الأرض هو من أجل معرفه تلک البدایه،و إذا کان اللّه سبحانه هو الذی أوجد الإنسان فی البدء و لم یکن شیئا مذکورا،أو لیس بقادر علی أن یعیده مره أخری؟!و لا یستطیع أحد ان یقول ان اللّه لیس بقادر لأن ابتداع الخلق من بعد العدم أصعب بذاته من إعادته،بعد ان کان-و بالطبع -لیس

أصعب على اللّه سبحانه،لان الأمور عند البارى سواء.

رابعا:لكى نعتبر من التاريخ العام بعد التعرف الدقيق على سير الأمم التى سبقتنا،يجب ان نتيقّن بأننا مسئولون عن أعمالنا،و أن السنن التى حكمت السابقين تحكمنا أيضا،و القرآن الحكيم حينما يحدثنا عن التاريخ فانه لا يتحدث بأسلوب علمى محض لمجرد نقل الخبر،و انما يخترق الفواصل الزمنيه ليبين:ان سنه اللّه تجرى فيمن يأتى بمثل ما جرت على من مضى.

و اكتشاف القانون لتطبيقه على الواقع الحاضر هو الهدف القرآنى،من هنا نرى ان النظره الاسلاميه للتاريخ(نظره عبريه)ليتحول التاريخ من حقيقه علميه الى حقيقه سلوكيه فى حياتنا،و الى حقيقه ايمانيه فى أذهاننا.

و من سنن اللّه:

أولا:ان اللّه يفعل ما يشاء،يرحم أو يعذب من يشاء،دون ان يقدر أحد على تحدى مشيئه الرب سبحانه،مما يجعلنا أكثر واقعيه و ان الناس يرجعون-بالتالى-الى ربهم ليوفيهم الجزاء الوفاق.

ثانيا:ان البشر لا يقدر على مقاومه قدره الالهى،فاذا نزل به فلا شىء و لا أحد ينصره أو يواليه.

ثالثا:الكفار لن ينالوا رحمه اللّه فى الدنيا،و ينزل بهم فى الآخره عذاب اليم.

كل ذلك قاله إبراهيم(عليه السلام)لقومه،و لكنهم كذبوه،و أرادوا ان يحرّقوه فأنجاه اللّه من النار.

ص:۴۳۳

بينات من الآيات:

[۱۸] وَ إِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مٰا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاٰغُ الْمُبِينُ لستم أول من كذب،فقبلكم أمم قد كذبت،و حاق بها العذاب،فاعتبروا! و ليس على الرسول الا ان يبلغكم،و قد سبق القول:ان من مشاكل الإنسان النفسيه انه يعتقد بان الهدايه ليست من مسئوليته،و لكن القرآن الكريم يؤكد على ان السعى وراء الهدايه من مسئوليه البشر نفسه،و ليست مسئوليه الأنبياء، فمسئوليه الأنبياء تنتهى بمجرّد التبليغ،و على الإنسان ان يسلك بقيه الطريق.

[۱۹] أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللّٰهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ان بعض أنواع المخلوقات لها أعمار مديده جدا،و العرب يضربون المثل فى طول العمر بالغراب،يقال:(عند ما يشيب الغراب)لأن الاباء و الأبناء يرون الغراب نفسه رغم تعاقب الأجيال،و هذه الأنواع لا يمكن للفرد مراقبه أطوار حياتها،و هناك أنواع أخرى قصيره الأجل كالذبابه أو البعوضه التى لا تعيش أكثر من ثلاثه أيام، و كذلك هناك بعض الحشرات التى لا تلبث سوى ساعتين هما كل عمرها،و يمكن للإنسان ان يراقب ولادته و نهايته ببساطه ليعرف كيف يولد بيسر،و كيف ينتهى بلا ضوضاء،و ليعتبر ان عودته كما بدايته سهله و لا يعجز اللّه شيء،و لا يصعب عليه فعل سبحانه.

إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ فإرادته سبحانه بين الكاف و النون.

[۲۰] قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ

ان قضيه السير فى الأرض لا يمكن ان تدرس فى الغرفه المغلقه،و انما على الطبيعه.ينقّب الإنسان عن الآثار،و يبحث فى الطبقات،و يدرس الحفريات، حتى يفهم كيف ابتدع اللّه الخلق ابتداعا.

و كل واحد قادر على ان يلاحظ تطورات الحياه،من خلال سيره فى الأرض، بأعين مفتوحه،و قلب واع،و ضمير يقظ.

ثُمَّ اللّٰهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إذا عرفنا ان الخليقه لم تكن ثم كانت،و ان تحريكها يتم بصوره غيبيه(اى بتدخل قوه خارجيه فى الكون)نعرف بان اللّه هو الذى خلقها،و نعرف ان الذى خلقها قادر على ان يعيدها بعد ان يميتها و آنئذ نؤمن.

إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لأنه يقلب الحياه خلقا بعد خلق،و نشأه بعد نشأه.

[۲۱] يُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشٰاءُ لأنه هو المالك المتصرف،و لا أحد يستطيع الاعتراض على مالكيته-شاء أم أبى-فهو الذى خلق،و وهب الحياه،و أهدى الوجود،و رزق الكائنات،فان عذب فبعدله،و ان رحم فبعفوه و تجاوزه.

وَ إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ الى اللّه المآب و المرجع.

[۲۲] وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ فِي السَّمٰاءِ

فلاـ تمنی نفسک بالتهرب من الجزاء،کما یمنّی المجرم نفسه بالفرار،فان عرف المرء منذ البدایه انه لا فرار من العقوبه فسوف یرتدع عن الجریمه.

وَ مٰا لَکُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لاٰ نَصِیرٍ و هذا ردّ لمن یمنّی نفسه بالشفاعات،و یظن مثلا ان عیسی علیه السلام سیفدیه بنفسه، و یدرأ عنه العذاب،الا ان الحق تبارک و تعالی یقول:لا عیسی و لا سائر الأنبیاء و لا الأولیاء یستطیعون ان ینقذوکم من عذابه الا بإذن منه.

و ینذر ربنا الکفار الذین لا یؤمنون بیوم القیامه،بأنهم یائسون من رحمته،فلا ینتظروا منه رحمه-و هو الذی وسعت رحمته کل شیء-فلا یتمنوا علیه ان یدخلهم جنات النعیم،الا بعد الایمان و إصلاح أنفسهم.

[۲۳] وَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیٰاتِ اللّٰهِ وَ لِقٰائِهِ أُولٰئِکَ یَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِی و لعل الآیه تشمل فیمن تشملهم أولئک الذین یدّعون الإیمان بالآخره،و لکنهم یبنون عملهم و سلوکهم علی أساس عدم وجود النشور.

وَ أُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ و أحد أنواع العذاب الیأس.

ان المؤمن علی العکس من ذلک،فهو یعیش الرجاء،فالرجاء یعطی فرصه التفکیر فی المستقبل،و التخطیط للنجاح،و بلوغ الأهداف،و قد صدق الشاعر حین قال:

أعلّل النفس بالآمال أرقبها ما أضیق العیش لولا فسحه الأمل

ص:۴۳۶

فالعيش ضيق،و العمر كئيب،و الحياه مظلمه لولا فسحه الأمل،و لكن الكافر لا يملك فسحه الأمل،و لا روح الرجاء،لأنه لا يثق باللّه سبحانه،لذلك يعيش الألم.

[۲۴]تلك كانت خلاصه ما قاله النبى إبراهيم عليه السلام لقومه:إذ أمرهم بالفتح لأعينهم،و السير فى الأرض،و النظر فى سير الآخرين،و الاستخدام لعقولهم.

فَمٰا كٰانَ جَوٰابَ قَوْمِهِ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ طلب إبراهيم عليه السلام من قومه التعقل و التروّى قبل الحكم السريع،و مناقشه واقعهم الفاسد على ضوء الادله،و مع ذلك لم يبدو منهم الا العناد و الرد القبيح بالقتل أو الحرق.

فَأَنْجٰاهُ اللّٰهُ مِنَ النّٰارِ و ما أوسع رحمه اللّه إذ لم يأخذهم بالعذاب بغته،فنحن لم نقرأ فى التاريخ أو فى القرآن:ان اللّه عذب قوم نمرود أو دمرهم،أو انزل عليهم رجزا من السماء،و انما قرأنا ان اللّه سبحانه أنجى نبيه من نارهم،فخرج مهاجرا عن القوم الظالمين.

إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ أجل.ينبغى ان يكون أملنا باللّه تعالى قويا،فرحمته وسعت كل شىء،و قد سبقت رحمته غضبه،فهو مولانا.عليه توكلنا،و اليه أنبنا،و اليه المصير.

ص:۴۳۷

[سوره العنکبوت (٢٩): الآیات ٢۵ الی ٣۵]

اشاره

وَ قٰالَ إِنَّمَا اِتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ أَوْثٰاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا ثُمَّ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَ مَأْوٰاكُمُ اَلنّٰارُ وَ مٰا لَكُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ (٢۵) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قٰالَ إِنِّي مُهٰاجِرٌ إِلىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (٢۶) وَ وَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ جَعَلْنٰا فِي ذُرِّيَّتِهِ اَلنُّبُوَّةَ وَ اَلْكِتٰابَ وَ آتَيْنٰاهُ أَجْرَهُ فِي اَلدُّنْيٰا وَ إِنَّهُ فِي اَلْآخِرَةِ لَمِنَ اَلصّٰالِحِينَ (٢٧) وَ لُوطاً إِذْ قٰالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ اَلْفٰاحِشَةَ مٰا سَبَقَكُمْ بِهٰا مِنْ أَحَدٍ مِنَ اَلْعٰالَمِينَ (٢٨) أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ اَلرِّجٰالَ وَ تَقْطَعُونَ اَلسَّبِيلَ وَ تَأْتُونَ فِي نٰادِيكُمُ اَلْمُنْكَرَ فَمٰا كٰانَ جَوٰابَ قَوْمِهِ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا اِئْتِنٰا بِعَذٰابِ اَللّٰهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ اَلصّٰادِقِينَ (٢٩) قٰالَ رَبِّ اُنْصُرْنِي عَلَى اَلْقَوْمِ اَلْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَ لَمّٰا جٰاءَتْ رُسُلُنٰا إِبْرٰاهِيمَ بِالْبُشْرىٰ قٰالُوا إِنّٰا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ اَلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهٰا كٰانُوا ظٰالِمِينَ (٣١) قٰالَ إِنَّ فِيهٰا لُوطاً قٰالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهٰا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ اِمْرَأَتَهُ كٰانَتْ مِنَ اَلْغٰابِرِينَ (٣٢) وَ لَمّٰا أَنْ جٰاءَتْ رُسُلُنٰا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضٰاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قٰالُوا لاٰ تَخَفْ وَ لاٰ تَحْزَنْ إِنّٰا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ إِلاَّ اِمْرَأَتَكَ كٰانَتْ مِنَ اَلْغٰابِرِينَ (٣٣) إِنّٰا مُنْزِلُونَ عَلىٰ أَهْلِ هٰذِهِ اَلْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ اَلسَّمٰاءِ بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ (٣۴) وَ لَقَدْ تَرَكْنٰا مِنْهٰا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣۵)

اللغه

٢٩[نادیکم]:النادی المجلس إذا اجتمعوا فیه.

۳۳[ضاق بهم ذرعا]:أی ضاق قلبه و قیل حیلته فیما أراد من حفظهم.

۳۴[رجزا]:أی عذابا.

ص:۴۳۹

وَ جَعَلْنٰا فِی ذُرِّیَّتِهِ النُّبُوَّهَ وَ الْکِتٰابَ

هدی من الآیات:

یواصل السیاق بیان قصه إبراهیم علیه السلام و قومه و کیف هاجر مجتمعه الفاسد،فآمن له لوط.و یبین ان التجمع الصنمی لا ینفع شیئا عند اللّه،إذ یکفرون ببعضهم یوم القیامه،و یتلاعنون،و مصیرهم جمیعا جهنم و لا یتناصرون،و لقد هاجر هو و لوط الذی آمن معه،و رزقه اللّه اسحق و یعقوب،و جعل النبوه و الرساله فی ذریتهما، و آتاه أجره فی الدنیا،و ادخله فی الآخره فی زمره الصالحین،ثم یبین قصه لوط و کیف واجه فساد قومه الفاحش من إتیان الرجال،و قطع السبیل،و الإجهار بالمنکرات.

اما قومه فقد طالبوه بالعذاب،فدعا ربه فنصره إلا أن الملائکه أصروا علی إبراهیم قبل ان یصبوا العذاب علی قوم لوط علیه السلام فجادلهم بان فی القریه لوطا،فأخبروه بأن اللّه سوف ینجیه و اهله إلاّ امرأته،و هکذا أنجاهم اللّه و دمر الباقین.

و لان سوره العنکبوت تشدد علی ضروره جعل محور العلاقه بین الإنسان و نظیره الإنسان علاقه الایمان باللّه،و رفض المحاور الوثنیه الأخری،لأنها زائله و ضاره،

و تستدرجنا الی عذاب اللّه الألیم،فإننا نجد إبراهیم علیه السلام یبین فکره هامه هنا هی:

ان اتخاذ الأوثان انما تم بهدف الموده المتبادله بین المشرکین،و ان هذا الهدف باطل،إذ یکفر المشرکون ببعضهم یوم القیامه.

ان البشر خلق اجتماعیا،و لعل اسم الإنسان و الناس مستوحی من هذه الفطره الراسخه فیه،اما کلمه الحضاره أو المدنیه فانها تشیر الی حضور الإنسان عند نظیره، و هو بعید عن ذات الفطره،الا ان هذه النزعه الاجتماعیه تضل سبیلها و هی کسائر الغرائز البشریه بحاجه الی توجیه و تزکیه،فکما غریزه الجنس یهذّبها الإسلام و یهدیها الی السبیل القویم لها بالزواج،کذلک النزعه الاجتماعیه،و لکن بسبب انفلات هذه النزعه عن قنواتها المحدده،جرّت،البشریه الی مآسی مروعه.

کیف ذلک؟ قبل ان نجیب عن هذا السؤال نوضح حقیقتین:

الف:النزعات الفاسده فی قلب البشر هی التی تضحی علاقات اجتماعیه شاذه فی حیاته،فحب المال حبّا جمّا یفرز الطبقیه،و التکبر یولد الاستکبار و العلو فی الأرض،و الجبن یسبب الاستضعاف،و الحرص یجر الی الفساد الاقتصادی.

و..و.

و لذلک کان الجبت و الطاغوت و جهان لعمله فاسده واحده،فعباده المال و التسلیم للصولجان هو جبت القلب،بینما الدیکتاتوریه و الاستبداد طاغوت المجتمع.

باء:ان الجاهلیین الذین کانوا یعبدون الأوثان لم یکونوا ناقصی العقول الی هذه الدرجه لیزعموا ان هذه الأحجار التی یصنعونها بأیدیهم هی التی خلقتهم

فعلا.

كلا..انما كانت الأوثان رمزا لتجمعهم،و تعبيرا عن نوع العلاقه التى ارتضوها لأنفسهم،و لذلك كانت الأصنام تكبر و تصغر حسب حجم القبيله،فهناك صنم قريش(هبل)يعتبر أكبر الأصنام فى الجزيره،لان تلك القبيله كانت تزعم انها كبرى قبائل العرب،و أصغر منها حجما كان صنم ثقيف(مناه)لان تلك القبيله كانت أقل مستوى من قريش،و كلما صغرت القبيله تضاءلت اهميه أوثانها،حتى بلغ بتجمع صغير حقير ان صنع لنفسه صنما من التمر،فاذا أصابتهم مخمصه وقعوا على إلههم المزعوم و التهموه عن آخره.

بعد بيان هاتين الفكرتين نجيب عن السؤال السابق:

باستثناء التجمعات التوحيديه انحدرت البشريه الى درك الوثنيه بطريقه أو بأخرى،إذ انها ارتبطت ببعضها عبر المصالح و العصبيات و الخرافات البعيده عن العلاقه التوحيديه. ما الذى جمع طبقه المترفين الى بعضهم؟أو ليس الحرص على تكديس الثروه؟!إذا المحور هنا حبّ المال،و العلاقه بالإنسان تمر عبر قناه جمع الثروه،و لا يحترم الإنسان كإنسان بل بصفته صاحب ثروه،إذ ان الاحترام هو للثروه ذاتا و لم يملكها بالتبع أ ليس كذلك؟!إذا الثروه معبوده،و هى محور العلاقه، و لا بد ان يختار و إلها رمزا يحترمونه و يكرمونه و يقدسونه،و بالتالى يعبدونه.ذلك الرمز قد يكون صنما من ذهب أو فضه أو أحجار كريمه-كما كان يصنعه الإنسان البدائى-و لكن قد يكون رمزا متطورا يسمونه ب(العلم)كما تصنعه امريكا،أو بتمثال الحريه،و برج ايفل،أو تمثال النيل أو التمساح.

و قد يختار تجمع المترفين شخصا يسمونه بالملك و يصبغون عليه قدرا من القداسه المزعومه،و الجلاله المزيفه،فيجعلونه رمزا لتجمعهم.

ص:۴۴۲

و كما محور الثروه كذلك محور القوميه و الوطنيه و ما أشبه،تنفلت من اطارها السليم،و تتحول الى صنم يعبد من دون اللّه.

أما و الآن و قد عرفنا ان هذه الأوثان التى كانت تعبيرا عن نزعات نفسيه شاذه و منحرفه جرت المزيد من الويلات على البشريه،فكم ارتكبت باسمها الجرائم و كم سوغت باسمها المجازر،و كم اشعلت نار الحروب الضاربه و لا تزال.

و قد بين ربنا على لسان محطم الأصنام إبراهيم عليه السلام ان اتخاذ الأصنام انما تم «موده بينكم»فالهدف هو إيجاد العلاقه،ثم أوضح أن الكفار سوف يتبرءون من بعضهم يوم القيامه.

و من هنا نعرف العلاقه بين الآيه الاولى و الثانيه فى هذا السياق،إذ ان رفض الإسلام للموده الوثنيه يقابله تشجيعه على الموده الرحمانيه،القائمه على أساس التوحيد.فكما حارب إبراهيم الوثنيه آمن به لوط،و رزقه اللّه اسحق و يعقوب، و من ورائهما الأسباط،و التجمع الايمانى،ذلك التجمع الذى باركه اللّه فى الدنيا، حيث أعطى جزاء إبراهيم عليه السلام وافيا،و فى الآخره ادخله فى الصالحين.أولئك الذين لا يتبرأ بعضهم من بعض.

اى تجمع يباركه الإسلام؟و هل كل تجمع مفيد؟و على اى أساس؟ ان التجمعات اليوم قائمه على محاور وثنيه،كالتجمع حول(وثن الوطنيه،أو صنم الاقليميه،أو القوميه،أو العنصريه،أو الطبقيه)هذه الأوثان التى قد يرمز لها بعلم،أو شخص(طاغوت)أو مسميات اخرى(كالجندى المجهول،أو تمثال الحريه،أو تمثال الفيل،أو التمساح،أو أبى الهول،أو شجره الأرز).

و لا تعنى هذه الرموز سوى النزعه الصنميه،ذلك لأن أولئك الذين كانوا

يقـدسون الأصـنام فى الجـاهليه،التى كـانوا يصـنعونها من التمر ثم يأكلونهـا إذا جـاعوا،هـل كـانوا يعتقـدون فعلاـ أنّهـا آلهتهم؟! كلا..فلو كانوا يعتقـدون حقيقه أنّها آلهتهم لم يأكلوها عنـد ما يجوعون.انهم كانوا يزعمون أنّها رمز تجمعهم،لـذلك كانت كل قبيله لها صنمها الخاص.

بينات من الآيات:

[٢٥] وَ قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى الْحَيَاهِ الـدُّنْيَا حيث اتخـذتم وثنـا يكون رمزا لعلاقـاتكم فى الحيـاه الدنيا،بيد ان هذه العلاقات غير ثابته لأنها منبثقه عن النزعات النفسـيه التى تتبخر عند الموت،فحينما ينزل ابن آدم الى قبره يودعه على حافته ماله،و عياله،و ذويه،و انتماءاته الحزبيه،و ولاءاته السياسيه،ليواجه مصيره وحده.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَهِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَ مَأْوَاكُمُ النَّارُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ورد فى مواضع أخرى من القرآن تجسـيد حى لبعض مشاهـد الآخره،و هـذه الآيه تعرض واحده من تلك الصور التى تجسّم النزاع الذى يدور بين الجماعات التى كانت متوحـده فى الدنيا على بعض القيم المزيفه،إذا بهم يتلاعنون يوم القيامه،أما المؤمنون فيقول عنهم ربنا سـبحانه: «وَ نَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ» (١)

و جاء فى حديث مأثور عن أبى عبد اللّه الصادق عليه السّلام فى تفسير الآيه:

ص:۴۴۴

١- ١) الحجر /(٧٣).

عن مالک الجهنمی قال:قال لی ابو عبد الله:

«یا مالک انه لیس من قوم ائتمّوا بإمام فی الدنیا الا جاء یوم القیامه یلعنهم و یلعنونه الا أنتم،و من کان علی مثل حالکم » (1)

[26]کلا الفریقین یعکسان طبیعه ما کانوا یعیشونه فی الدنیا من زیف أو حقیقه،و لکن علی الرغم من تکذیب القوم لإبراهیم علیه السلام و جوابه لهم بهذا المنطق الصارم،الا ان دعوته لم تذهب سدی حیث آمن به لوط علیه السلام .

فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قٰالَ إِنِّی مُهٰاجِرٌ إِلیٰ رَبِّی إِنَّهُ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ و لوط علیه السلام بإیمانه قد حقق هجرتین لا هجره واحده،فالاولی هجره معنویه حیث هجر المجتمع الفاسد رافضا تمحوره حول الأوثان،لیتصل بالمجتمع الصالح المتمحور حول الایمان الحق،و الهجره الثانیه هجرته الجغرافیه حیث ترک مدینه بابل لیرحل الی مصر ففلسطین مع إبراهیم علیه السلام لکی یقوم ببناء محور جدید لتجمع یقوم علی أساس الایمان باللّه،و لیقوم بدوره فی تبلیغ رسالات ربه.

[27] وَ وَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ جَعَلْنٰا فِی ذُرِّیَّتِهِ النُّبُوَّهَ وَ الْکِتٰابَ وَ آتَیْنٰاهُ أَجْرَهُ فِی الدُّنْیٰا وَ إِنَّهُ فِی الْآخِرَهِ لَمِنَ الصّٰالِحِینَ و یشیر القرآن هنا الی امتداد إبراهیم عبر الزمن عن طریق اسحق و یعقوب، بینما کان أولاده بالفعل(إسماعیل و اسحق)و لکن اللّه سبحانه و تعالی رکز علی اسحق،و لم ینف إسماعیل و ذلک لان التجمع الرسالی امتدّ عبر الزمن عن طریق اسحق،و وراءه یعقوب،و من بعده ذریه طیبه کانت فیهم النبوه و الکتاب،

ص:445

1- 2) تفسیر نور الثقلین/ج(4)/ص(151).

فتصدوا بذلک مسرح الاحداث،و کل أولئک کانوا من ذریه اسحق علیه السلام فی الوقت الذی کانت فیه ذریه إسماعیل علیه السلام تغط فی سبات و جهل و خمول الی ان بزغ نور رسول اللّه صلی الله علیه و آله فیهم،فکان رحمه للعالمین،و سید المرسلین،و هکذا بارک اللّه فی امه إبراهیم بحیث أصبح ذکره الیوم محمودا عند أکثر من ملیاری إنسان.هذا فی الدنیا،أما فی الآخره فهو عند اللّه من الصالحین و کفی بذلک مقاما کریما.

[۲۸] وَ لُوطاً إِذْ قٰالَ لِقَوْمِهِ إِنَّکُمْ لَتَأْتُونَ الْفٰاحِشَهَ مٰا سَبَقَکُمْ بِهٰا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعٰالَمِینَ بدأ لوط(علیه السلام)باستنکاره علی قومه الإتیان بالفاحشه،فقال لهم:

یا قوم انکم ترتکبون من الفواحش ما لم یسبقکم إلیها أحد من العالمین،فأنتم أعظم خطرا،و أسوء شرا لأنکم ابتدعتم جرائم عدیده.

و جاء فی حدیث مروی عن الامام الصادق(علیه السّلام):

«ان إبلیس أتاهم فی صوره حسنه،فیه تأنیث،علیه ثیاب حسنه،فجاء الی شبان منهم فأمرهم ان یقعوا به،و لو طلب منهم ان یقع بهم لأبوا علیه،و لکن طلب منهم ان یقعوا به،فلما وقعوا به التذوه،ثم ذهب عنهم و ترکهم فأحال بعضهم علی بعض » (۱)[۲۹] أَ إِنَّکُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجٰالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِیلَ اضافه الی فاحشه اللواط کانوا یقطعون الطرق الآمنه علی الناس،لأن قراهم کانت فی مرکز جغرافی حساس،فلا یسمحون بمرور القوافل.

وَ تَأْتُونَ فِی نٰادِیکُمُ الْمُنْکَرَ

ص:۴۴۶

۱- ۳) المصدر/ص(۱۵۷).

ای تجاهرون بالمنکرات،و تقترفونها فی نوادیکم التی تجتمعون فیها بکل صراحه،فمن یعمل المنکر و یخفیه عن أعین الناس فان أمره هیّن و قد یغفر اللّه له، أما ان یفعل المنکر أمام الناس فذلک تعد علی الحرمات و القیم.

و ذکر فی بعض الروایات: «انهم کانوا یحذفون الحصاه علی بعضهم،و انهم کانوا یتضارطون فی مجالسهم » (۱)فَمٰا کٰانَ جَوٰابَ قَوْمِهِ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا ائْتِنٰا بِعَذٰابِ اللّٰهِ إِنْ کُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِینَ فوق ما اقترفوا راحوا یستکبرون،و یتوغلون فی التحدی،إذ أنّ من یعمل السیئات ثم یندم عسی اللّه ان یتوب علیه،اما ان یعمل السیئات،ثم یتحدی اللّه، فهو مخلد فی النار.

[۳۰] قٰالَ رَبِّ انْصُرْنِی عَلَی الْقَوْمِ الْمُفْسِدِینَ هناک انهی لوط علیه السلام رسالته،و أوکل الأمر الی اللّه،متوکلا علیه،طالبا منه النصره.و قد بقی ینصحهم ثلاثین عاما فلم یقبلوا.

[۳۱] وَ لَمّٰا جٰاءَتْ رُسُلُنٰا إِبْرٰاهِیمَ بِالْبُشْریٰ قٰالُوا إِنّٰا مُهْلِکُوا أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْیَهِ إِنَّ أَهْلَهٰا کٰانُوا ظٰالِمِینَ الحسم لا یتم الا بمعرفه القیاده العلیا،فالملائکه الرسل الذین جاؤوا لنصره لوط،و إهلاک قومه مروا فی طریقهم علی إبراهیم لکی یوعز ربنا سبحانه لإبراهیم:

بأنک أنت القائد الأعلی للتجمع الایمانی فی الأرض،و قد کان بإمکان هؤلاء

۱- ۴) المصدر.

الملائکه ان یذهبوا رأسا ناحیه لوط،و لکنهم مروا علی إبراهیم جزاء من اللّه له علی ایمانه الصادق و إخلاصه.

و هؤلاء الرسل لم یبدءوا إبراهیم بالإنذار،و انما ابتدأوه بالبشری بان اللّه سیهب له اسحق و من ورائه یعقوب و الذریه الصالحه،رغم انهم یحملون العذاب لقوم لوط،و لا تخلو هذه اللفته من مفارقه کریمه و هی:ان ربنا سبحانه و تعالی قبل ان یهلک قوما کفروا و عاندوا بشر رئیس ذلک المجتمع إبراهیم علیه السلام بأنه سیعطیه ذریه صالحه،تحمل رایه الحق،و تنشر کلمه اللّه فی الأرض،فتلک هی المفارقه،یبشره بالعطاء أولا،ثم ینذره بأنه سوف یهلک الظالمین،و لکن إبراهیم علیه السلام حینما عرف ان اللّه مهلک قوم لوط فزع.

[۳۲] قٰالَ إِنَّ فِیهٰا لُوطاً و ذلک هو سلوک المؤمنین الصادقین،فمن صفات الأنبیاء علیه السلام انهم رحماء بالبشر غیورون علی المؤمنین،بحیث لم یتمالک نفسه،و اندفع قائلا:و ما هو مصیر لوط؟!

و جاء فی حدیث مأثور عن الامام الصادق علیه السّلام: ان إبراهیم کان یسعی لدرء العذاب عن قوم لوط،یقول الحدیث(بعد بیان جوانب من قصه لوط):

«فقال لهم إبراهیم:لماذا جئتم؟قالوا فی إهلاک قوم لوط،فقال لهم:ان کان فیها مأه من المؤمنین أ تهلکونهم؟فقال جبرئیل علیه السّلام:لا،قال:فان کان فیها خمسون؟قال:لا،قال:فان کان فیها ثلاثون؟قال:لا،قال:فان کان فیها عشرون؟قال:لا،قال:فان کان فیها عشره؟قال:لا،قال:فان کان فیها خمسه؟قال:لا،قال:فان کان فیها واحد؟قال:لا،قال:فان فیها لوط، قٰالُوا:نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِیهٰا لَنُنَجِّیَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ کٰانَتْ مِنَ الْغٰابِرِینَ»

قال الحسن بن علی علیه السلام :

لا اعلم هـذا القول الا و هو یستبقیهم و هو قول اللّه عز و جل: «یُجادِلُنا فِی قَوْمِ لُوطٍ» (1) قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِیها لَنُنَجِّیَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ کانَتْ مِنَ الْغابِرِینَ و فی هـذه الآیه عوده للتـذکر:بأن التجمع الاسری مطلوب،و لکن فی حدود الایمان الحقیقی،و لان امرأه لوط کانت سیئه فقد أصبحت من الغابرین و استبعدت من الصالحین.

[۳۳] وَ لَمّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِیءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً کان لوط یحرث الأرض،و إذا به یری مجموعه من الرجال یأتون الیه، فاستقبلهم بحفاوه و طلب منهم النزول علیه فی بیته ضیوفا،و لکن ما ان سمع القوم بقصتهم حتی هرعوا الیه یریدون ان یفعلوا الفاحشه،فضاق بهم ذرعا،و لم یدر ما یصنع،و لکن حینما رأی الضیوف حیره لوط طمأنوه..

وَ قالُوا لا تَخَفْ وَ لا تَحْزَنْ لا تخف علی المستقبل،و لا تحزن علی الماضی،فنحن رسل السماء إلیک..

إِنّا مُنَجُّوکَ وَ أَهْلَکَ إِلَّا امْرَأَتَکَ کانَتْ مِنَ الْغابِرِینَ [۳۴] إِنّا مُنْزِلُونَ عَلی أَهْلِ هذِهِ الْقَرْیَهِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما کانُوا یَفْسُقُونَ

۱- ۵) المصدر/ص(۱۵۸).

و لا بد من ملاحظه الفرق بين«منزلين»بالتخفيف و«منزّلين» بالتشديد،الاولى من(انزل)ای دفعه واحده،بينما الثانيه من(نزّل)ای على فترات شيئا فشيئا،و الملائكه هنا أخبروا لوطا ان العذاب سينزل من السماء رجزا على الفاسقين دفعه واحده.

أما كيف نزل بهم العذاب؟

فقد روى ابو حمزه الثمالى قصه ذلك مفصلا فى روايه:

عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

ان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله سأل جبرئيل كيف كان مهلك قوم لوط؟ فقال:ان قوم لوط كانوا أهل قريه لا ينتظفون من البول و الغائط و لا يتطهرون من الجنابه،بخلاء أشحاء على الطعام،و ان لوطا لبث فيهم ثلاثين سنه،و انما كان نازلا عليهم و لم يكن منهم و لا عشيره له فيهم ثلاثين سنه و لا قوم،و انه دعاهم الى اللّه عز و جل و الى الايمان و اتباعه،و نهاهم عن الفواحش و حثهم على طاعه اللّه فلم يجيبوه و لم يطيعوه،و ان اللّه عز و جل لما أراد عذابهم بعث إليهم رسلا منذرين عذرا نذرا،فلما عتوا عن امره بعث إليهم ملائكه ليخرجوا من كان فى قريتهم من المؤمنين،فما وجدوا فيها غير بيت من المسلمين فاخرجوهم منها،و قالوا للوط:

«فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ» من هذه القريه الليله «بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ اتَّبِعْ أَدْبٰارَهُمْ وَ لاٰ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ» فلما انتصف الليل سار لوط ببناته،و تولت امرأته مدبره فانقطعت الى قومها تسعى بلوط،و تخبرهم ان لوطا قد سار ببناته،و انى نوديت من تلقاء العرش لما طلع الفجر:يا جبرئيل حق القول من اللّه تحتم عذاب قوم لوط، فاهبط الى قريه قوم لوط و ما حوت فاقلبها من تحت سبع أرضين،ثم أعرج بها الى

السماء فأوقفها حتی یأتیک امر الجبار فی قلبها،ودع منها ایه بینه من منزل لوط عبره للسیاره،فهبطت علی أهل القریه الظالمین فضربت بجناحی الأیمن علی ما حوی علیه شرقها،و ضربت بجناحی الأیسر علی ما حوی علیها غربها،فاقتلعتها یا محمد من تحت سبع أرضین الا منزل لوط ایه للسیاره،ثم عرجت بها فی حوافی جناحی حتی أوقفتها حیث یسمع أهل السماء زقاء دیوکها و نباح کلابها فلما طلعت الشمس نودیت من تلقاء العرش:یا جبرئیل!اقلب القریه علی القوم، فقلبتها علیهم حتی صار أسفلها أعلاها و أمطر اللّه علیهم حجاره من سجیل مسومه عند ربک و ما هی من الظالمین من أمتک ببعید (۱) [۳۵] وَ لَقَدْ تَرَکْنا مِنْها آیَهً بَیِّنَهً لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ ترکناهم عبره لمن یستفید من التجارب و الدروس التاریخیه.و قد أکّد اللّه سبحانه هذه الحقیقه فی آیه متقدمه من هذه السوره: «وَ إِنْ تُکَذِّبُوا فَقَدْ کَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِکُمْ» ثم قال: «قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ» .

فعلینا أن نسیر فی الأرض،و ننقّب فی الآثار،و نکتشف الی أیّ مدی من التحضّر أو التخلف وصلوا،حتی نفهم کیف کان هؤلاء،و لماذا هلکوا.

و ما أحوج البشریه الیوم للاعتبار بمصیر قوم لوط و هی تنزلق فی وحل الرذیله و الفحشاء،و تراها استمرأت الخلاعه و استباحت الزنا و انتشر فیها الشذوذ الجنسی و بدأ یکتسب وضعا قانونیّا فی بلاد عدیده،و بالرغم من تحذیر الحکماء،و إنذار الربّ بانتشار مرض الایدز فإنهم لا یزالون یهبطون نحو الهاویه،حیث غضب اللّه الذی لا یقدرون علی ردّه-أنجانا اللّه منه-.

۱- ۶) المصدر/ص(۱۵۸-۱۵۹).

[سوره العنكبوت (۲۹): الآيات ۳۶ الى ۴۳]

اشاره

وَ إِلىٰ مَدْيَنَ أَخٰاهُمْ شُعَيْباً فَقٰالَ يٰا قَوْمِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ وَ اُرْجُوا اَلْيَوْمَ اَلْآخِرَ وَ لاٰ تَعْثَوْا فِي اَلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۳۶) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ اَلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دٰارِهِمْ جٰاثِمِينَ (۳۷) وَ عٰاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسٰاكِنِهِمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ اَلشَّيْطٰانُ أَعْمٰالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ اَلسَّبِيلِ وَ كٰانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (۳۸) وَ قٰارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هٰامٰانَ وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مُوسىٰ بِالْبَيِّنٰاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي اَلْأَرْضِ وَ مٰا كٰانُوا سٰابِقِينَ (۳۹) فَكُلاًّ أَخَذْنٰا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنٰا عَلَيْهِ حٰاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ اَلصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنٰا بِهِ اَلْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنٰا وَ مٰا كٰانَ اَللّٰهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لٰكِنْ كٰانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۴۰) مَثَلُ اَلَّذِينَ اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اَللّٰهِ أَوْلِيٰاءَ كَمَثَلِ اَلْعَنْكَبُوتِ اِتَّخَذَتْ بَيْتاً وَ إِنَّ أَوْهَنَ اَلْبُيُوتِ لَبَيْتُ اَلْعَنْكَبُوتِ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ (۴۱) إِنَّ اَللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۴۲) وَ تِلْكَ اَلْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ وَ مٰا يَعْقِلُهٰا إِلاَّ اَلْعٰالِمُونَ (۴۳)

اللغه

۳۶[و لا تعثوا]:يقال عثى إذا أفسد فسادا كثيرا.

۴۰[حاصبا]:الحاصب هو الريح العاصفه التى فيها الحصاء و هى الحصى الصغار.

ص:۴۵۲

وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ

هدی من الآیات:

اشاره

أوهن العلاقات الاجتماعیه،و أوهن الحضارات البشریه هی التی تقوم علی أساس باطل،لأنّ هذه العلاقات و الحضارات و ان کانت قویه فی الظاهر،إلاّ أنها ضعیفه فی الواقع،لأنها لا تتفق و رسالات اللّه،و سنن الحیاه،و عبر التاریخ، و یرفضها العقل و الفطره،مما یجعلها عرضه للزوال،لان من طبیعه الباطل الزوال و الزهوق،تماما کبیت العنکبوت الذی قد یخدع الإنسان بمداخله و مخارجه و هندسته،و لکنه سرعان ما یطیر مع هبات الریح،و کذا هو عذاب اللّه بالنسبه لتلک الحضارات.

و تذکرنا هذه الآیات المبارکه ببعض دروس التاریخ،و عبره الحضاریه،حیث تستعرض الأسباب التی أنهت مدنیات عدیده،و تأتی بعده شواهد علی ذلک،من مجتمعات متباعده زمنیّا،متباینه فی السلوک و التوجّهات،فمن قوم نوح إلی قوم إبراهیم الی قوم لوط الی قوم شعیب الی قوم عاد و ثمود،و بعد ذلک النموذج الأشهر

و هو قصه موسى و فرعون،متعرضا لقصه قارون.

و لنهايه الحضارات أسباب ذاتيه و خارجيه فى منظور القرآن،إلّا أنّ السياق يبيّن الأسباب الذاتيه،لان العوامل الخارجيه لا تنهى الحضارات من دون وجود أسباب داخليه لانهيارها، و حتى لو بدت بعض العوامل الخارجيه ذات أثر فعّال فلا بد أن نبحث فى أساس بنيان الحضارات مما أضعفها و جعل زوالها ممكنا،و تبين الآيات الممارسات الخاطئه التى تختلف من تجمع الى آخر،و لكنها تنتهى بالتالى الى ثلاثه عوامل-فيما يبدو لى-:

۱-الثقافه الجاهليه:

حيث يلعب انحراف الثقافه دورا بارزا فى تبرير أخطاء الإنسان مما يجعله يفقد المناعه ضد الخطأ،و يغدو متراكم السلبيات عرضه للبوار،ثم ان الثقافه الباطله تحوّل القيم فتنحرف مسيره الحضاره الصاعده الى طريق هابط،و أخيرا تشوش الثقافه الفاسده الرؤيه فيتخذ البشر مواقف خاطئه،و لان الثقافه بمثابه البنيان التحتى لأىّ كيان،فمتى كان الأساس غير سليم،فان البنيان ينهار سريعا.

۲-الانحراف عن الصراط:

فالانحراف يذهب بطاقات الامه و الفرد بعيدا عن اهدافه الرئيسيه،كالذى يسير بعيدا عن الجاده،لا تزيده السرعه الا بعدا،و كلما ابتعد الإنسان عن الطريق الذى ارتضاه اللّه له كلما قرب من نهايته،سواء كان الإنسان الفرد أم الحضاره.

۳-الاعتماد على القوه الماديه:

ثقافه الإنسان الجاهليه،و انحرافه عن الصراط يدفعانه الى تجاهل قدره اللّه، و الاعتماد أكثر فأكثر على حسابات ماديه بحته،سواء كان يمتلكها هو أو تحيط به،

ناسيا ان من يسيّر الحياه هو رب العباد،و انه سبحانه هو الذى يشاء لا غيره،و هذه خاتمه المطاف فى مسيره التدهور البشرى،و حين تصل البشريه الى هذا المطلب،فقد اذن لها بالزوال.

و مع ان اللّه قدم لنا ادله واقعيه على أسباب سقوط الحضارات،الا أننا نرى الآن البرهان تلو البرهان على جاهليه هذا القرن،و زيف حقائقه،ففى هذا الزمان صار الهوى صنما،و صارت المظاهر الماديه قوت الإنسان اليومى،و الشواهد و الأرقام تبين مدى الاخطار التى تهدد البشريه،و لا ريب ان التصاعد الجنونى فى ميزانيات التسلح فى العالم،و اتساع الفجوه العظيمه بين الدول المستكبره و المستضعفين، و انتشار الفساد الخلقى و الإرهاب و النفاق،هو بعض مظاهر الكفر فى الجاهليه الحديثه التى تهدّد مكاسب الانسانيه جمعاء.

بينات من الآيات:

[۳۶] وَ إِلىٰ مَدْيَنَ أَخٰاهُمْ شُعَيْباً فَقٰالَ يٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَ ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ لاٰ تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بعث شعيب عليه السلام الى مدين من أجل الإصلاح،و قد كانوا مفسدين،و ذكرهم شعيب عليه السلام بثلاث مسائل:

۱/عباده اللّه،و التى تعنى إخلاص العبوديه له،و التوجه إليه.

۲/و ارجوا اليوم الآخر الذى يعنى الخوف من النار و الرجاء للجنه،بمعنى ان يضعوا اليوم الآخر فى حسبانهم،و يعرفوا انهم محاسبون على أعمالهم،و متى ما عرف الإنسان ذلك صلحت أعماله.

۳/و لا تعثوا فى الأرض مفسدين،و فى آى القرآن الكريم فى سورتى الأعراف

و الشعراء فسادهم الاقتصادی.

[۳۷] فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دٰارِهِمْ جٰاثِمِينَ كعاده سائر الأقوام كـذبت مدين نبيها شـعيبا،و جرت فيهم سـنه اللّه سبحانه، إذ أخذهم بالرجفه،فأصبحوا جاثمين فی بيوتهم،بعد ان صرعهم العذاب.

و هنا سـبحانه يختصـر السـياق ببيان الصـراع بين نبی اللّه و بينهم،الـذی فصل القول فيه فی سور مختلفه،فقال سـبحانه:«فكـذبوه»و لكنه فی المقابل يصف عـذابه وصـفا بليغا،و لعل ذلك للاسـتخفاف بتكـذيبهم،و ان تكـذيبهم لم يكن ليضـرّ اللّه، أو ينقص فی حكمه،و بيان ان اللّه سبحانه عند ما ينتقم فان انتقامه سيكون رهيبا.

[۳۸]و لم يكن العذاب ليحيق بمدين أو قوم لوط فحسب،بل ان العذاب على من كذّب و تولى.

وَ عٰاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسٰاكِنِهِمْ انظروا الی مساكنهم و آثارهم،لتعرفوا رهبه العذاب،و قدره اللّه سـبحانه و تعالی،و فی المقابل انظروا الی أیّ مدی وصلوا فی التحضر،و هل كل ذاك التمدن منع عنهم عذابه.

وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰانُ أَعْمٰالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ عباده الشيطان كان السـبب الرئيسی فی ضلالهم،فقد زين لهم اعمال السوء التی كانوا يعملون، و صدهم عن السبيل،و قد أخذ اللّه سـبحانه من البشـر عهدا بعدم عباده الشيطان عند ما قال لهم: «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰا بَنِي آدَمَ أَنْ لاٰ تَعْبُدُوا الشَّيْطٰانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ* وَ أَنِ اعْبُدُونِي هٰذٰا صِرٰاطٌ مُسْتَقِيمٌ» (۱)

۱- ۱) يس/(۶۰-۶۱).

و لكنهم نكثوا عهدهم مع اللّه فحاق بهم نكثهم.

وَ كٰانُوا مُسْتَبْصِرِينَ و لعل الآيه تهدينا الى ان استبصار الأمم عند نشوئها لا يشفع لهم عند اللّه إذا انحرفوا،و ان على الأمم المستبصره ألاّ تستهين بمكر الشيطان الذى يزين اعمال السوء فى أعين الغافلين و يصدهم عن السبيل.

و هنا فكره أخرى نستوحيها من هذه الخاتمه هى فكره الدورات الحضاريه،و ان الأمم الفتيه يغلب صلاحها على فسادها،إلاّ أنّها لا تلبث ان يتغلب عليها جانب الفساد،و ان اللّه سبحانه يبعث الرسل لمنع تدهورها،الا ان كثيرا منها تتخذ طريقها الى النهايه المدمره.

[۳۹]و كما سائر الأقوام كذلك قارون و فرعون و هامان الذين استكبروا، و لكن هل كانوا قادرين على مواجهه عذاب اللّه؟! وَ قٰارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هٰامٰانَ وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مُوسىٰ بِالْبَيِّنٰاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَ مٰا كٰانُوا سٰابِقِينَ تشير الآيه الى الاعمده الثلاث للفساد و هى:

۱-السلطه الاقتصاديه(قارون).

۲-السلطه السياسيه(فرعون).

۳-السلطه الاعلاميه(هامان).

فقد كان يمثل قارون الفساد الاقتصادى-الاحتكار،عدم دفع

الاستحقاقات،الطغيان على المجتمع،اتهام القياده-بينما كان فرعون يجسد الإرهاب السياسى و العسكرى،أما هامان فقد كان المستشار الاعلامى لفرعون و موضع سرّه،و لا يتجسد الفساد فى المال،أو السلطتين السياسيه و العسكريه و لا فى الاعلام،فهى مجرد وسائط اجتماعيه،و انما الفساد فى الرؤوس المدبّره لهذه السلطات الثلاث.

[۴٠]لقد كان حصيله تمسك هؤلاء بالفساد استكبارا فى الأرض الدمار،و لم يكن هلاكهم بدعا أو صدفه،انما كان سنه جاريه تكررت فى مختلف الظروف، و عند أمم متباينه تاريخيا و قوميا و فسادا.

فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ و هذا جزاء قوم عاد و ثمود.

وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ قارون.

وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا فرعون و هامان.

وَ ما كانَ اللّٰهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لٰكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ لم يكن اللّه ليظلم عباده،بيد ان عذابه للكافرين تجسيد لأعمالهم أنفسهم، و ظلمهم لها، و ان عذاب اللّه انما هو صوره لعدل اللّه سبحانه.

و نحن نعرف ان الجزاء من جنس العمل،و عذاب اللّه سبحانه-دنيا و آخره- انما هو صوره أخرى لأفعالهم،فمن قدس الماء غرق فيه،و من حفر الصخر عذب به..و هكذا.

قال الحجاج لسعيد بن حبير(رض)لما أراد قتله:اختر قتلتك،فأجابه سعيد بكل ثقه و اطمئنان:بل اختر أنت قتلتك التى سأقتلك بها فى الآخره.

[۴۱] مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَوْلِيٰاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ ان من اعتمد على غير اللّه،فان حضارته كبيت العنكبوت،و إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت.

فمهما كانت قوه الإنسان و قدرته،فانها لن تجدى نفعا امام قدره اللّه،بيد ان الضمان الوحيد لاستمرار الطاقات،و نمو الحضارات هو تبلور المفاهيم التوحيديه فى الواقع،و أداء واجب الشكر،و حق الطاعه،و اقتلاع جذور الشرك و العبوديه لغير اللّه.

[۴۲] إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ان اللّه يعلم حقائق الشرك الخفيه فى النفوس،و مصاديقها فى الواقع،مهما تعددت أشكالها،و تنوعت حقائقها،و اللّه عزيز قادر على الأخذ كيفما يشاء متى يشاء،و لكنه حكيم لا يأخذهم حتى يتم الحجه عليهم.

[۴۳] وَ تِلْكَ الْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ وَ مٰا يَعْقِلُهٰا إِلاَّ الْعٰالِمُونَ

ص:۴۶۰

وجود القابليه للهدايه و الرغبه فيها،و التحذر من مواطن السيئات التى وقع فيها من قبلنا شرط أساسى للاستفاده من عبر التاريخ.

و تعقل هذه البصائر لا يتم الا من العلماء لان أكثر الناس لا يعقلون.

ص:۴۶۱

[سوره العنكبوت (۲۹): الآيات ۴۴ الی ۵۱]

اشاره

خَلَقَ اَللّٰهُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً لِلْمُؤْمِنِینَ (۴۴) اُتْلُ مٰا أُوحِیَ إِلَیْکَ مِنَ اَلْکِتٰابِ وَ أَقِمِ اَلصَّلاٰهَ إِنَّ اَلصَّلاٰهَ تَنْهیٰ عَنِ اَلْفَحْشٰاءِ وَ اَلْمُنْکَرِ وَ لَذِکْرُ اَللّٰهِ أَکْبَرُ وَ اَللّٰهُ یَعْلَمُ مٰا تَصْنَعُونَ (۴۵) وَ لاٰ تُجٰادِلُوا أَهْلَ اَلْکِتٰابِ إِلاّٰ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِلاَّ اَلَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَ قُولُوا آمَنّٰا بِالَّذِی أُنْزِلَ إِلَیْنٰا وَ أُنْزِلَ إِلَیْکُمْ وَ إِلٰهُنٰا وَ إِلٰهُکُمْ وٰاحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۴۶) وَ کَذٰلِکَ أَنْزَلْنٰا إِلَیْکَ اَلْکِتٰابَ فَالَّذِینَ آتَیْنٰاهُمُ اَلْکِتٰابَ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مِنْ هٰؤُلاٰءِ مَنْ یُؤْمِنُ بِهِ وَ مٰا یَجْحَدُ بِآیٰاتِنٰا إِلاَّ اَلْکٰافِرُونَ (۴۷) وَ مٰا کُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ کِتٰابٍ وَ لاٰ تَخُطُّهُ بِیَمِینِکَ إِذاً لاَرْتٰابَ اَلْمُبْطِلُونَ (۴۸) بَلْ هُوَ آیٰاتٌ بَیِّنٰاتٌ فِی صُدُورِ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ وَ مٰا یَجْحَدُ بِآیٰاتِنٰا إِلاَّ اَلظّٰالِمُونَ (۴۹) وَ قٰالُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیٰاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا اَلْآیٰاتُ عِنْدَ اَللّٰهِ وَ إِنَّمٰا أَنَا نَذِیرٌ مُبِینٌ (۵۰) أَ وَ لَمْ یَکْفِهِمْ أَنّٰا أَنْزَلْنٰا عَلَیْکَ اَلْکِتٰابَ یُتْلیٰ عَلَیْهِمْ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَرَحْمَهً وَ ذِکْریٰ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (۵۱)

ص:۴۶۲

خَلَقَ اللّهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ

هدى من الآيات:

تركيزا بعد القصص التى تليت،و بيانا لمنهج الهى يقينا مصير الغابرين تأتى آيات هذا الدرس لتبين أولا:ان الحق أساس خلق السموات و الأرض،و حين نعرف ذلك نهتدى الى ان كل شىء يسير على هدى سنّه مفروضه عليه،و علينا- إذا-معرفه تلك السنن ان كنا نريد التعامل مع حقائق الخلق،و لا يجوز ان نتمنى ان يكون العالم المحيط بنا على صوره نصنعها فى أنفسنا ثم نتعامل مع تلك الصوره التى لا تمت الى الواقع بصله كما يفعل الجاهلون،و أكبر عقبه فى طريق العلم هو التصورات الذاتيه التى يتوهمها البشر،و يزعم بأنها هى الحقائق الموضوعيه.

و حين يثبت الوحى مبدأ الحق يبنى عليه مبدأ المسؤوليه،فليس بالتمنيات تقدر ان تبلغ الحياه الفضلى،انما بالسعى الرشيد،و العمل الجاد المخلص تتّقى العقاب الإلهى.

ثانیا:ان معرفه هذا المبدأ بحاجه الی قابلیه فی القلب تأتی بالایمان و التسلیم، ذلک ان القلوب المغلقه لا تستطیع ان تستوعب هذا المبدأ الشامل.

العین تعجز عن الترکیز علی نور باهر،و الاذن لا تسمع الأصوات ذات الذبذبات العالیه جدا،و کذلک القلب فلیس کل قلب قادرا علی معرفه الحقائق الکبری فی العالمین،و انما القلوب المؤمنه التی روّضت بالتقوی،و بورکت بالوحی، و نورها اللّه بنوره البهیّ قادره علی وعی هذه الحقیقه.ان محور الخلیقه هو الحق «إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً لِلْمُؤْمِنِینَ» .

ثالثا:لکی نفهم هذا المبدأ،و نعتبر بالتالی بعاقبه الذین اهلکهم اللّه بفسادهم و عنادهم،لا بد ان نتلوا القرآن،لنقرأ من خلال آیاته آیات اللّه فی الخلیقه.

رابعا:و علینا ان ندفع عن قلوبنا هجمات الشیطان التی لا تتوقف،هذه الوساوس و الظنون و التمنیات جنود الشیطان التی تحیط بالقلب احاطه السوار بالمعصم،و الصلاه و ذکر اللّه حصن القلب ضدها.

خامسا:إیجاد علاقه إیجابیه و بناءه مع أهل الکتب الالهیه یساهم فی تکریس وحده الرسالات،و بالتالی رفع مستوی الوعی الایمانی للبشریه،و بالرغم من ان الجاهلین قد أوغلوا فی الکتب السابقه تحریفا و تأویلا باطلا،و بالرغم من وجود نواقص فی الکتب أتمها الإسلام،الا ان علینا احترام أهلها و عدم الجدل معهم الا بالتی هی أحسن.

و یمضی السیاق فی بیان جدل الکفار فی رساله النبی و یرد شبهاتهم و یقول:ان الرسول لم یکن یتلو من قبل کتابا و لا یخطه بیمینه حتی لا یرتاب المبطلون فی صدق نزول الکتاب من اللّه علیه.

ص:۴۶۵

انما الکتاب آیات تعیها صدور العلماء،أما من یجحد بها فانما لظلمه،و لآثار الذنوب علی قلبه،و هم یطالبون بآیات خارقه و هی عند اللّه و بأمره،و انما الرسول نذیر و ما علیه الا البلاغ.

لو کان هؤلاء من أهل الهدایه کان هذا الکتاب کافیا لهم،أو لیس قد أنزله اللّه رحمه و ذکری لقوم مؤمنین؟!

بینات من الآیات:

[۴۴]قد یعرف الفرد حقیقه واحده تفتح له أبواب المعرفه،و قد یجهلها فتصبح کل معلوماته لغزا،و الوحی الالهی یذکرنا أبدا بتلک المعارف التی هی کالمفتاح تفک رموز الخلیقه.منها:ان بناء الأرض و السموات قائم علی أساس الحق.

خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ فهی لیست تصورات،و لا تمنیات،و لا تمشی حسب أهواء هذا و ذاک،و لا هی مخلوقه عبثا و بلا هدف.

أ رأیت لطف الخلق و دقته؟!أو رأیت فیه ثغره أو فطورا؟!هل رأی فیه أحد لعبا و لهوا و عبثیه؟! الا تنظر الی إتقان صنع المجرات التی تکاد لا تحد؟!و إتقان صنع البعوضه؟! أ فلا تری حاله التکامل بین ابعد مجره،و أصغر دابه بل احقر جرثومه؟! اللّه أکبر.انه محور الحق الذی لا یحید عنه شیء،و لکن لماذا لا نعی نحن هذا المحور العظیم الذی تهدی الیه کل الشواهد و الآیات.أ تدری لماذا؟ القرآن الکریم یجیب قائلا:

إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً لِلْمُؤْمِنِینَ هل تستقبل الصخره الصلده برکات الغیث،و هل تنبت زرعا،أو تحفظ ماءا؟ کلا..لأنها لیست بذات قابلیه،کذلک القلب الصخری المعاند الذی یخلق فی ذاته صنما فیعبده و یزعم بأنه الحق،و یغلق علی نفسه منافذ المعرفه.

الایمان هو التسلیم،و التسلیم هو التصدیق،و القلب الذی یرفض سلفا قبول ای فکره کیف ینتفع بآیات العلم؟! [۴۵]لماذا یتحجر قلب البشر،و کیف نزیل قسوته و نجعله لیّنا،أو لاـ أقل کیف نحافظ علی القلوب الخاشعه الاـ تقسوا؟ الجهل،و الغفله،و اتباع الهوی،و طول الأمل،و العادات السیئه،و الأفکار الباطله،و وساوس الشیطان،و ظنون النفس،و تمنیات القلب کل أولئک یمکن ان تکون حجبا سمیکه علی القلب،أو مغالیق لاـ تفک علی أبوابه،و علی الإنسان ان یقوم بجهد مکثف و دائم لتطهیر قلبه،و فک اقفاله،و فتح منافذه و لکن بماذا؟ بالکتاب،بالصلاه،بذکر اللّه.

اُتْلُ مٰا أُوحِیَ إِلَیْکَ مِنَ الْکِتٰابِ القرآن شفاء لما فی الصدور،کل آیه منه تفتح سبیلا للهدایه الی القلب،و تطهر جانبا منه،و علینا ان نتلوه فی آناء اللیل و أطراف النهار،و نتدبر فیه،و نلیّن قلوبنا القاسیه بآیاته.

وَ أَقِمِ الصَّلاٰهَ

دعنا نصلی صلاه الخاشعین لا صلاه الساهین،و عندئذ نعرف مدی الفائده العاجله التی نستفیدها منها.و لعل کلمه(الاقامه)تعنی إتیانها بشروطها،و من شروطها السکینه و الخشوع.و الفائده العاجله التی نرجوها بإقامه الصلاه ترکیز التقوی فی القلب،مما تبعدنا عن الذنوب الکبیره و الصغیره.

إِنَّ الصَّلاٰهَ تَنْهیٰ عَنِ الْفَحْشٰاءِ وَ الْمُنْکَرِ و لعل الفحشاء هی الخطایا الکبیره التی لا یمکن تبریرها کالقتل،و الزنا، و النهب،و السرقه،و الاعتداء علی حقوق الناس علنا.

أما المنکر فلعله الذنوب التی ینکرها القلب،و قد لا یعرف عنها المجتمع کالمساهمه فی قتل الناس عبر إسقاط شخصیاته بالغیبه و التهمه،و کذلک الغش و الرشوه و هکذا الریاء و النفاق و..و..

وَ لَذِکْرُ اللّٰهِ أَکْبَرُ ان من عظمه الصلاه انها ترسخ فی القلب عقیده التوحید و التی هی الینبوع الصافی لسائر العقائد السلیمه.

و لعل الآیه تشیر الی ان جوهر الصلاه هو ذکر اللّه،و لذلک کان علینا ان نهتم به سواء فی الصلاه أو فی حالات أخری،ذلک ان ذکر اللّه یحصن القلب من وساوس الشیطان،و یحفظه من همزاته،و یقاوم الغفله و الاسترسال.

و من المعروف ان ذکر اللّه لیس مجرد التلفظ ب«اللّه أکبر-لا إله إلاّ اللّه» و انما هو تذکر اللّه عند المعصیه فیصبر عنها،و عند الطاعه فیندفع إلیها،و عند المصیبه فیتسلی عنها،و عند الزحف فلا یولی الدبر.

ص:۴۶۸

[۴۶]الآيات التى مضت كانت تبين قصص الأنبياء مع الأمم،و لعل ذلك كان مناسبه للحديث عن موقف الإسلام من الرسالات السابقه،و جاء الجواب:

ان الموقف ايجابى و يتلخص فى:

الف:الجدال بالتى هى أحسن،دون خشونه أو عنف.

باء:توجيه العنف الى الظالمين منهم كما يوجه العنف ضد الظالمين من أبناء الامه الاسلاميه.

جيم:بيان أسس الوحده بينهم و بين المسلمين.

وَ لاٰ تُجٰادِلُوا أَهْلَ الْكِتٰابِ إِلاّٰ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ جاء فى بعض الروايات ان معنى هذا الجدال:ان تستدل بالأدله الواقعيه،و ألا تنكر حقّا يستشهد به صاحبك،و لا تدّعى باطلا لإثبات حقّك.

إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ و من هذه الآيه نستوحى:ان الإسلام لا يهتم فقط بالمسلمين-كطائفه بشريه -و انما أيضا بأبناء الطوائف الاخرى،فيقاوم الظلم انى كان و على أى شخص وقع،مسلما كان أو نصرانيا أو يهوديا و حتى لو كان مشركا.

الإسلام رساله اللّه لانقاذ الإنسان كإنسان،و على المسلم أن يكون نصيرا للمظلوم انى كان،

و جاء فى حديث:

«من سمع رجل ينادى يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم » وَ قُولُوا آمَنّٰا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنٰا وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلٰهُنٰا وَ إِلٰهُكُمْ

ص:۴۶۹

وٰاحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ و الواقع:ان وجود محور توحیدی واحد یؤمن به الجمیع هو امتن أساس للتعایش السلمی بین الدیانات.

[۴۷]قد تشتبه الأمور علی بعض أهل الکتاب،بینما البعض الآخر یسارع للایمان بالرساله التی ختم بها اللّه رسالاته لمعرفته بجوهر الرسالات الإلهیه،الذی یتجلی بأفضل صوره فی هذه الرساله.

وَ کَذٰلِکَ أَنْزَلْنٰا إِلَیْکَ الْکِتٰابَ لعل معناه:کما أنزلنا علی الرسل من قبلک.

فَالَّذِینَ آتَیْنٰاهُمُ الْکِتٰابَ یُؤْمِنُونَ بِهِ لأنهم یجدونه مکتوبا عندهم،و لأنهم یجدون فیه شواهد الصدق التی کانت فی الکتب السابقه.

وَ مِنْ هٰؤُلاٰءِ مَنْ یُؤْمِنُ بِهِ لعل المراد بهم الموجودون فی الجزیره من غیر أهل الکتاب.

وَ مٰا یَجْحَدُ بِآیٰاتِنٰا إِلاَّ الْکٰافِرُونَ الذی یکفرون بنعم اللّه،و تنطوی قلوبهم علی مرض،و إلا فان هذه الآیات واضحه لا ریب فیها.

[۴۸]و من شواهد صدق الرسول تفجر ینابیع الوحی علی لسانه مره واحده، دون تکامل ذلک عبر التعلم أو بالتدریج،و دون ان یتصل بالوسط الاجتماعی الذی

هو فیه،بـل و من دون ان یکون لـذلک الوسـط اثر علیه،بل یأتی أبـدا تحـدّیا لمفاسـد الوسط،و فتحا لآفاق جدیـده من المعارف علیه.

وَ مٰا کُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ کِتٰابٍ وَ لاٰ تَخُطُّهُ بِیَمِینِکَ إِذاً لاَرْتٰابَ الْمُبْطِلُونَ [۴۹]و من شواهد الصدق علی رساله الإسـلام یقین أهـل العلم و الحکمه و الفضـیله فی الامه بها،ففی الناس-فی کل عصـر و مکان-طیبون و آخرون فاسـدون،و من خلال تمسـک الطیبین بفکره نستشهد علی صحتها،کما ان فی الناس علماء و جهال و ایمان العلماء بخط یزیدنا یقینا بصدقه.

بَلْ هُوَ آیٰاتٌ بَیِّنٰاتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ و هم فی هذه الامه أئمه الحق من آل بیت الرسول-صـلی اللّه علیه و آله و سلم-و العلماء باللّه،الأمناء علی حلاله و حرامه،و هم أهل الذکر الذین أمرنا بالسؤال منهم.

وَ مٰا یَجْحَدُ بِآیٰاتِنٰا إِلاَّ الظّٰالِمُونَ أما الفئه الکافره بالکتاب فهم أولئک المنبوذون عنـد العرف،الـذین یظلمون الناس،إذا من خلال طبیعه المؤمن و الکافر بالرساله نعرف مدی صدقها.

[۵۰]و یطالب الکفار-جـدلا-بالمزید من الآیات و الآیات الخارقه،بینما لا تجدیهم الآیات نفعا،لأنها لو نزلت فکفروا بها لنزل بهم العذاب.

وَ قٰالُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیٰاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآیٰاتُ عِنْدَ اللّٰهِ

فهو الذی ینزلها متی ما شاء بحکمته و بعد ان تنتهی فرصه القوم.

وَ إِنَّمٰا أَنَا نَذِیرٌ مُبِینٌ ان الثقافه الجاهلیه تلعب دورا هاما فی تبریر أخطاء الکفار المنهجیه،و لعل الآیات التی کانوا یطالبون بها کانت تدور حول موضوعات لا-غنی فیها کالجدلیات البیزنطیه،بینما مهمه الرسول الاولی الإنذار لا-لکی یکرههم علی الایمان،بل لکی تستضاء قلوبهم فیؤمنوا طوعا لینتفعوا بالایمان،و هذا-فیما یبدو -هو المنهج السلیم للدعوه و به یتحقق الجدال باللتی هی أحسن.

[۵۱] أَ وَ لَمْ یَکْفِهِمْ أَنّٰا أَنْزَلْنٰا عَلَیْکَ الْکِتٰابَ یُتْلیٰ عَلَیْهِمْ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَرَحْمَهً وَ ذِکْریٰ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ أو لیس دلیلا کافیا علی عظمه هذا الکتاب الذی نستکشف منه رؤی الحیاه و بصائر العمل انه رحمه للعالمین،حیث یقدم لهم برامج الحیاه السلیمه،و الرؤی الواضحه الصحیحه،و حیث یقوم بتذکیر المؤمنین الذین رفعوا عن أنفسهم حجاب الجهل،و التکبر،فأثار فیهم دفائن عقولهم،و استحث هممهم الناشطه من أجل السیر قدما فی مسیره تحریر الأرض و الإنسان من عبودیه الأوثان الی عباده اللّه الواهب المنان.

[سوره العنكبوت (۲۹): الآيات ۵۲ الى ۶۳]

اشاره

قُلْ كَفىٰ بِاللّٰهِ بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مٰا فِى اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا بِالْبٰاطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللّٰهِ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْخٰاسِرُونَ
(۵۲) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذٰابِ وَ لَوْ لاٰ أَجَلٌ مُسَمًّى لَجٰاءَهُمُ اَلْعَذٰابُ وَ لَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ (۵۳) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذٰابِ وَ
إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكٰافِرِينَ (۵۴) يَوْمَ يَغْشٰاهُمُ اَلْعَذٰابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۵۵) يٰا
عِبٰادِيَ اَلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وٰاسِعَةٌ فَإِيّٰايَ فَاعْبُدُونِ (۵۶) كُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَةُ اَلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنٰا تُرْجَعُونَ (۵۷) وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا
اَلصّٰالِحٰاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ اَلْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا نِعْمَ أَجْرُ اَلْعٰامِلِينَ (۵۸) اَلَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
(۵۹) وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لاٰ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اَللّٰهُ يَرْزُقُهٰا وَ إِيّٰاكُمْ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۶۰) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ
سَخَّرَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اَللّٰهُ فَأَنّٰى يُؤْفَكُونَ (۶۱) اَللّٰهُ يَبْسُطُ اَلرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اَللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۶۲)
وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً فَأَحْيٰا بِهِ اَلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهٰا لَيَقُولُنَّ اَللّٰهُ قُلِ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْقِلُونَ (۶۳)

قُلْ كَفىٰ بِاللّٰهِ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً

هدی من الآیات:

هل هناک أکبر من اللّه و من شهادته،و هو الذی یدبّر شؤون السموات و الأرض؟!کلا..اللّه بکل عظمته و سلطانه شهید علی صدق رسالاته،و کفی به شهیدا،و الخاسر حقّا هو الذی یؤمن بالباطل،و یکفر باللّه،(و برسالاته).

و یزعمون:أنّ دلیل صدق الرسالات ینبغی أن یکون عذابا عاجلا-لمن یکفر باللّه،و لا یعلمون انه لو جاءهم لا ینفعهم ایمانهم شیئا،بل یأتیهم فجأه دون أن یشعروا،و لا-یعلمون ان العذاب الذی یطالبون به محیط بهم،لولا انهم محجوبون عنه بظاهر من الحیاه الدنیا،و حین ترتفع عنهم حجبهم یغشاهم من کل أطرافهم.

لا بد من إخلاص الإیمان باللّه للتخلّص من عذابه،و لا یمکن التبریر بغلبه سلاطین الجور و الکفر،لأن أرض اللّه واسعه یمکن الهجره فی أطرافها،و لا ینبغی الخوف من الموت لأنّ کلّ نفس ذائقه الموت،و المرجع الی الربّ.

ص:۴۷۵

و ليرغب العاقل فی ثواب اللّه،حيث هيّأ للمؤمنين الـذين يعملون الصالحات غرفا من الجنه خالـدين فيها،أو ليسوا قـد صبروا علی البلاء،و لم يـداخلهم اليأس لتوكلهم علی اللّه،و لم يخشوا قطع أرزاقهم لأنّ اللّه يرزق كل دابه،كما يرزقنا و هو السـميع العليم؟! (و اللّه يـدعوهم لفطرتهم)فلأـن سـألتهم من خلق السـموات و الأـرض تراهم يعـترفون بـأن اللّه هو خالقهمـا،و مسـخر الشـمس و القمر،فلمـا ذا يسـمحون للشـيطان بإضـلالهم؟! كـذلک اللّه يبسط الرزق لمن يشاء،و يضـيق علی من يشاء،و هو محيط علما بكل شیء،فلما ذا نخشـی الفقر و نكفر باللّه طمعا فی الغنی و هو الـذی يـدبر أمور الحياه، فهو ينزل من السـماء ماء،و يحيی به الأرض من بعد موتها،فله الحمد،و لكن أكثر الناس لا يعقلون.

بينات من الآيات:

اشاره

[۵۲]الرسـاله هی تجسـيد لصـفات اللّه،و هـذا مـا نلاـحظه من خلاـل تجلّی أسـماء اللّه فی الرسـاله،فهی آيه من آيـات الرحمه،و الحكمه،و العظمه و غيرها،و بنظره فی الرساله نعرف أنّ ربّنا رحيم،حكيم،عظيم،و الی غيرها من أسمائه الحسنی.

و من جهه أخری فإنّ الرساله هی تحقيق لتطلعات العقل و الفطره،

فقد دخل اعرابیّ ذات يوم علی رسول اللّه صـلی الله عليه و آله طالبا منه النصـيحه،التی لا يحتاج بعدها إلی نصـيحه أخری،فكان أن وضع رسول اللّه يـده علی قلب الرجـل و قـال:«ما قال لک هـذا فافعل،و ما قال لک هـذا لا تفعل فلا تفعل »فالرساله هی تلبيه لنداء الفطره،و ارواء لعطش الوجدان،و ليس بين الرساله و العقل تناقض،و لذلک

جاء فی بعض الروايات: «إن للّه علی الناس حجتين:حجه ظاهره،و حجه باطنه،

ص:۴۷۶

فأما الظاهره فالرسل و الأنبياء و الأئمه-عليهم السلام-و أما الباطنه فالعقول » (۱)و شهاده العقل دليل على صحه الرسالات.

و من دلائل صدق الرساله تلك الانتصارات الهائله التى يمنّ بها الرب على عباده المؤمنين،بالرغم من قلّه عددهم،و ضعف عدتهم،حيث يقول سبحانه:

وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۲)و المعاجز الخارقه و غيرها نتيجه استجابته لدعائهم،و حينما نقف مع الرساله،و نؤمن باللّه،فان الحياه ستسخّر لنا،

و فى الحديث القدسى: «عبدى أطعنى أجعلك مثلى،أنا حىّ لا أموت،أجعلك حيّا لا تموت،أنا غنىّ لا أفتقر،أجعلك غنيّا لا تفتقر،أنا مهما أشاء يكن،أجعلك مهما تشاء يكن » (۳)و هذه شهاده أخرى.

و شهاده اللّه تتجسد أيضا فى الحقيقه الفطريه التى يؤمن بها جميع الناس،و هى حقيقه الخالق و المخلوق،فلا بدّ للكون من إله،و لكن هذه المعرفه إجماليه،و إذا أردنا المعرفه التفصيليه،فان ذلك لا يأتى إلا من خلال الايمان باللّه،و معرفه آياته، و هذا لا يأتى أيضا إلّا من خلال التزامنا بتعاليم الرساله،و تطبيق أحكام الشريعه الغراء.

قُلْ كَفىٰ بِاللّٰهِ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ إن اللّه يعلم ما تسرون و تعلنون،و يعلم خفاياكم،و هو الشاهد على ما تعملون من خير أو شر،من حقّ أو باطل،و ليس اللّه بظلام للعبيد.

۱- ۲) بحار الأنوار ج /۱ص ۱۳۷(من وصيه الامام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم).

۲- ۳) آل عمران/۱۲۳

۳- ۴) كلمه اللّه ص /۱۴۱نقلا عن آمالى الصدوق.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللّهِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ و هناك علاقه حتميه بين الإيمان بالباطل و الكفر باللّه،فبمقدار إيمانك بالباطل يكون ابتعادك عن اللّه و كذلك العكس.

[۵۳] وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ لَوْ لا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجاءَهُمُ الْعَذابُ وَ لَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ إن مشكله السواد الأعظم من الناس هى انهم لا يفهمون أن الزمن هو سبيل الامتحان الذى رست عليه قواعد الحياه،حيث يفصل بين العمل و الجزاء و لذلك يطالب البعض بتعجيل العذاب،و لكن اللّه يعدهم بالعذاب حيث لا يتمكنون من التوبه أو العوده.

[۵۴] يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ إن الحقائق موجوده و لكنا لا نراها،و هى أشبه ما تكون بالطاقه الكامنه فى الأشياء،فعند ما تأكل مال اليتيم فانما تأكل فى بطنك نارا،و الكذب رائحه نتنه تخرج من فمك،و لكن جميع هذه المظاهر لا ترى الآن،إلاّ إذا تغيّرت طبيعه الكون،و حينها يصبح المال نارا،و الكذب نتنا،و هذا هو العذاب الذى به يكذبون،و هكذا تكون جهنم محيطه بالكافرين.

[۵۵] يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فى ذلك اليوم سيغشاكم العذاب من كل حدب وصوب،و جزاؤكم من عين أفعالكم،و ستذوقون ما كنتم تعملون.

[۵۶]بعد أن ذكرنا القرآن بشهاده اللّه التى تكفى عن كل شهاده على صدق رسالاته،و بيّن أن الكافرين هم الخاسرون و ليس المؤمنون،و ان تأخير العذاب عنهم لا يعنى انه يمكن التخلص منه.كلا..بل هو موجود فعلا و محيط بهم،إذ أن أعمالهم هى التى يذوقونها عذابا حين يغشاهم من أطرافهم،و بالتالى بعد أن هز السياق ضمائرهم أخذ يعالج بعض العقبات التى تعترض طريق الإيمان،و من أبرزها:هيمنه الجبارين،فأمر بالهجره عن بلاد الكفر قائلا:

يٰا عِبٰادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وٰاسِعَهٌ فَإِيّٰايَ فَاعْبُدُونِ أنت عبدى،و الأرض أرضى،فاسع فيها و اعبدنى،و لا تخضع لسلطه الطغاه، لأنهم يرهبون الناس من الموت،و على الإنسان أن يتحرر من خوف الموت بمعرفه أنه لا ريب ذائقه،حتى يخرج من عباده الطغاه إلى عباده اللّه.

[۵۷] كُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَهُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنٰا تُرْجَعُونَ [۵۸] وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّهِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا نِعْمَ أَجْرُ الْعٰامِلِينَ الغرفه هى:الغرف المرتفعه،و هى قصر المؤمن،حيث ينعمون بالخلود، و الشباب،و الحور العين،و خدمه الولدان جزاء عملهم و إيمانهم،و هكذا يكون جزاء العاملين.

[۵۹] اَلَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ و لكن هذا الجزاء ليس بلا ثمن،فثمنه الصبر و التوكل،و هى من صفات المؤمنين.الصبر يعنى تحمل الصعاب من أجل مستقبل أفضل،و التوكل يعنى

استخراج كنوز الذات من أجل العمل.

[۶٠] وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّهٍ لاٰ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللّٰهُ يَرْزُقُهٰا وَ إِيّٰاكُمْ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ من الآيات الأربع الماضيه يبين اللّه حجابان يعيقان فهم الإنسان للوصول إلى الحقائق و هما:

الحجاب الأول:حذر الموت

كلّ حيّ يتحسس فى أعماقه ضروره الحذر من الموت،و من أولى ضروريات الحياه البحث عن النجاه و ضمان البقاء،و لكن قد يصل هذا الشعور إلى درجه المبالغه فتتضخم حتى نكون عبيدا للدنيا،إذن فلا نلقى بأيدينا إلى التهلكه،و لكن أيه ذله تلك أن نموت و نحن أحياء؟! إن ميزه الحياه الحيويه،و لفظ الحياه مشتق منها،فاذا فقدنا الحيويه و النشاط فكأننا أموات،فالحياه بلا حركه حياه ميته،لا روح فيها،و الإنسان بذلك يقتل نفسه بالمجان،لذلك كان الحذر المبالغ من الموت من أبرز العوائق أمام فهم الحياه، و العمل فى سبيل اللّه.

و يعالج القرآن هذه الحاله بدواءين هما:

أ-طرح حقيقه الموت و حتميته،فكل نفس ذائقه الموت،و ليس هناك مجال للهرب منه فاسع سعيك،و استفد من فرص الحياه.

ب-و الموت ليس واقعا مخيفا،بل إن الخوف هو فكره مخيفه تعشعش فى رأسك،و الموت ليس ما يحذر منه،و عند ما ترغب فى الموت توهب لك الحياه،

و يبقى سلاح الاعدام و التعذيب هما سلاحا الأعداء،و حين تتحداهما تستطيع أن تختار قرارك بحريه.

الحجاب الثانی:خشيه الفقر

إن كثيرا من الناس يحذرون الفقر،إلى درجه تجعلهم يمتنعون عن الإنفاق حتى على أنفسهم،مما قد يصل بهم إلى درجه الشح،و السبب فی ذلك هو نظرتهم الماديه البحته،و تغافلهم عن فكره العمل،و الجزاء،و النيه،فان اللّه يرزق على قدر النيه و الثقه به سبحانه،و ليس هذا دعوه للإسراف،بل دعوه للإنفاق فی سبيل اللّه، لكيلا تكون خشيه الفقر هو الحاجز الذی يحول دون وصولك إلى الحقيقه،فعلينا أن نؤمن بحكمه اللّه و تدبيره،فان اللّه لا يضيع أجر عباده المحسنين.

[۶۱] وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ فَأَنّٰى يُؤْفَكُونَ فاذا كانوا يعلمون بحقيقه الخلق،و الرزق،و ان اللّه مدبر الأمور،فلما ذا يبيعون إنسانيتهم من أجل لقمه عيش مغموسه فی و حل العبوديه؟!فليستنجدوا برب العالمين،مسخر الشمس،و صانع الكون،و عليهم أن يتركوا الغرور و التكبر لحظه ليكتشفوا واقع التخلف و الذل الذی يعيشون فيه.

[۶۲] اَللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ إن مفاتيح الرزق بيد اللّه لا بيد الرئيس،و قبض الروح بواسطه عزرائيل لا الاستخبارات المركزيه،فعليك أن تتحلى بالرضا و القناعه،فاللّه يعلم مقدار حاجتك،و ما هو الواجب إعطاؤه إياك وفق ما يناسب حكمته،و القضاء بيد اللّه،

فـان أصابـک شـیء فلاـ تحزن،لاـن اللّه سـیعوضک خیرا منه بسـعیک و جهـدک،و هـذه المرحله لاـ یصـل إلیهـا إلاّـ المؤمنون الحقیقیون.

[۶۳] وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَیَقُولُنَّ اللّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْقِلُونَ و ها هی شواهـد الکون تتری،و دلائل العلم تتوالی،من أجل تأکید حقائق الرزق،و لکنها لا تنفع إلاّ لمن یعقل هذه الحقائق و یسـتوعبها،و هذه وظیفه الإنسان و مسئولیته،و بمدی إدراکه و التزامه بها یکون جزاؤه و ثوابه.

ص:۴۸۲

[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۶۴ الی ۶۹]

اشاره

وَ مَا هٰذِهِ اَلْحَیٰاهُ اَلدُّنْیٰا إِلاّٰ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ اَلدّٰارَ اَلْآخِرَهَ لَهِیَ اَلْحَیَوٰانُ لَوْ کٰانُوا یَعْلَمُونَ (۶۴) فَإِذٰا رَکِبُوا فِی اَلْفُلْکِ دَعَوُا اَللّٰهَ مُخْلِصِینَ لَهُ اَلدِّینَ فَلَمّٰا نَجّٰاهُمْ إِلَی اَلْبَرِّ إِذٰا هُمْ یُشْرِکُونَ (۶۵) لِیَکْفُرُوا بِمٰا آتَیْنٰاهُمْ وَ لِیَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ یَعْلَمُونَ (۶۶) أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنّٰا جَعَلْنٰا حَرَماً آمِناً وَ یُتَخَطَّفُ اَلنّٰاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَ فَبِالْبٰاطِلِ یُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَهِ اَللّٰهِ یَکْفُرُونَ (۶۷) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اِفْتَریٰ عَلَی اَللّٰهِ کَذِباً أَوْ کَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمّٰا جٰاءَهُ أَ لَیْسَ فِی جَهَنَّمَ مَثْویً لِلْکٰافِرِینَ (۶۸) وَ اَلَّذِینَ جٰاهَدُوا فِینٰا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنٰا وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَمَعَ اَلْمُحْسِنِینَ (۶۹)

اللغه

۶۸[مثوی]:أی مقاما.

ص:۴۸۳

وَ إِنَّ الدّٰارَ الْآخِرَهَ لَهِیَ الْحَیَوٰانُ

هدی من الآیات:

إن الحیاه التی لا تتصل بالآخره لا تستحق إلاّ صفه اللّهو أو اللعب،و الفرق بین الصفتین هو:إن اللّهو عمل بلا هدف،بینما اللعب عمل بهدف غیر محترم، و قد تکون حیاه امرئ لهوا،حینما لا یضع لنفسه أهدافا،أو أن تکون اهتماماته مادیه و سطحیه و بالتالی غیر محترمه کالأکل و الشرب و الجنس.

و الأهداف التی تقتصر علی الوصول لمرکز حساس،أو ثروه عظیمه،أو امتلاک وسائل ترفیهیه،دون امتلاک الفاعلیات البشریه التی تغیّر مجری الأحداث،هی مجرد أهداف غیر محترمه.

و قد یضع الإنسان أهدافا لحیاته الدنیا،و لکنه لا یستطیع أن یجزم أن بامکانه تحقیق هذه الأهداف،و هل إن الموت سیفصل بینه و بین ما یتمنی،و حتی لو حققها فهل ستستمر معه طویلا أم لفتره محدّده؟

إن هذه الأهداف هی الأخری لیست أهدافا جدیه لتعلقها بالحیاه الدنیا فقط، و التی تعتبر لعبا-حسب التعبیر القرآنی-

و ذات مره کان النبی الأعظم صلی الله علیه و آله جالسا بین أصحابه،فخط علی الأرض ثلاثه خطوط،فقیل له:یا رسول اللّه ما هذه الخطوط؟فقال:هذا ابن آدم مشیرا إلی الخط الأول،و هذه أمانیه مشیرا إلی الخط الثالث،فقیل له:و ما الخط الأوسط؟فأجاب صلی الله علیه و آله :هو الموت الذی یحول بین بنی آدم،و بین أمانیه،فالعاقل هو الذی یجعل الحیاه قنطره للآخره.

کل إنسان مفطور علی معرفه اللّه سبحانه،و لکن قد یفصل بینه و بین المعرفه حجب الغفله و النسیان و الهوی،فاذا ارتفعت هذه الحجب صارت الرؤیه واضحه، و لنأخذ مثالا من واقع الحیاه:عند ما یمرض ابنک،و تفتقد الطبیب المعالج،عندئذ تزول جمیع حواجز الجبت و الطاغوت،و تعرف اللّه و تتصل به،و یکون دعاؤک نابعا من صمیم فؤادک،و ما أن یتشافی حتی تنسی اللّه و نعمته علیک.

فالإنسان لا یعرف اللّه إلاّ عند الحاجه،و عند ما تنتهی حاجته تنتهی معرفته معها،فعند ما یرکب السفینه،و یمخر بها عباب المحیطات الشاسعه،و تتلقفه الأمواج الهادره،حینها فقط یتوجه قلبه بکل إخلاص إلی اللّه سبحانه.

إنه اللّه الذی تلجأ إلیه،و یتصل به قلبک فی أوقات الحاجه،حین تسد جمیع الطرق أمامک،و لا یبقی لک من منفذ من البلاء،حینها لا یبقی إلاّ أن تطرق أبواب السماء بدعائک الخالص،و المشوب بالعجز أمام قدره اللّه،حینذاک یأتیک الرد إلهیا فتزول جمیع العوائق و المشکلات،و هذه هی آثار اللّه،و بها نعرفه.

ثم یبین اللّه فی آخر آیات هذه السوره نعمه اللّه علی أهل مکه حین جعل لهم حرما آمنا و یتخطف الناس من حولهم.

ص:۴۸۵

و لكنهم مع وجود هـذه النعمه عنـدهم تراهم يؤمنون بالباطل و يكفرون باللّه، و يكـذبون رسوله،و هذه عاده أصحاب القرى ان يكذبوا و ينسوا ما أنعم اللّه عليهم به،بل و قد يتخذون من النعم ماده للفساد.

و بعكس أولئك الـذين آمنوا باللّه و بالرسول و اتبعوه و عزروه و جاهـدوا معه.إن اللّه ليهـدينّهم سبلهم. جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ،و إن اللّه مع المحسنين،و سيحيق ربنا بالذين كفروا جهنم و بئس المهاد.

بينات من الآيات:

[۶۴] وَ ما هٰذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاّ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ إن الحياه الـدنيا بصورتها العاديه،و مقوماتها،و أبعادها الماديه مجرد لهو أو لعب بلا هدف،فالأهداف الجديه ترتبط جديتها بمدى ارتباطها بالحياه الآخره، و القضايا الغيبيه.

وَ إِنَّ الدّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ و فی الـدار الآخره تتوفر جميع مقومات الحيـاه من الخلود الأبـدی،و اللـذات الجمّه،و الراحه النفسيه الممتزجه بالطمأنينه،فيتخلص المؤمن من هموم الدنيا، و مشاغل الحياه.

[۶۵] فَإِذا رَكِبُوا فِی الْفُلْكِ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمّا نَجّاهُمْ إِلَی الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ تبين هـذه الآيه الحالات النفسيه للإنسان فی بعض مواقفه الحياتيه،فحينما اضطر و احتاج إلی اللّه سبحانه،أقرّ له بالحكميه و السياده،و جعل له الولايه

و السیطره علی الکون و الحیاه،و هو الذی کان یعارض الرسل،و یکفر باللّه بالأمس،فما عدی مما بدی؟! و لکن ما أن تطأ قدماه ساحل الأمان،و یبتعد عن الخطر،و یستغنی عن الضروره،حتی ینقلب علی عقبیه،و یکفر باللّه،و یشرک به فی قدرته و سلطانه، «فما للّه للّه،و ما لقیصر لقیصر»؟! کما أنّ هذه الآیه تبیّن حقیقه وجود اللّه،و هیمنته علی الکون،

فقد قال رجل للإمام الصادق علیه السلام : یا ابن رسول اللّه دلّنی علی اللّه ما هو؟فقد أکثر علیّ المجادلون و حیّرونی فقال له:یا عبد اللّه هل رکبت سفینه قطّ؟قال نعم،قال:

فهل کسر بک حیث لا سفینه تنجیک،و لا سباحه تغنیک؟قال:نعم،قال:فهل تعلّق قلبک هنا لک أنّ شیئا من الأشیاء قادر علی أن یخلّصک من ورطتک؟قال:

نعم،قال الصادق علیه السلام :فذلک الشیء هو اللّه القادر علی الإنجاء حیث لا منجی، و علی الإغاثه حیث لا مغیث (۱)إذا أردت أن تعرف اللّه فارکب الأهوال،و ستعرف اللّه حیث لا ینفعک مال و لا بنون،و حینها ینفتح أمامک باب المعرفه الإلهیّه،و تری آثار رحمه اللّه.

[۶۶] لِیَکْفُرُوا بِمٰا آتَیْنٰاهُمْ وَ لِیَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ یَعْلَمُونَ و لقد أنعم ربنا علی الإنسان بنعمه العقل و الفطره و البصیره،و لکن الإنسان یترک عقله إلی جهله،و بصیرته إلی عماه،و فطرته النقیه إلی شهواته الشائبه.

و التمتع مجرد اثاره عاجله لأعصاب الإنسان و شهواته، و المشکله فی الإنسان انه

۱- ۱) بحار الأنوار/ج ۲ ص ۴۱

يعتبر المتعه هدفه فى الحياه،و هذا الاعتقاد ناتج من الكفر بالقيم و الغيب و الروح، و المتعه لا تتعدى بضع ثوان يشعر فيها الإنسان بالسعاده الوهميه،و لكن لا يعلم انه يحتطب على ظهره وزرا،و لذا

جاء فى الدعاء: «اللهم إنى أعوذ بك من ذنوب ذهبت لذاتها و بقيت تبعاتها ».

و سيعلم الكفار يوم القيامه فداحه الخطأ الكبير،حين فصلوا المتعه عن اطارها السليم،و فرّغوها من مضمونها الرفيع،و جعلوها ممارسات حيوانيه،تهبط بالإنسان إلى حضيض الرذيله و الشقاء.

[۶۷] أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ النّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ميزه القرآن انه يستخرج أمثله من واقع الحياه لا من وهم و خيال،و لقد كانت الجزيره العربيه عبر التاريخ مسرحا واسعا للنهب و السلب،و انتهاك الحقوق، و تضييع الكرامات،حيث أصبح الإنسان لا يأمن على نفسه،أو ماله،أو عرضه، و حتى دينه،و كان شعار العرب حينذاك السيف،و دثارهم الخوف،فمنّ اللّه عليهم بنعمه الأمان و الرّخاء و الشبع،و أنزل منهاجه لتنظيم العلاقات الاجتماعيه و السياسيه و الاقتصاديه على أسس العدل و الحريه و التكامل و غيرها من مبادئ الانسانيه التى لا يختلف عليها العقلاء،و لا تختلف مع سمو تطلعات الإنسان و أهدافه.

أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَهِ اللّهِ يَكْفُرُونَ فوا عجبا للإنسان على جهله و كفره،و هل هناك شيء أوضح من نعم اللّه على الإنسان لكى يكفر بها؟!

إن اتباع الهوى،و السير وراء المصالح و الأهداف الشخصيه،تحوّل الباطل إلى حقيقه،و الكفر بالنعم إلى واجب شرعى.

[۶۸] وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمّا جاءَهُ أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ أكثر الناس ظلما لنفسه و للآخرين هو من ينبذ القيم الإلهيه،و يستبدلها بقيم بشريه شيطانيه،و أخطر الكفار من أنكر القيم،و افترى على اللّه الكذب فى أحكامه،و لذا كان حد منكر الصلاه القتل شرعا،فالذى يؤمن بالصلاه و لا يقوم بها قد توجد لديه قابليه القيام بها فى المستقبل،أما الذى يكفر بها من الأساس، و يضع لنفسه تشريعات مزاجيه لا يجدى معه إلاّ حدّ السيف.

و يكمن الخطر فى هذا الإنسان حين يلبس الباطل أثواب الحقّ،و يفيض على الباطل صبغه السمو و الالوهيه،و عاده ما تكون دوافع الكفر نفسيه كالكبر،أو الغرور،أو ترسخ تقاليد الآباء فى النفس،و لكن هل يعتقد هؤلاء إن جهنم لا تكفيهم جميعا؟!بلى..إن بها مثوى للكافرين و المتكبرين منذ أن خلق ربنا آدم عليه السلام و إلى يوم القيامه،و ليس ذلك على اللّه بعزيز.

[۶۹] وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَ إِنَّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ و يقفز إلى واجهه التفكير سؤال:ماذا نعمل لكى لا تتبدل قيمنا؟و كيف نهتدى إلى السبيل القويم؟ تجيب هذه الآيه الكريمه بأن شرط الهدايه هو الجهاد،لأن الجهاد يبعد الإنسان عن حب الذات و الأنانيات المقيته،و عند ما يكون الإنسان مجاهدا،فان أبواب

العلم و المعرفه ستكون مشرعه أمامه،و ما عليه سوى الجدّ و الاجتهاد.

و الإحسان شرط رئيسى فى المحافظه على القيم،لأنه يبعد الإنسان عن استغلال القيم لمصالحه الخاصه،بل يوجهها نحو خدمه الناس.

ص:۴۹۰

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مرکز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزى
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵
هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.



مرکز القائمیه اصبهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹